أمير المؤمنين

عرض ميسّر لسيرة

الإمام علي بن أبي طالب (ع)

الشهيد عبد الزهراء عثمان محمد
(عز الدين سليم)

دار الهادي

أمير المؤمنين

عرض ميسر لسيرة الإمام علي بن أبي طالب
«عليه الصلاة والسلام»

بقلم
الشهيد عبد الزهراء عثمان محمد (عز الدين سليم)

شبكة الفكر
alfeker.net

دار الهادي
للطباعة والنشر والتوزيع

جَمِيعُ الحُقوق محفُوظة

الطّبعَة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٥٥٠٤٨٧/٠١ - ٨٩٦٣٢٩/٠٣ - فاكس: ٥٤١١٩٩ - ص.ب: ٢٨٦/٢٥ غبيري - بيروت - لبنان
Tel.:03/896329 - 01/550487 - Fax: 541199- P. O. Box: 286/25 Ghobeiry - Beirut - Lebanon
E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

﴿إنما يريدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عنكُم الرِجّسَ أهلَ البيتِ ويـطهرَكُـم تَـطهيراً..﴾

(الأحزاب / ٣٣)

«لايحبك ألّا مؤمن، ولا يبغضك إلّا منافق»

رسول اللّه(ص)

صحيح مسلم ١:٦١

سنن النسائي ٢:٢٧١

وصحيح الترمذي ١٣:١٧٧

«ماكنّا نعرف المنافقين إلّابببغض علي بن أبي طالب»

الصحابي أبو سعيد الخدري (رض)

الصحابي جابر ابن عبداللّه الانصاري (رض)

الصحابي عبداللّه بن عباس (رض)

الترمذي ١٣:١٦٧

تاريخ بغداد ٣:١٥٣

الاستيعاب لابن عبدالبر ٢:٤٦٤

الأهداء

الى الوالد العزيز رحمه الله

حيث تمر الذكرى السنوية الأولى، على رحيلك المفجع، فلم أجد خيراً من ثواب هذه الأوراق التي اختزلت في كتابتها،واعدادها ساعات طويلة من عمري، لأهديه الى روحك الطاهرة، التي كانت مفعمة بحب أمير المؤمنين، وآله عليهم الصلاة والسلام، حتى حملك حبك لهم، واعجابك بهم أن تحفظ الكثير، الكثير من آدابهم، وقيمهم ومبادئهم، وكان «نهج البلاغة» وردك اليومي الذي لا تفارقه، حتى حفظت منه اكثره عن ظهر قلب...

فالى روحك الطاهرة، أهدي ثواب هذا الكتاب المتواضع الذي عكست فيه صوراً مشرقة في سيرة الوصي المظلوم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام.

ولدك

المقدمة

«مالقي أحدٌ في هذهِ الأمةِ مالقِيتُ..»[1].

علي بن ابي طالب عليه السلام.

الحمد للّه رب العالمين، والصلاة والسلام على محمّد رسول اللّه الخاتم، وعلى الهداة المهديين من آله وبعد:

فلم يتعرض عظيم من عظماء التاريخ الإنساني عبر مراحله، المختلفة، إلى ما تعرض له وصي الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله ، وهارون هذه الأمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه الصلاه والسلام، من ظلم، وعدوان في حياته، وبعد موته!!

فإذا كان وصي رسول اللّه صلى الله عليه وآله ، قد عانىٰ، ما عانىٰ أيام حياته المليئة بالمآثر، والأمجاد، من الحاسدين، والظالمين، فإنّ ظلم الأعداء، قد

---

(١) انساب الأشراف: البلاذري ٢: ١٧٧.

لاحقه بعد، وفاته...

ولقد كانت الفتره الأموية من تاريخ المسلمين التي امتدت بين عام ٤١ هـ حتى عام ١٣٢ هـ من أسوأ مراحل التاريخ الإنساني في ارتكاب أبشع الجرائم بحق الرسالة الألهية، ورموزها الهداة.

فقد أخضعت عدة أجيال من المسلمين لعملية مسخ ثقافي مخطط طوال تلك المرحله، كان من أبرز مهماتها القذرة، أن تشوه الصورة المشرقة لسيرة أمير المؤمنين عليه السلام ، في أذهان الأجيال، من خلال سياسة التجهيل، والتعمية، والتشويه، وقلب الحقائق، حتى لاتجد الأجيال من خلال ذلك، أي نصيب لعلي ابن أبي طالب عليه السلام في بناء الحياة الإسلامية، وارساء قواعد الإسلام الحنيف.. وتستطيع أن تقدر حجم المأساة اذا علمت أنَّ عشرات من السنين قد سخرت فيها المنابر ـ وهي أكثر الأجهزة التربوية والاعلامية تأثيراً لدى المسلمين يومذاك ـ في سب علي عليه السلام وتشويه تاريخه الفذ.. حقداً على الإسلام، وثأراً لمشركي بدر..

فكانت «خطبة الجمعة» في العهد الأموي ـ مثلاً ـ تفتتح بالنيل من الإمام عليه السلام، بكلمات يأبى التاريخ أن تسطر على صفحاته[1] وكانت تسند تلك العملية قوىً، وأجهزة حكم، ورواة ومحدثون مأجورون، ومؤرخون، يعملون تحت إمرة السلطان، و.. و.. محاولة منها لطمس معالم تاريخ إمام الهدى عليه السلام وأمجاده بيد أن تاريخ الإمام علي عليه السلام، وان كان تعرض لذلك اللون المخجل من الطمس والتزوير والتجهيل، فان أحداً،

---

(١) راجع نماذج من ذلك في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٤ ص ٥٦١ وما بعدها ط دار احياء الكتب العربية ١٩٥٩. انظر الوثيقة رقم(١)، والوثيقة رقم (٢) في الملحق.

كائناً من كان، ليس بمقدوره أن يطمس معالمه الأساسية، لارتباطها العضوي بالإسلام الحنيف، وقيمه وهداه، ومجده.. فحبل الكذب قصير.. ولا يحيق المكر السيء إلّا بأهله.

وهكذا، فان الاقلام المأجورة، وتشكيلة المرتزقة، التي حاولت ان تكتب لوصي النبي ﷺ تأريخاً على هواها، ووفقاً لمصالحها، وما تملك من خلفيات ومرامي منخفضة، قد أخطأت التقدير، وجهلت أن الحق لا يمكن أن يحجب طويلاً، وأن الزبد لا بد أن يذهب جفاء...

وشعوراً منا بالمسؤولية الشرعية في توعية الأمة، وتبصيرها بحقائق دينها وحملة هداها ووقائع تاريخها المجيد، ونفض تراب التعمية والتضليل عن حقائق أحداث المسيرة التاريخية لهذه الأمة منذ بدايات تاريخها.. شعوراً منا بهذه المسؤولية العظيمة نضع هذه الدارسة حول سيرة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ودوره في حركة الإسلام التاريخية بين ايدي المسلمين وعموم الناس.

وللضرورة الفنية قسمت هذه الدراسة إلى فصول ثلاثة:

ـ سنتناول في الفصل الأول منها سيرة أمير المؤمنين عليه السلام، في عهد رسول اللّه ﷺ، وعهد الخلفاء الذين سبقوه تاريخياً في قيادة المسلمين.

وفي الفصل الثاني: ينصب البحث على دراسة حياة الإمام عليه السلام، بعد ما انتهت إليه «الخلافة» لأدارة شؤون المسلمين، ومواقفه البطولية النبيلة، في مجالات السياسة، والادارة، والاقتصاد، والاجتماع، وشؤون الحرب والسلم وامثال ذلك.

أما الفصل الثالث: فيخصص لأبراز الملامح الأساسية لشخصية أمير

المؤمنين عليه السلام من حيث علاقته باللّه تعالىٰ، وعلاقته بالناس من حوله، وعطائه الثقافي والفكري، الذي أسداه للأمة الإسلامية والناس أجمعين.

واللّه نسأل التسديد والتأييد، والهداية والتوفيق للعمل من أجل تكريس كل الطاقات، والامكانات المتاحة في أطار الصراع الفكري القائم، بين امتنا الإسلامية المجاهدة، وبين خصومها الألداء، من أجل أن تسود شريعة الإسلام العظيم في الحياة، واستلهام هدىٰ اللّه عزوجل الذي حمله أهل بيت رسول اللّه صلى الله عليه وآله عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله عن اللّه عزّ وجلّ انه سميع مجيب.

المؤلف

ربيع الأول ١٤٢١هـ

حزيران ٢٠٠٠ م

الفصل الأول

وليد البيت العتيق

بزوغ الفجر

في يوم الجمعة، الثالث عشر من شهر رجب المبارك، وقبل بعثة محمد رسول اللّه ﷺ بأثنتي عشرة سنة، أشتد المخاض على فاطمة بنت اسد عليها السلام وهنا يذكر المؤرخون وثيقتين بهذا الشأن:

ـ تقول أحداهما ان أبا طالب جاء بفاطمة عليها السلام وأدخلها إلى الكعبة المشرفة.. ثمَّ خرج عنها فرفعت يدي الضراعة إلى العلي الأعلى سبحانه قائلة: «ربي أني مؤمنة بك، وبما جاء من عندك من رسل وكتب وأني مصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل عليه السلام وانه بنىٰ البيت العتيق، فبحق الذي بنىٰ هذا البيت والمولود الذي في بطني إلّا ما يسرت عليّ ولادتي»[1].

وتقول الوثيقة الثانية: ان أبا طالب حين بلغ بفاطمة بنت أسد الكعبة، دعت اللّه تعالىٰ عندها، فأنشقَّ ظهر الكعبة فدخلت فاطمة فيها من ظهرها، فعلم الناس ان ذلك من أمر اللّه عزوجل[2].

---

(١) انظر وثيقة رقم (٣) في الملحق عن الحافظ ابن المغازلي في المناقب ص ٥ وغيره.

(٢) انظر وثيقة رقم (٤) في الملحق عن كشف الغمة ١ : ٦٠ وغيره.

على أن الوثيقة الثانية في نظري أدل على الواقع من الوثيقة الأولى، لأن الثانية تعبر عن تدخل الغيب في هذا الحادث كرامة للوليد المبارك المختار للوصية ووزارة النبوة الخاتمة، كما في النصوص الصحيحة، وإلاّ فإن الرواية للواقعة بذلك الشكل الذي سردته الوثيقة الأولى لا يشكل كرامة فرضها الغيب على الواقع، اذ بأمكان أي من النساء بعد هذه الحادثة أن يدخلن إلى الكعبة، عند المخاض، بانتظار الولادة!!

ولذا فإن تسجيل الحادثة المذكورة على انها كرامة لعلي عليه السلام، انما كانت لحدوثها بالشكل الذي روته الوثيقة الثانية، لا غير!!

وبعد حين من الزمان أعلنت فاطمة بن أسد عليها السلام أنها قد ولدت ذكراً، فكان أول مولود ولد في الكعبة المشرفة ولم يولد فيها بعده سواه تعظيماً له من اللّه سبحانه واجلالاً[1]، وأسرع البشير إلى أبي طالب وأهل بيته، فأقبلوا مسرعين والبشر يعلو وجوههم..

وتقدم من بينهم محمد المصطفى[2] صلى الله عليه وآله فضمه إلى صدره وحمله إلى بيت عمه أبي طالب، حيث كان الرسول في تلك الآونة، يعيش مع زوجته خديجة، في دارهما منذ زواجه منها بعد أن قضى عقدين من عمره الشريف في دار عمه.

---

(١) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٤٨٥ والكفاية للحافظ الكنجي الشافعي وشرح الخريدة الغيبيه في شرح القصيدة العينية لشهاب الدين السيد محمود الآلوسي ص ١٥ ونور الابصار للشبلنجي ص ٧٦ ومطالب السؤول ص ١١ لمحمد أبي طلحة الشافعي والمناقب للأمير محمد صالح الترمذي وغيرهم نقلاً عن الغدير ج ٦ ص ٢٢ ـ ص ٣٨ لعبد الحسين الأميني ط ٣ سنة ١٩٦٧ بيروت.

(٢) الفصول المهمة في معرفة الأئمة / لابن الصباغ المالكي / الفصل الأول ص ١٣.

وألهم اللّه أبا طالب عليه السلام، أن يسمي وليده «علياً» وهكذا كان..

وأقام أبو طالب وليمة، على شرف الوليد المبارك، ونحر الكثير من الأنعام[1].

وقد حضر وليمته جمع حاشد من الناس: قدموا التهاني، وعاشوا ساعات من البهجة، وأبدوا فيها مشاعرهم الفياضة، وأحاسيسهم السامية، نحو عميدهم شيخ الابطح، ووليده المبارك..

ومرت الأيام سريعة، والوليد المبارك يتقلب بين أحضان والديه: أبي طالب، وفاطمة، وابن عمه الرسول محمد صلى الله عليه وآله، الذي كان دائم التردد على دار عمه، التي نال فيها دفء المودة، وشرب من ينابيع الاخلاص والوفاء الصافية فيها طوال سنوات صباه وشطراً من شبابه.

أجل كان المصطفى صلى الله عليه وآله يتردد كثيراً على دار عمه، بالرغم من زواجه من خديجة، وعيشه معها في دار منفردة، وكان يشمل علياً بعواطفه، وحبه ويحوطه بعنايته: ـ يناغيه في يقظته، ويحمله على صدره.. ويحرك مهده عند نومه، إلى غير ذلك من مظاهر العناية والرعاية..

في كفالة رسول اللّه صلى الله عليه وآله

وبعد مضي ست سنوات على ولادة علي عليه السلام تعرضت قريش

---

(١) البحار ج ٣٥ ص ١٨.

لأزمة اقتصادية خانقة، وقد كانت وطأتها شديدة على أبي طالب، اذ كان رجلاً كثير العيال وكهفاً يلوذ به المحتاج والفقير، بحكم مركزه الاجتماعي في مكة... أيرضىٰ المصطفى ﷺ وبنو هاشم، أن تقسو الحياة على عميدهم؟!

أقبل الرسول ﷺ على عمه العباس بن عبد المطلب، وهو أثرىٰ بني هاشم يومها، فخاطبه بقوله: «... ياعم، أن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ماترى فانطلق بنا إلى بيته لنخفف من عياله، فتأخذ أنت رجلاً واحداً، وآخذ أنا رجلاً فنكفلهما عنه..»[1].

وحظى رأي المصطفى ﷺ بالتأييد والرضا من لدن عمه العباس، فأسرعا إلى أبي طالب، وخاطباه بالأمر، فاستجاب لما عرضا عليه قائلاً:«اذا تركتما لي عقيلاً وطالباً، فاصنعا ما شئتما..»[2].

فأخذ العباس جعفراً...

وأخذ رسول اللّه ﷺ علياً عليه السلام، وكان عمره يومئذ ستة أعوام[3]، وقد أعلن رسول اللّه ﷺ بعد أن اختار علياً عليه السلام: «قد اخترت من اختاره اللّه لي عليكم ـ علياً[4] ـ».

---

(١) الفصول المهمة / لابن الصباغ الفصل الأول ص ١٤ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ١٥، والطبري ٢: ٥٧ ـ ٥٨.

(٢) سيرة ابن هشام ج ١ باب ذكر أن علي بن أبي طالب أول ذكر أسلم ص ٢٨٤، بحار الانوار ج ٣٥ ص ٤٤ وشرح النهج ج ١ ص ١٥.

(٣) في رحاب علي / خالد محمد خالد ص ٤٦ ط دار الاندلس بيروت وشرح النهج ج ١ ص ١٥.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ١٥ نقلاً عن البلاذري والاصفهاني.

وهكذا عاش علي عليه السلام منذ نعومة أظفاره في كنف رسول اللّه محمد صلى الله عليه وآله: نشأ تحت رعايته، وشرب من ينابيع مودته وحنانه، ورباه وفقاً لما علَّمه ربه تعالى[1]، ولم يفارقه منذ ذلك التاريخ، حتى لحق الرسول صلى الله عليه وآله بربه الأعلى..

حصيلة الأعداد النبوي

أشار الإمام علي عليه السلام إلى أبعاد التربية والأعداد التي حظي بها من لدن استاذه وقائده الرسول صلى الله عليه وآله، ومداها وعمقها، وذلك في خطبته المعروفة بالقاصعة، اذ جاء فيها مانصه: «وقد علمتم موضعي من رسول اللّه صلى الله عليه وآله، بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره، وأنا ولد، يضمني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه وما وجد لي كذبة في قول، ولاخطلة في فعل.

«ولقد قرن اللّه به صلى الله عليه وآله، من لدن ان كان فطيماً، أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره، ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالاقتداء به.

«ولقد كان يجاور في كل سنة (بحراء) فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام، غير رسول اللّه صلى الله عليه وآله وخديجة، وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة..»[2].

---

(١) نهج البلاغة: ص ٣٠٠ ط ١ ١٩٧١ بيروت تنظيم الدكتور صبحي الصالح.

(٢) نهج البلاغة تبويب صبحي الصالح: ٣٠٠ ط ١٩٧١ بيروت.

والذي يستقرىء هذا النص، بإمعان، يتجلىٰ له أن علياً عليه السلام قد حظي برعاية الرسول صلى الله عليه وآله وحدبه، وايثاره منذ أيام طفولته، فكان يمضغ الشيء ثم يضعه في فمه، ويضعه في حجره، ويضمه إلى صدره، ويعامله كما لو كان ولده الحبيب...[1].

أما في صباه، وشبابه، فقد انصب جهد رسول الله صلى الله عليه وآله على تكوين شخصيته: إذْ كان يأمره بالاقتداء به، وسلوك سبيله، وفي كل يوم يرفع له من أخلاقه علماً وعليٌ عليه السلام هو الآخر كان يتبع أثره، أولاً بأول، ويقتفي خطوه كما يصف ذلك في حديثه.

ولهذا وذاك، فان من خطل الرأي، أن لا يعتقد امرؤ أن مسألة اختيار علي عليه السلام من لدن الرسول صلى الله عليه وآله كانت هادفة مخططة ابتداء لكي يأتي صورة مكررة لرسول الله صلى الله عليه وآله في فكره ومواقفه وشتى ألوان سلوكه، بل حتى في مشيته[2] وطريقة حياته، واسلوب عيشه.

فلقد كان الإمام عليه السلام من الصفاء الروحي والاستقامة النفسية، وفقاًلما علمه رسول الله صلى الله عليه وآله، وربّاه بحيث كانت تتكشف له الكثير من أسرار الغيب المستور، فها هو يقول: «**ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزول الوحي عليه، صلوات الله عليه، فقلت: يارسول الله ما هذه الرنة؟ فقال: «هذا الشيطان قد أيس من عبادته، انك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلّا أنك لست بنبي، ولكنك وزير، وانك لعلى خير..**[3].

---

(١) بحار الأنوار ٣٥: ١٠ عن بشارة المصطفى (ص).

(٢) علي بن أبي طالب(ع): عبد الفتاح عبد المقصود ج ١: ٣٩.

(٣) نهج البلاغة ص ٣٠١ (الخطبة القاصعة). تبويب د. صبحي الصالح.

فان الشوط الذي قطعه في مضمار الهدى والتقرب إلى اللّه سبحانه وتعالى وامتثال أوامره، وتجسيد متطلبات رسالته، رشحه لأن يكون وزيراً للنبوة، وهو مقام، لا يناله إلّا من ألهمه اللّه هداه، وحباه بمعرفته، وحبه، فعاد لم يفصله عن الرسول ﷺ إلّا درجة النبوة، فارتقىٰ منصة الوزارة بحق وجدارة، وهكذا كان علي...

في كنف الوحي

واذا كان الإمام عليه السلام قد عاش ست سنوات، في أحضان والديه واخوته، وكان لرسول اللّه ﷺ دور مميز في رعايته، طوال تلك السنوات الندية من عمره عليه السلام فأن رعاية علي وتربيته، صارت من اختصاص المصطفى ﷺ دون منازع، منذ السنة السادسة، منذ انتقل عليه السلام إلى داره ﷺ على أثر الضائقة المالية التي ألمت بأبيه أبي طالب ـ كما ذكرنا ـ.

ومنذ تلك السن المبكرة عاش علي عليه السلام مع رسول اللّه ﷺ في بيته قبل ان يصدع بدعوته، حيث قضىٰ تحت رعايته سنوات الصبا وسنوات التفتح على الحياة، وخلالها عاش الإمام عليه السلام كل التطورات التي اكتنفت حياة الرسول ﷺ..

فعليٌ لم يحظَ بالتربية المألوفة، التي يحظىٰ بها غالباً طفل من قبل أبيه، أو صغير من لدن أخيه الأكبر، وانما كان اعداده وتربيته من نوع خاص، وحسبك أنه كان يصحب الرسول الخاتم ﷺ حتى في ساعات اختلائه في غار حراء.. ويشهد التطور الروحي والفكري الذي كان

رسول اللّه ﷺ يمر فيه، وها هو عليه السلام يستذكر تلك الأيام الخالدة وذلك الشطر الحساس من حياته، فيقول: «... لقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه، ولا يراه غيري»[1] ـ كما ألمحنا إلى ذلك ـ أجل كان عليه السلام يعيش التحول الروحي الهائل، الذي شهدته نفس المصطفى ﷺ، حتى أشرق عليه وحي السماء المبارك.

ولقد كان للمستوى الروحي والخلقي البعيد المدى الذي سمت إليه نفس علي عليه السلام، أن شهد التحول الكبير، الذي جرى في عالم الغيب، من انهزام للشيطان، بعد يأسه من أن يُعبد، فور بعثة المصطفى بالرسالة الخاتمة... فلقد شهد وزير النبوة علي عليه السلام، ارهاصات النبوة التي شهدها أستاذه ومعلمه الرسول ﷺ، وعاشها كما عاشها بملء كيانه، ثمَّ واكبها حين سطع الهدى، وتلقىٰ رسول اللّه ﷺ أول بيان من السماء، لتكليفه بحمل الرسالة، ثم تبني دعوة الناس اليها:

﴿إقرأْ باسمِ ربّكَ الذّي خَلَقَ * خَلَقَ الإنسانَ مِنْ عَلَّق * إقرأ وَربُّكَ الأكرّم * الَذي عَلَمّ بالقَلَم عَلَّمَ الإنسانَ مّا لم يَعلمْ﴾. (العلق ١ ـ ٥)

﴿يا أيها المدَّثر قمْ فأنذرْ * وربكَ فكَبِّر * وثيابَكَ فطهرْ..﴾.

(المدثر ١ ـ ٤)

---

(١) الخطبة القاصعة من نهج البلاغة ص ٣٠١ تبويب د. صبحي الصالح.

أوَّلُ المؤمنين

حين تلقى الرسول ﷺ بيان التكليف الإلهي، بحمل الرسالة، والدعوة الألهية كان علي[1] عليه السلام أول الناس علماً بأمره، وتصديقاً لدعوته، كذلك فعلت خديجة الكبرىٰ، فانبثق من أجل ذلك أول نواة لمجتمع المتقين في الأرض.

وما أجمل الحالة الرمزية التي تحملها روايات بعض المؤرخين حول تلقي علي عليه السلام لأمر الدعوة الإلهية[2]. فقد روى جابر بن عبدالله الأنصاري (رض) قال: بعث النبي ﷺ يوم الأثنين، وصلى علي يوم الثلاثاء.

وروىٰ زيد بن أرقم (رض)، قال: اول رجل صلى مع رسول

---

(١) اضافة إلى كتب التاريخ التي تصرح بأن علياً أول الناس إسلاماً فهناك عدة أحاديث عن رسول اللّه(ص) تجسد هذه الحقيقة راجع المستدرك ج ٣ ص ١٣٦ والخطيب البغدادي في تاريخه ج ٢ ص ٨١ ومناقب الخوارزمي وحلية الأولياء ج ١ ص ٢٨٥ وسيرة زيني دحلان في هامش الحلبية ج ١ ص ١٨٨: نقلاً عن الغدير ج ٣ ص ٢٢٠ ـ ٢٤٢ ط ٣ / ١٩٦٧ بيروت.

(٢) أوردها الطبري في تاريخه ٢: ٥٥ ـ ٥٦ فلاحظ.

اللّه ﷺ علي... وقال ابن عباس (رض): أول من صلى علي.

ويقول علي عليه السلام: «أنا عبداللّه، وأخو رسوله، وأنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدي إلّا كاذب مفترٍ، صليت مع رسول اللّه قبل الناس بسبع سنين».

ويجدر بنا، أن نعي أن علياً عليه السلام لم يدْعهُ الرسول ﷺ إلى الإسلام كما دعا غيره فيما بعد، أبداً، لأن علياً عليه السلام كان على فطرة اللّه تعالى، مُسَلّماً لأمر اللّه، لم تصبه الجاهلية بأوضارها، ولم يتفاعل مع شيء من سفاسفها، وكل الذي كان: أن علياً عليه السلام قد أطلعه الرسول القائد ﷺ على أمر دعوته ومنهج رسالته، فأعلن تصديقه وأيقن بالرسالة الخاتمة، وبادر لتلقي توجيهاته المباركة تلقي تنفيذ وطاعة وتجسيد.. ولهذا اعتاد المؤرخون ان يقولوا: (كرم اللّه وجهه) أي كرّمهُ اللّه عن طاعة غيره والسجود لسواه.

فان علياً عليه السلام كان مؤهلاً ـ كما بينا في مطلع الحديث ـ لأتّباع رسول اللّه ﷺ في دعوته، لأنه ﷺ كان قد أنشأ شخصيته، وأرسىٰ لبناتها الأساسية.

ولا أظنني أضيف جديداً اذا قلت: إنَّ الإمام عليه السلام لم يفاجأ بأمر الدعوة المباركة، طالما عاش في كنف رسول اللّه ﷺ يتفيأ ظلاله، فالمصطفى ﷺ ـ كما نعلم ـ كان يعبد ربه تعالى وينأى عن الجاهلية في مفاهيمه وسلوكه وعلاقاته، قبل ان يتنزل عليه وحي السماء، بأول سورة من القرآن الكريم[1] إذ كان ﷺ منذ طفولته نبياً ثم صار رسولاً

---

(١) يراجع كتابنا، سيرة المصطفى (ص) ط بيروت ولاحظ الملحق، وثيقة رقم (٥).

للعالمين.

وعلي عليه السلام كان مطلعاً على عبادة أخيه رسول اللّه صلى الله عليه وآله وممارساته وتحولاته الروحية والفكرية فكان يتعبد معه، وينهج نهجه، ويسلك سبيله، في تلك السن المبكرة من عمره بل كان يرافقه حتى في غار حراء، وهو منقطع لعبادته.

اما حين اطلعه رسول اللّه صلى الله عليه وآله بأمر الدعوة الإلهية، فقد لبّىٰ النداء بروحه ووعيه وكل جوارحه، دون أن يباغت في الأمر، وان كان هناك من جدة في المسألة، فانما هي في الكيفية التطبيقية للرسالة ودرجة المسؤولية الواجب تحملها أو في تفاصيل الاحكام.. وحين بُلِّغ رسول اللّه صلى الله عليه وآله بأمر التكليف الإلهي لحمل الدعوة المباركة، بلّغه اللّه عزوجل كذلك، أن تنصب دعوته أولاً على الخاصة من أهل بيته عليهم السلام، وقد أشار ابن هشام في سيرته لذلك بقوله: «فجعل رسول اللّه صلى الله عليه وآله يذكر ما أنعم اللّه عليه، وعلى العباد به، من النبوة سراً إلى من يطمئن اليه من اهله...»[1] ومن أجل ذلك أخبر علياً وخديجة بأمر الرسالة ـ كما ذكرنا ـ وبعدها زيد بن حارثة، وبقي أمرها طي الكتمان لا يعلمه غير هؤلاء، وبعض الخاصة من أهل البيت عليهم السلام.

وقد اشار الإمام علي بن الحسين عليه السلام في حديث له حول إسلام جده علي بن أبي طالب عليه السلام إلى ذلك بقوله: «... ولقد آمن باللّه تبارك وتعالى وبرسوله صلى الله عليه وآله وسبق الناس كلهم إلى الإيمان باللّه وبرسوله صلى الله عليه وآله

---

(١) ج ١ ص ٢٥٩ مصطفى الحلبي وأولاده بمصر ١٩٦٣ تحقيق مصطفى السقا وجماعة.

وإلى الصلاة ثلاث سنين»[1].

ونترك هنا وثائق التاريخ، لتتحدث بشكل طليق، مكشوف عن هذه المسألة من سيرة أمير المؤمنين عليه السلام، فقد روى الطبري في تأريخه[2]، مايلي حدثني محمد بن عبيد حدثنا سعيد بن خُثَيم عن أسد بن عبدة البجلي عن يحيى بن عفيف عن عفيف قال جئت في الجاهلية إلى مكة فنزلت على العباس بن عبدالمطلب قال: فلما طلعت الشمس وحَلَّقت في السماء وأنا أنظر إلى الكعبة أقبل شابٌ فرمى بصره إلى السماء ثم استقبل الكعبة فقام مستقبلها فلم يلبث حتى جاء غلام فقام عن يمينه قال فلم يلبث حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما فركع الشابُّ فركع الغلام والمرأة فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة فخر الشاب ساجداً فسجدا معه فقلت يا عباس أمر عظيم فقال أمر عظيم أتدري من هذا؟ فقلت لا قال هذا محمد بن عبداللّه بن عبدالمطلب بن أخي أتدري من هذا؟ معه قلت لا قال عليٌّ بن أبي طالب بن عبدالمطلب ابن أخي أتدري من هذه المرأة التي خلفهما قلت لا قال هذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخي وهذا حدثني إن ربك رب السماء أمرهم بهذا الذي

---

(١) الروضة من كتاب الكافي ج٨ حديث إسلام علي(ع) وهناك أحاديث بهذا الصدد يرويها كل من النسائي وابن ماجة والحاكم والطبري في تاريخه والرياض النضرة ج ٢ ص ١٥٨ وكتاب صفين لنصر بن مزاحم ص ١٠٠ أو غيرها راجع ٢٢١ ـ ٢٤٠ ج ٣ من الغدير على أن تلك الروايات تشير إلى أن إيمان علي وعبادته قد سبق فيها الناس بسبع أو تسع سنين، وهي لا تخالف القول بثلاث سنين أبداً فان المراد بأنه سبق بالتصديق بالإسلام بعد الدعوة بثلاث سنين وسبق سواه بالإيمان والتعبد مع الرسول(ص) في مرحلة الاعداد التي اشار اليها في خطبة القاصعة بسنوات أخرى واللّه اعلم ..

(٢) الطبري ٢: ٥٦ وللمزيد راجع وثيقة رقم (٥) في الملحق.

تراهم عليه وأيم اللّه ما أعلم على ظهر الأرض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة.

ولأسبقيته في حمل الدعوة اشار الإمام عليه السلام في حديث جاء فيه «.. ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول اللّه صلى الله عليه وآله وخديجة، وانا ثالثهما، أرى نور الوحى والرسالة، وأشم ريح النبوة..».

وبعد أن تخطت الدعوة الالهيه مرحلة دعوة الخاصة من أهل البيت عليهم السلام جاءت مرحلة دعوة من يتوسم رسول اللّه صلى الله عليه وآله فيهم القبول لدعوته، فانخرط عدد من الناس في سلك الدعوة، كان اغلبهم من الشباب، وكانت لقاءاتهم من أجل قراءة القرآن الكريم، والتعرف على أحكام دين اللّه تعالى تتم بصورة سرية نأياً عن عدوان المشركين ..

الوصي الوارث :

ثم أذن اللّه عزوجل لرسوله صلى الله عليه وآله بدعوة عشيرته الأقربين من بني هاشم، ليوسّعَ من مدار الدعوة بذلك، فقال تعالى:

﴿وانذر عشيرتك الاقربين * واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين * فان عصوك فقل إني بريء مما تعملون﴾. (الشعراء / ٢١٤ ـ ٢١٦)

فلما تلقى رسول اللّه صلى الله عليه وآله أمر ربه الأعلى بانذار عشيرته الأقربين، أمر علياً عليه السلام أن يدعوهم إلى طعام عنده، فحضروا إلى دار رسول اللّه صلى الله عليه وآله وكانوا أربعين رجلاً.

وبعد أن تناولوا طعامهم، بادرهم الرسول صلى الله عليه وآله بقوله «.. يا بني عبدالمطلب، ان اللّه بعثني إلى الخلق كافة، وبعثني اليكم خاصة، فقال:

«وأنذر عشيرتك الأقربين» وأنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان، ثقيلتين في الميزان، تملكون بهما العرب والعجم، وتنقاد لكم بهما الأمم وتدخلون بهما الجنة، وتنجون بهما من النار، شهادة أن لا اله إلّا اللّه وأني رسول اللّه فمن يجيبني إلى هذا الأمر ويؤازرني عليه، وعلى القيام به يكنْ أخي ووصي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي..»[1].

وبين تنديد أبي لهب، وتحذيره للرسول ﷺ من الاستمرار بالدعوة من جهة، وتأييد أبي طالب له ومخاطبته الرسول ﷺ بقوله: «فامضِ لما أمرتَ به، فواللّهِ لا أزال أحوطك وأمنعك»[2].

أقول: من خلال التأييد، الذي أعلنه أبو طالب، والتنديد البليد الذي أعلنه أبو لهب، وقف علي بن أبي طالب عليه السلام وكان أصغر الحاضرين سناً فقال: «أنا يارسول اللّه أؤازرك على هذا الأمر» فأمره الرسول ﷺ بالجلوس، ولما لم يجبهُ أحدٌ نهض عليٌ ثانية والرسول ﷺ يجلسه...

وأعاد الرسول ﷺ دعوته إلى قومه، فلم يجبه أحد، وكان صوت

---

(١) اخرج الحديث كل من: ابن اسحاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبي نعيم، والبيهقي في سننه وفي دلائله، والثعلبي، والطبري في تفسير هما لسورة الشعراء من تفسيريهما الكبيرين، وأخرجه الطبري في تاريخ السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٨١، والطحاوي، والضياء المقدسي في المختارة، وأحمد بن حنبل ج ١ ص ١١١ وص ١٥٩، و النسائي في خصائصه ص٦، وكنز العمال ج٦ الحديث رقم ٦٠٠٨، والمفيد في ارشاده في مناقب علي(ع) وغير هؤلاء كثير وكلهم أوردوه بألفاظ متقاربة وللمزيد من المصادر لاحظ المراجعات للسيد شرف الدين ص ١٢٤ وما بعدها.

(٢) صور من حياة محمد، أمين دويدار ص ١٤٠، وفقه السيرة / للغزالي ص ١٠٢ـ١٠٣، ويراجع الهامش السابق كذلك.

علي عليه السلام وحده يلبي الدعوة، ويهدر بالمؤازرة والنصرة، فمزق صمتهم بصلابة إيمانه، وقوة يقينه، وحيث لم يجب رسول اللّه صلى الله عليه وآله أحد للمرة الثالثة.. التفت إلى مجيبه الوحيد، قائلاً: «أجلس فأنت أخي ووصي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي»[1].

فنهض القوم من مجلسهم، وهم يخاطبون أبا طالب: «ليهنئك اليوم أن دخلت في دين ابن أخيك، فقد جعل ابنك أميراً عليك»[2].

وهكذا غرست الوصية لعلي عليه السلام بعد الشهادة للّه بالوحدانيه ولمحمد بن عبد اللّه صلى الله عليه وآله بالرساله الخاتمة.

مواجهة الجاهليين:

ودخلت الدعوة إلى اللّه مرحلة المواجهة ـ بعد انذار العشيرة ـ وأول من قاد ردّ الفعل المضاد كان أبا لهب وزوجته، فكانا يعترضان رسول اللّه صلى الله عليه وآله ويزرعان المشاق في طريقه، لأثنائه عن دعوته المباركة، ولكن دعوة اللّه سبحانه مضت تشق طريقها في المجتمع الجاهلي المتحجر ذاك، فقد انتقلت بعد ابلاغ العشيرة إلى الدعوة العامة، حيث وقف رسول اللّه صلى الله عليه وآله على «الصفا»، وخاطب الجموع الغفيرة بأنه رسول اللّه، وسفيره اليها[3]..

---

(١) صور من حياة محمد / أمين دويدار ص ١٤٠، وفقه السيرة / للغزالي ص ١٠٢ ـ ١٠٣ ويراجع هامش رقم (١) من الصفحة السابقة من هذا الكتاب لمعرفة المصادر الأساسية التي تحمل النص الشريف.

(٢) نفس المصادر المذكور.

(٣) يراجع الفصل الأول من كتاب سيرة المصطفى (ص) ط بيروت، للمؤلف.

وبعد تلك الدعوة تزايد عدد المؤمنين وكان أغلبهم من الشباب ومن شتى قطاعات المجتمع المكي..

وكان لتزايد عدد المؤمنين برسالة اللّه تعالى أثر بالغ على موقف الجاهليين، فقد سلكوا أسلوب الارهاب للرعيل الأول من المؤمنين، فكانت كل قبيلة وكل بيت يتصدى لمن فيه من المؤمنين بالتعذيب والاضطهاد[1]، والمؤمنون يزدادون صموداً وإيماناً بصوت الحق والهدى، الذي دوىٰ به صوت محمد رسول اللّه ﷺ فرددته النفوس الظمأى إلى الخير والانعتاق..

وبسبب التعذيب الجسدي الوحشي، الذي صبَّ على المؤمنين، كانت هجرة الحبشة التي قادها جعفر بن أبي طالب عليه السلام الذي يكبر علياً عليه السلام أخاه بعشر سنين وكان لجعفر وحكمته الأثر الفعال في إفشال مخطط قريش في إثارة ملك الحبشة على المهاجرين لطردهم من بلاده[2].

ابو طالب يتصدى لأعداء الرسالة:

واذا كانت قريش قد تصدت للسابقين من المؤمنين بالعنف والاضطهاد، فانها ليست قادرة على التصدي لرسول اللّه ﷺ، قائد الدعوة ورسولها، بنفس المستوى، لعلمها أن أبا طالب شيخ الابطح، يحول دون تحقيق أي لون من ألوان التصدي والارهاب لرسول

---

(١) المصدر السابق يراجع الفصل الاول أيضاً وتلاحظ الوثيقة رقم (٦) في الملحق.

(٢) نفس المصدر المذكور.

اللّه ﷺ.

فأبو طالب، رجل مرهوب الجانب، ذو سطوة ونفوذ، ليس في بني هاشم وحدهم، وانما في قبائل مكة كلها.

وقد كان الرجل سند الدعوة وجدارها الشامخ، الذي تستند إليه منذ تباشير فجرها الزاهر.. وقريش، كانت تدرك ذلك تماماً.

ومن أجل ذلك، سلكت أسلوب المفاوضة، والمساومة والاغراء: تفاوض الدعوة الألٰهية في شخص الرسول ﷺ مرة، وفي شخص أبي طالب مرة أخرى.. فحين كانت تعرض المال والسلطان على رسول الله ﷺ، مقابل تركه للدعوة، والتنازل عن الرسالة، فانها كانت تفاوض أبا طالب، وتحاوره بشأن دعوة الرسول ﷺ، طالبة أن يستعمل نفوذه، بالضغط عليه، لترك رسالته، وتهدده باحتدام الصراع بينه وبين قريش كلها، اذا لم يخلِّ بينهم وبين رسول الله ﷺ، ويكف عن اسناده له.

بيد ان أبا طالب، كان يعلن اصراره على التزام جانب رسول الله ﷺ، والذود عنه، مهما غلا الثمن، وعظمت التضحيات[1].

ابو طالب ورسول اللّه ﷺ في الحصار

ولما استبد اليأس بقريش، من أن أبا طالب لن يفرّط برسول الله ﷺ ودعوته، عقد زعماؤها اجتماعاً طارئاً في دار الندوة ـ وهي دار قصي بن كلاب، التي اعتادت قريش أن تجتمع فيها للتشاور في

---

(١) راجع كتاب: ابو طالب الصحابي المفترى عليه: للمؤلف.

القضايا المصيرية من حياتها فتوصل المجتمعون إلى قرار، يقضي بحصار بني هاشم، ومن يلوذ بهم، حصاراً اقتصادياً واجتماعياً، ينصب على عدم مبايعة بني هاشم أو الشراء منهم، أو تزويجهم، أو التزوج منهم، وقد ذيل قرار المقاطعة ذلك بأربعين توقيعاً لزعماء قريش..

ودخل بنو هاشم شعب أبي طالب، بناء على أوامر من عميدهم أبي طالب ذاته، حماية لأنفسهم من سطوة قريش وغدرهم وأصبح من المتعذر عليهم الخروج إلى مكة، إلا في موسم العمرة في رجب، وموسم الحج في ذي الحجة من كل عام. وبالنظر لتفاقم الموقف بين بني هاشم وقريش، شدد أبو طالب الحراسة على الشعب، بعد تحصينه، خشية هجوم قريشي مباغت..

لقد وضع أبو طالب (رض) خطة حكيمة لحماية النبي ﷺ ذاته من أية محاولة لاغتياله من المتسللين إلى الشعب الذين يبغون شراً برسول الله ﷺ، حتى اذا نام رسول الله في موضع معلوم، غيّر مكانه بعد أن تنام العيون، وأنام ولده علياً عليه السلام مكانه، احتياطاً للأمر وتفويتاً للفرص على قريش وحلفائها.

واستمر الحال ببني هاشم ـ بما فيهم رسول اللّه ﷺ وعلي ابن أبي طالب عليه السلام هكذا ثلاث سنين ـ وقيل اربعاً ـ وقد عانوا من شظف العيش، والحرمان والفاقة، وما يدمي القلب، ويحز في النفس.

ولك ان تقدر حجم ما عانى المحاصرون من ضيق، اذا علمنا ان

قريشاً قد شدّدَت عليهم الحصار بشكل كامل، فقطعت عنهم التموين ووصول الأرزاق، وكانت غالباً ما تضاعف أثمان البضائع، ليعجز بنو هاشم عن شرائها بشكل أدى بهم إلى المجاعة الحقيقية، حتى أن صراخ اطفالهم وتضورهم جوعاً كان يسمع من بعيد..

وبعد ان تصرمت السنون الثلاث، بعسرها وآلامها وفاقتها، أخبر رسول اللّه ﷺ عمه أبا طالب أن صحيفة المقاطعة التي كتبتها قريش قد أتت دودة الارضة على ما فيها من ظلم وقطيعة فأكلتها، إلّا عبارة «باسمك اللّهم» فأسرع أبو طالب إلى قريش وأخبرهم، قائلاً:

«.. ان ابن أخي أخبرني ان اللّه قد سلط على صحيفتكم الارضة فأكلتها، غير اسم اللّه، فإن كان صادقاً نزعتم عنه سوء رأيكم، وان كان كاذباً دفعته اليكم..»[1].

قالوا: قد أنصفتنا.. ثم فتحوا صحيفة المقاطعة فإذا هي كما قال الرسول ﷺ ووقع نزاع حاسم بين قريش، نتج عنه تمزيق الصحيفة وانتهاء المقاطعة، ورفع الحصار عن بني هاشم، وقد كان لافشال مشروع الحصار بذلك الشكل الاعجازي الجلي أثره في كسب الدعوة الأهية للمؤيدين، والأنصار في مكة..

---

(١) بحار الأنوار ج ١٩ باب دخول الشعب، طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٧٣، ١٩٢، سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٩٩ ـ ٤٠٤ وعيون الاخبار لابن قتيبة ج ٢ ص ١٥١، تاريخ ابن كثير ج ٣ ص ٨٤، ٩٦، ٩٧، السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٥٧ ـ ٣٦٧ الكامل لابن الاثير ج ٢ ص ٣٦ والغدير ج ٧ ص ٣٦٣ ـ ٣٦٦.

أرأيت كم من التضحيات في سبيل رسالة اللّه، بذل بيت علي عليه السلام ؟

فاذا كان علي أول من لبى صوت الحق، وظل مجاهداً في الصف الأمامي من الجبهة الإسلامية طوال حياته، فان أباه قد ضحّىٰ حتى بمكانته الاجتماعية التي كان يحظى بها في قريش، وذاق المحن من أجل رسالة اللّه تعالى، حتى كان بحق الدرع الواقي للرسول صلى الله عليه وآله، والدعوة في حين كانت المكانة الاجتماعية: حلم الرجال ومبتغاهم في ذلك المجتمع القبلي المادي..

وهكذا كان جعفر بن أبي طالب، الأخ الشقيق لعلي عليه السلام الذي دشن حياته الإسلامية بقيادة موكب الهجرة الاولى إلى الحبشة وتوَّجها بالشهادة في غزوه مؤتة.. ففاز بلقب الطيار مع الملائكة في الجنة كما اخبر رسول اللّه صلى الله عليه وآله بذلك[1]...

ومن المناسب أن نشير أن رسول اللّه صلى الله عليه وآله كان عظيم الحب لجعفر حتى أنه حين قدم المدينة المنورة من الحبشة، وذلك يوم فتح خيبر، استقبله الرسول صلى الله عليه وآله وقبل ما بين عينيه، وهو يقول صلى الله عليه وآله : «ما أدري بأيهما انا اشد فرحاً بقدوم جعفر؟ أم بفتح خيبر»[2].

---

(١) بحار الأنوار ج ٢١ باب غزوة مؤتة، ابن سعد في طبقاته ج ٤ ص ٢٣ وأسد الغابة ج ١ ص ٢٨٧، ابن أبي الحديد ج ٢٣، ص٤٠٧، البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٥٦، الاستيعاب ج ١، ص ٨١، ومقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصبهاني باب ذكر مقتل جعفر بن أبي طالب ص ١٠ وما بعدها ط / ١٩٧٠.

(٢) نفس المصدر السابق.

إلى دار الإسلام

وفي خضم الصراع العنيف، الناشب بين الدعوة الالهية المباركة، والجاهلية الرعناء، فجع الإسلام بفقد مؤمن قريش: أبي طالب عليه السلام فاهتز رسول اللّه صلى الله عليه وآله للحادث الأليم، وعلم أن قريشاً ستعمل كل وسعها على تصعيد حملتها على المؤمنين، وعلى شخصه الكريم بالذات..

واذا كانت قريش تخشى أبا طالب، ومركزه الاجتماعي، فيما مضى، فقد صفا لها الجو بعد موته، وها هو رسول اللّه صلى الله عليه وآله يفقد سنده الشامخ، ويصاب بعده بفاجعة أخرى لاتقل في تأثيرها عليه من الأولى، فقد توفيت زوجته الوفية أم المؤمنين خديجة، حتى دعا العام الذي فقدهما فيها «عام الحزن».

وللأهمية البالغة، التي يحتلها أبو طالب، في سير الحركة التاريخية لدعوة اللّه تعالى، صرح رسول اللّه صلى الله عليه وآله بقوله:

«مازالت قريش كاعةً عني حتى مات أبو طالب»[1].

وصعدت قريش حملتها على رسول اللّه صلى الله عليه وآله والسابقين من المؤمنين بشكل واسع خطير، فاتجه رسول اللّه صلى الله عليه وآله للبحث عن أرض غير مكة، تستقر عليها دعوة اللّه، فتنمو عليها شجرة الهدى، وراح يتصل بالقبائل، ويعرض أمره على الناس في أطراف مكة... ثم زار

---

(١) تأريخ الطبري ج٢ ص٢٢٢، تاريخ ابن عساكر ج١ ص٢٨٤، مستدرك الحاكم ج٢ ص٦٢٢، تاريخ ابن كثير ج٣ ص١٢٢: «نقلاً عن الغدير ج٧ ص٣٧٦» وكشف الغمة في معرفة الأئمة ج١ ص١٦٢... وغيرها.

الطائف، واتصل بزعماء قبائلها، فلم يستجب له أحد ذو أثر اجتماعي، بيد أن اليأس لم يتسرب إلى نفسه، أبداً، فاستمر في عرض دعوته على الناس خارج مكة، حتى التقى في موسم الحج بنفر من أهل يثرب، وعرض عليهم رسالته، فاستجابوا له، ولبوا دعوة اللّه، وعادوا يحملون كلمة اللّه إلى قومهم.

وفي العام التالي قدم منهم اثنا عشر رجلاً فبايعوه على الإيمان وحمل الرسالة، فأرسل لتعليمهم احكام دين اللّه تعالى: مصعب ابن عمير، فمكث فيهم سنة كاملة يدعوهم إلى اللّه ويؤدبهم بتعاليم رسالته، ويقرئهم القرآن الكريم فدخل الكثير من الناس في الإسلام، واستجابوا لنداء الدعوة الألهية المباركة..

وفي موسم الحج حضر منهم إلى مكة وفد كبير يقوده مصعب بن عمير، فالتقوا برسول اللّه ﷺ، وبايعوه على النصرة ان هو هاجر إلى بلدهم..

وتنزل أمر اللّه تعالى يدعو المسلمين إلى الهجرة، فزحفت مواكب المهاجرين صوب الدار الجديدة مخلفين وراءهم المال والوطن وعلائق الدم والقربىٰ من اجل اللّه، ورسالته العظمى.

ولئن كانت الدعوة قد أوشكت على الدخول في مرحلة جديدة من مراحل مسيرتها العتيدة، فأن قريشاً، قد اجتمعت في دار الندوة للتشاور بشأن رسول اللّه ﷺ بالذات، فتوصل قادتها إلى قرار يقضي باغتيال جماعي لرسول اللّه ﷺ يتولاه من كل قبيلة رجل منها كما وينفذ ذلك العمل الجبان المفترض تحت جنح

الظلام!

وبيان سماوي مبارك كشف جبريل عليه السلام لرسول اللّه صلى الله عليه وآله أوراق الجريمة التي اجمعت قريش على اقترافها.

﴿واذ يمكر بكَ الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر اللّه واللّه خير الماكرين﴾. (الانفال / ٣٠)

في فراش رسول اللّه صلى الله عليه وآله

وأبلغ جبرئيل عليه السلام رسول اللّه صلى الله عليه وآله بأمر اللّه تعالى بضرورة هجرته إلى المدينة المنورة.. وحين أنتشر الظلام، أسرع المتآمرون لتطويق بيت الرسول صلى الله عليه وآله للحيلولة دون افلاته من قبضتهم!.. وعندها جاء دور علي عليه السلام ليلتحف ببردته، وينام في فراشه، وخرج رسول اللّه صلى الله عليه وآله من بين الكائدين وهو يتلو قوله تعالى:

﴿وجعلنا من بين ايديهم سدّاً ومن خلفهم سدّاً فاغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ (يس / ٩)

فلم يشاهده أحد من المشركين، ولم يشعر بخروجه من بينهم! وعند الساعات الأخيرة من الليل اقتحم المتآمرون الغادرون دار رسول اللّه صلى الله عليه وآله لتنفيذ جريمتهم، واتجهوا لغرفته، فوثب علي عليه السلام في وجوههم قائلاً: ما شأنكم؟

قالوا: أين محمد؟

قال: «أجعلتموني عليه رقيباً؟ ألستم قلتم نخرجه من بلادنا فقد

خرج عنكم»[1].

فانقلبوا خاسرين وباءوا بالفشل الذريع... وقد كان واضحاً عند الجاهلين ان رسول اللّه ﷺ ـ لتميز علاقته به ـ لا يمكن ان يغادر مكة دون علي عليه السلام أبداً، ولذا فأن الأمر قد اختلط عليهم ووقعوا في حيرة شديدة حين وجدوا علياً مضطجعاً في فراش رسول اللّه ﷺ:

فقد روىٰ ابن الأثير في أسد الغابة مايلي: ان النبي ﷺ قال لعلي ليلة الهجرة: ان قريشاً لم يفقدوني ما رأوك، فلما أصبح، ورأوا علياً، قالوا: لو خرج محمد لخرج بعلي معه[2]. وهكذا كانت هجرة النبي ﷺ، وابقاء علي عليه السلام في فراشه جزءً من خطة رسول اللّه ﷺ لأرباك قريش، وافشال مكائد دار الندوة!!

ثم بدا لهم بعد ذهول طويل أن يبحثوا عن الرسول ﷺ ويجدوا في طلبه في الجبال والوديان، واصطحبوا لذلك أبا كرز، وهو رجل شهير بعلم معرفة الأثر، وبالفعل استطاع أبو كرز أن يتابع أثر الرسول ﷺ حتى أوصل القوم إلى غار جبل «ثور» مؤكداً لهم أن محمداً ﷺ قد وصل في نهاية شوطه إلى ذلك الغار، واذن فلابد ان يكون قد عرج إلى السماء أو اختفى تحت الأرض[3]، وحيث أن اللّه سبحانه وتعالى قد بعث عنكبوتاً فنسجت بيتاً لها على باب الغار، فان المتآمرين لم يخطر ببالهم أن الرسول ﷺ في داخل الغار الذي يقفون على بابه، وهكذا صرف

---

(١) تفسير سورة الانفال آية ٣٠ يراجع الميزان ج ٩ بحث روائي ص ٨٠.

(٢) أسد الغابة ٤: ٩٦.

(٣) الميزان ٩: ٨٠.

اللّه عقولهم فولوا الأدبار وعادوا خائبين.

وعند حلول الليلة الثانية أسرع علي عليه السلام وهند بن أبي هالة إلى الغار للاتصال بالرسول صلى الله عليه وآله تحت جنح الظلام[1] فدار بين رسول اللّه صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام حديث حول مستلزمات الهجرة وشؤونها... فأوصاه رسول اللّه صلى الله عليه وآله بأداء الامانات إلى أهلها، وباللحوق به صلى الله عليه وآله بعد اداء تلك المهمة، وأوصاه أن يحمل معه فاطمة الزهراء عليها السلام ومن معها من نساء أهل البيت..

الانتظار في قبا

وبعد أيام من مسيرة الركب وصل الرسول صلى الله عليه وآله إلى «قبا» حيث نزل عند كلثوم بن الهدم أحد زعماء بني عمرو بن عوف[2]، وهناك أقام الرسول صلى الله عليه وآله ومكث ينتظر قدوم علي بن أبي طالب عليه السلام[3]، إذ كتب إليه كتاباً يأمره بالمسير إليه، وقد حمل الكتاب أبو واقد الليثي، وحيث أن علياً عليه السلام قد أدى ما أوصاه به رسول الله صلى الله عليه وآله قبل هجرته وأعاد الأمانات التي كانت لدى الرسول صلى الله عليه وآله إلى أهلها، فقد عجل باللحاق بأخيه رسول الله صلى الله عليه وآله فبادر إلى اعداد ركائب لحمل النساء، فكنَّ: فاطمة بنت رسول الله، وفاطمة بنت أسد، وفاطمة بنت حمزة وفاطمة

---

(١) أعيان الشيعة ج ٣ ط / ٣ ص ١٥٥.

(٢) الروضة من الكافي ج ٨ ص ٣٣٩، للكليني ط ـ طهران.

(٣) الفصول المهمة فى معرفة الائمة / ابن الصباغ المالكي «فصل فى شيء من شجاعته ص ٢٨».

بنت الزبير بن عبدالمطلب.

ثم أمر ضعاف المؤمنين أن يتسللوا ليلاً إلى ذي طوى وخرج هو والفواطم وأيمن وأبو واقد الليثي نهاراً[1].

ولم تمضِ غير أيام قليلة حتى وصل ركب علي والفواطم إلى قبا، فاستقبلهم رسول الله ﷺ وعانق علياً عليه السلام وبكى رحمة به ـ وذلك لما ألم به من ارهاق وأذى ـ.

وبعد مقدم علي عليه السلام على رسول الله ﷺ بيومين ارتحل الرسول ﷺ وبصحبته علي عليه السلام ومن معه من المهاجرين إلى المدينة المنورة...

وكان الركب النبوي يستقبل استقبالاً مهيباً عند كل حى يمر به.. حتى إذا وصل الرسول ﷺ إلى المكان الذى أقيم مسجده فيه توقفت راحلته عن المسير فنزل عنها، وأقام ضيفاً عند أبي أيوب الأنصاري (رض).. ثم بادر إلى بناء المسجد والدور الخاصة به وبأهل بيته، وفي طليعتهم علي عليه السلام إذ أقيمت حجرته بجنب حجرة عائشة[2].

---

(١) أعيان الشيعة: ج ٣ ط ٣ ص ١٥٥ «هجرته إلى المدينة».

(٢) أعيان الشيعة: ج ٣ ط ٣ ص ١٥٥ «هجرته إلى المدينة».

مهمات ما بعد الهجرة!

استقبلت المدينة عهداً جديداً من تاريخها بوصول رسول الله ﷺ إليها حيث أرسى ﷺ قواعد دولة القرآن، وعمل على تحصينها لتكون مناراً يشع نور الحق إلى الآفاق فيبدد ظلام الجاهلية الحالك..

وإذا كانت الرسالة الألهية بعد الهجرة قد امتلكت دولة وفرت لها الكثير من شروط الحماية والتحصين، فأن ذلك لا يعني بحال أن مكر الأعداء وخططهم لاطفاء نور الإسلام قد انتهى بل العكس هو الذى كان، فالجاهلية بقواها المتعددة وواجهاتها الكثيرة قد أجمعت على حرب الإسلام ودولة الإسلام، وقد دخلت فصائل كثيرة إلى الميدان لغير صالح الإسلام، بعد أن أدركت عملياً أن وجودها في خطر بعد امتلاك الإسلام الدولة التي ترعاه ويحقق أهدافه الكبرى من خلالها..

وهكذا كانت مرحلة ما بعد الهجرة قد وضعت المسلمين أمام مسؤوليات أوسع ميداناً وأبعد خطراً، حيث بناء الدولة وحمايتها وبناء المجتمع وترصينه، وصدالأعداء ونشر العقيدة وغير ذلك من مهام كبرى..

والصراع بطبيعته قد تحول من صراع أفراد أو ارهاب قبائل،

وأصحاب وجاهات ضد أفراد عزل لا يملكون غير دينهم وثقتهم بالله تعالى.. إلى صراع عسكري منظم بين قوى جمعتها المصالح والأهواء ولو آنياً لحرب الإسلام العظيم باعتباره ـ وبتقديرهم ـ الخطر الماحق لوجودهم الفكري والعملي.. وقد تفجر الصراع العسكري بشكل لم يشهد له تاريخ الجزيرة العربية مثيلاً!.

وحسبك أن دولة القرآن قد شهدت عبر عشر سنوات عاشها الرسول ﷺ بعد هجرته إلى المدينة عشرات من الأعمال العسكرية بين حروب دفاعية أو هجومية أو غزوات أو سرايا أو غيرها.. قدم المسلمون خلالها الكثير من الضحايا ولاقوا صنوفاً من البلاء، بيد أنهم قد أنهوا الوجود العملي للجاهلية العربية بعون إلهي مشهود.. فشملت دولة الإسلام الجزيرة العربية دون منازع..

وإذا تتبعنا تلك المرحلة الدقيقة من عمر الرسالة الخاتمة لوجدنا أن دور علي بن أبي طالب عليه السلام فيها لم يرقَ إليه دور قط.. فهو في جميع حروب الإسلام ضد أعدائه كان يفوز بقصب السبق لا من باب اشتراكه فى الحرب أو قتاله فيها، وانما بما قدمه من بطولة وتضحية يسبق بها سواه.

ومن المناسب هنا أن نذكر طرفاً من بطولته عليه السلام: بعرض موجز سريع.

١ ـ في معركة بدر:

كان عدد المسلمين ـ في تلك المعركة ـ يساوي ثلث جيش عدوهم وكانت العدة لدى المسلمين ليست ذات بال فعلى سبيل المثال كانوا لقلة

ركائبهم يركب منهم الاثنان والثلاثة والأربعة على بعير واحد، ولم يكن منهم فارس غير المقداد بن الأسود الكندي، وكانت أسلحة بعضهم من جريد النخل ونحوه..

حتى إذا اضطرمت نار الفتنة تقدم بطل المسلمين علي عليه السلام وكان يحمل لواء الرسول صلى الله عليه وآله[1] فخاض غمار معركة حامية غير متكافئة، كان المسلمون خلالها يستغيثون ربهم طلباً للنصر فاستجاب لهم وأمدهم بالملائكة، وقد انتهت المعركة بمقتل سبعين رجلاً من المشركين كان مقتل حوالى نصف عددهم بسيف علي عليه السلام[2].

٢ ـ وفي معركة أُحد:

كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد أعطى لواء المهاجرين لعلي عليه السلام ولمّا اشتبك الطرفان كان النصر ابتداء للمسلمين، بيد أن حماة جبل أحد الذين أمرهم الرسول صلى الله عليه وآله بعدم مفارقته تركوا أماكنهم بعد فرار المشركين بدافع الطمع فى الغنائم، فصعدت احدى فرق المشركين بقيادة خالد بن الوليد الجبل فتغير الموقف لصالح المشركين، فخسر المسلمون الكثير من الشهداء.. وأصيب الرسول صلى الله عليه وآله بجروح في وجهه الكريم كسرت رباعيته، وحيث لم يبقَ مع رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك الموقف الرهيب بعد فرار المسلمين غير علي عليه السلام وأبى دجانة وسهل بن حنيف، استبسل علي عليه السلام كعادته في الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وآله ومجد الرسالة الإلهية،

---

(١) أحمد بن يحيى البلاذري في أنساب الاشراف ج ٢ ص ٩١ و ٩٤ ط ١ سنة ١٩٧٤ بيروت، ومستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١١١، وابن سعد فى الطبقات ج ٣ ص ١٥.

(٢) حياة أمير المؤمنين، محمد صادق الصدر ط ٢ سنة ١٩٧٢ ص ٢٣٠.

وقتل حملة اللواء من المشركين واحداً بعد الآخر، وكانوا تسعة رجال ثمانية من بني عبدالدار وتاسعهم عبدهم[1]. مما أربك العدو فاضطر للفرار.

٣ ـ وفي غزوة الأحزاب:

طوقت المدينة بعشرة آلاف من المشركين[2] بشتى فصائلهم، ونقض بنو قريظة صلحهم مع رسول الله ﷺ وانضموا إلى صفوف الغزاة، فتغير ميزان القوى لصالح العدو، وبلغ الذعر في نفوس المسلمين أيما مبلغ، فقد زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وزلزلت نفوس، وظنت نفوس بالله الظنون ـ كما حدثنا القرآن ـ[3].

وبدأ العدو هجومه بعبور عمرو بن عبد ود العامري أحد ابطال الشرك الخندق مع بعض رجاله، فهددوا المسلمين في داخل المدينة بل في داخل تحصيناتهم.. وراح ابن عبد ود يصول ويجول، ويتوعد المسلمين ويتفاخر عليهم ببطولته، ويستعلي وينادي:

هل من مبارز؟

فقام علي عليه السلام وقال: أنا له يا رسول الله.

قال رسول الله ﷺ: أجلس انه عمرو!

---

(١) تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٧، وأحمد بن حنبل في الفضائل، وابن هشام في السيرة النبوية ج ٣ ص ٥٢ ودلائل الصدق، الشيخ محمد حسن الظفر ج ٢ ص ٣٥٧ ط قم. وحياة أميرالمؤمنين، السيد الصدر ص ٢٣٦ وما بعدها والارشاد للمفيد ص ٥٢.

(٢) راجع الفصل الثاني من سيرة المصطفى(ص) للمؤلف ط بيروت.

(٣) تراجع سورة الأحزاب ١٠.

وكرر ابن عبد ود النداء وجعل يوبخ المسلمين، ويسخر بهم ويقول: أين جنتكم التي تزعمون، أن من قتل منكم يدخلها، أفلا تبرزون لي رجلاً؟

ولما لم يجبهُ أحد من المسلمين، كرر علي عليه السلام طلبه: أنا له يا رسول الله.

فقال صلى الله عليه وآله أجلس انه عمرو!

فأبدى علي عدم اكتراثه بعمرو وغيره، قائلاً: وان كان عَمراً!!

فأذن رسول الله لعلي عليه السلام، وأعطاه سيفه ذا الفقار، وألبسه درعه، وعممه بعمامته..

ثم قال صلى الله عليه وآله: «اللهم هذا أخي وابن عمي، فلا تذرني فرداً، وأنت خير الوارثين»[1].

ومضى علي عليه السلام إلى الميدان، وخاطب ابن عبد ودّ بقوله:- يا عمرو انك كنت عاهدت الله، أن لا يدعوك رجل من قريش إلى احدى خلتين إلّا قبلتها..

قال عمرو: أجل

فقال علي عليه السلام: فاني أدعوك إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وآله وإلى الإسلام.

فقال: لا حاجة لي بذلك.

قال له الإمام: فاني أدعوك إلى البراز.

فقال عمرو: اني أكره أن أهريق دمك،وان أباك كان صديقاً لي..

فرد عليه الإمام عليه السلام قائلاً: لكني والله أحب أن أقتلك، فغضب

---

(١) السيرة النبوية، أحمد زيني دحلان ج ٢ ص ٦ ـ ٧، غزوة الخندق.

عمرو،وبدأ الهجوم على علي عليه السلام فصده الإمام برباطة جأشه المعتاد، وأرداه قتيلاً، فعلا التكبير، والتهليل في صفوف المسلمين[1].

ولما عاد الإمام عليه السلام ظافراً استقبله رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول: «لمبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن عبد ودّ، أفضل من عمل أمتي إلى يوم القيامة»[2].

وبعد مقتل ابن عبد ودّ بادر علي عليه السلام إلى سد الثغرة التي عبر منها عمرو ورجاله الخندق ورابط عندها[3]، مزمعاً القضاء على كل من تسول له نفسه العبور، ولولا ذلك الموقف البطولي لاقتحم جيش المشركين المدينة على المسلمين، بذلك العدد الهائل.

وهكذا كانت بطولة علي عليه السلام في غزوة الأحزاب أهم عناصر النصر للمعسكر الإسلامى، وانهزام المشركين.

٤ ـ وفي غزوة خيبر:

عجز علية القوم عن الصمود أمام اليهود، ولما بان ضعف الجميع عن اقتحام حصون خيبر حتى تأخر فتحها أياماً قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لأعطيَنَّ الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كراراً غيرَ فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه..»[4] حتى تطلع بعض

---

(١) المصدر السابق.

(٢) مستدرك الصحيحين ٣ ص ٣٢ عن سفيان الثوري ورواه الخطيب البغدادي فى تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٩.

(٣) السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٦ ـ ٧، غزوة الخندق، وارشاد المفيد ص ٥٨.

(٤) أنساب الأشراف ج ٢ ص ٩٣ ـ ٩٤ عن أبي هريرة وابن عباس بلفظ متشابه، وخصائص

الصحابة أن يكون هو المقصود بهذه الكرامة!

ولما كان الغد أعطاها علياً فاقتحم حصون خيبر ودخلها عليهم عنوة، وقتل بطلهم «مرحباً» ثم فتح الحصون جميعاً وتحقق نصر اللّه على يديه..

٥ ـ وفي غزوة حنين:

فوجئ المسلمون ـ وكانوا أثني عشر ألفاً ـ بكمائن المشركين في الجبال ونباهم، ففروا وذعروا، وخلّوا بين رسول الله ﷺ وأعدائه! فلم يبقَ مع رسول الله ﷺ غير علي عليه السلام[1] والعباس وبعض أهل البيت عليهم السلام فكان النصر بعد عودة المسلمين لميدان القتال.. وكان الظفر..

هذه صورة يسيرة من مواقف الصمود التي سجلها الإمام علي عليه السلام بين يدي رسول الله ﷺ في أدق الساعات وأكثرها حرجاً[2].

ومن نافلة القول أن نعيد إلى الأذهان أن علياً عليه السلام قد اشترك في غزوات رسول اللّه ﷺ، وحروبه كلها، غير تبوك[3] وذلك بأمر من

علي بن أبي طالب للنسائي ص ٩ وما بعدها ط ١ ١٩٧٥ بيروت وفي الاصابة والاستيعاب وحلية الأولياء ومسلم في الصحيح بألفاظ متقاربة.

(١) سيرة الرسول للسيد محسن الأمين نقلاً عن السيرة الحلبية وابن قتيبة في المعارف، وتفسير الميزان للسيد الطباطبائي ج ١٠ تفسير آية ٢٥ من التوبة والبحث الروائي، والارشاد للمفيد «غزوة حنين» ص ٨١.

(٢) للاستزادة يراجع كتاب الإمام علي، عبد الفتاح عبد المقصود وأعيان الشيعة المجلد الثالث، للسيد محسن الأمين، والارشاد للشيخ المفيد، وسيرة ابن هشام والفصول المهمة في معرفة الأئمة لابن الصباغ المالكي.

(٣) راجع أنساب الأشراف للبلاذري ج ٢ ص ٩٢ ط ١٩٧٤، ومستدرك الصحيحين ج ٣

الرسول ﷺ بذاته، وكان له في جميعها القدح المعلى، هذا عدا الغزوات التي قادها بنفسه عليه السلام.

والباحث المنصف حين يتناول حياة الإمام علي عليه السلام بالدراسة، وفي شطرها الجهادي بالذات يقف مذهولاً أمام بطولته الفريدة وتضحياته المعطاءة، لكن البطولة بما هي بطولة ليست هي الميزة الأساسية في جهاد علي عليه السلام وان كان ميدانهاالواسع وشمولها يبقى سمة من سمات علي امير المؤمين عليه السلام ولكن الأهم فيها انما هو الاخلاص لله تعالى والتضحية في سبيله دون سواه.

فإيمان علي عليه السلام بالله تعالى يبقى هو الحافز والمحرك لتلك البطولات العظيمة التي سجلها تاريخ الإسلام في أنصع صفحاته بشكل لم يسجل مثلها لسواه.

وحسبك في ذلك أن كثيراً من المواقف العسكرية ـ كما رأينا ـ يتعرض فيها علِيّة القوم فضلاً عن عامتهم للوهن بل والهزيمة النكراء غير أن التاريخ لم يسجل لعلي عليه السلام إلّا الصمود والفداء والتضحية في كل موقف صمد الناس فيه أم انهزموا، الأمر الذي لا يفسره إلّا ما يتمتع به علي عليه السلام من صدق اليقين وعمق الاستعانة والتوكل على الله والعبودية له واللامبالاة بما سواه كبر ذلك أم صغر.

هذا عدا ما يتمتع به علي عليه السلام من علو الهمة وقوة العزيمة ورباطة الجأش وسمو النفس، والشجاعة المتميزة.

ص١١١، وابن سعد فى طبقاته ج٣ ص١٠ وابن حجر في تهذيب التهذيب ج٣ ص٤٧٥ ولمعرفة المزيد من المصادر راجع فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج٢ ص ٣٠٩.

علي في منظار الإسلام

لم يحظَ رجل في الإسلام ما حظي به علي بن أبي طالب عليه السلام من ثناء واجلال من لدن الرسالة الإسلامية، وحثها المتزايد لاتباعها لا على تقديره وحبه فحسب، وانما على التزامه، وانتهاج سبيله، واتخاذه مناراً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقد انطوى القرآن الكريم والسنة الشريفة والتاريخ الصحيح على نصوص وروايات تنطق كلها بالثناء على علي عليه السلام، والدعوة إلى التمسك بحبله، والذوبان بحبه!

فمرة تأتي كأوسمة يضعها الإسلام على صدره فيميزه عن سواه

ومرة على شكل أحكام وأوامر تلزم المسلمين على التزام علي عليه السلام اماماً ومنهجاً.

فمن أوسمة التقدير التي نالها علي عليه السلام من الله تعالى ومن رسوله صلى الله عليه وآله نذكر منها ما يلي:

١ ـ ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم

تطهيراً﴾. (الأحزاب ـ ٣٣)

فقد قطع المفسرون لهذه الآية: إنها نزلت في رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة الزهراء والحسن والحسين عليهم السلام حين دعا رسول اللّه ﷺ بكساء وجللهم به، ولما نزلت الآية قالت أم سلمة زوجة الرسول ﷺ: هل أنا من أهل بيتك؟

قال: لا ولكنك على خير[1].

وآية التطهير اعظم شهادة من اللّه عزّ وجل على طهارة الخمسة الهداة، وعصمتهم في القول، والعمل، وما يتبع ذلك من ضرورة التمسك بحبلهم المتين.

٢ ـ ﴿فَمَن حَاجَّكَ فيهِ مِن بَعدِ مَا جَاءكَ مِن العِلمِ فَقُل تَعَالَوا نَدعُ أبنَاءَنَا وأبنَاءَكُم ونِساءنَا وَنِسَاءَكُم وأَنفُسَنَا وأنفُسَكُم ثُمَّ نَبتَهِل فَنَجعَل لَعنةَ اللهِ عَلَى الكاذِبِينَ﴾ (آل عمران / ٦١)

فقد ذكر أهل التفسير من جميع المسلمين أنها نزلت حين خرج رسول الله ﷺ بعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام لمباهلة نصارى نجران، فلما رآه النصارى قد خرج بأهل بيته خافوا العاقبة واعتذروا

---

(١) راجع صحيح مسلم في كتاب فضائل الصحابة، والحاكم في مستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٤٧ والبيهقي في سنة ج ٢ ص ١٤٩ والسيوطي في الدر المنثور في تفسير الآية، وصحيح الترمذي ج ٢ ص ٢٠٩ وابن حجر في تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٢٩٧ وغيرهم نقلاً عن فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ١ ص ٢٢٤ وما بعدها، وراجع آية التطهير دراسة في الأهداف والمداليل: للمؤلف لتجد مصادر ذلك بدقة ووضوح.

عن مباهلته، فدفعوا الجزية خضوعاً منهم لسلطان دولته ﷺ[1].

وهذه الآية تكشف بوضوح لا غبار عليه مكانة علي وأهل البيت عليهم السلام عند الله ورسوله حيث يقدمهم رسول الله ﷺ بين يدي ضراعته إلى الله عزّ وجل، في هذا التحدي النصراني الجاهل لنبوته، فما أجلّها من مكانة، وما أعظمها من رفعة، وطهر، وسمو..

٣ ـ ﴿وَيُطعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِهِ مِسكيناً وَيتيماً وأسيراً * إنّما نُطعِمكُم لِوَجهِ الله لا نُريدُ مِنكُم جَزَاءً ولا شكوراً * إنّا نَخَافُ مِن رَبّنَا يَوماً عَبوساً قَمطَريرا * فوقيهُم الله شرَّ ذلك اليَوم وَلقّيهُم نَظرَةً وَسُروراً﴾. (الدهر/٨ـ١١)

وهذه الآية باجماع أهل التفسير نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

وكان ذلك عندما مرض الحسنان فنذر علي عليه السلام وفاطمة إن شفي الحسنان، فأن علياً والزهراء عليهما السلام يصومون لله تعالى ثلاثة أيام.

وبعد شفاء الحسنين صام أهل البيت عليهم السلام وفاء بنذرهم.

وعند غروب شمس اليوم الأول طرق الباب عليهم مسكين يشكو جوعه، فأعطوه ما عندهم من خبز الشعير.

وفي اليوم الثانى استطعمهم يتيم فأطعموه بما عندهم.

وفى ثالث أيام النذر سألهم أسير فقدموا له طعامهم، وهكذا بقي

---

(١) صحيح الترمذي ج ٢ ص ٣٠٠ وأحمد بن حنبل في المسند ج ١ ص ١٨٥ والسيوطي في الدر المنثور في تفسير آية المباهلة والزمخشري في كشافه والفخر الرازي في تفسير الكبير، والميزان في تفسير القرآن في تفسير الآية، ويراجع كتاب الزهراء فاطمة بنت محمد(ص): للمؤلف.

أهل البيت عليهم السلام ثلاثة أيام لم يذوقوا فيها غير الماء، فأنزل الله فيهم هذه الآيات الكريمة اعظاماً لشأنهم واكباراً لعملهم[1] ليكونوا القدوة وليكونوا المثال.

والآية المباركة شهادة مخلدة على درجة الأخلاص الرفيعة عند آل محمد صلى الله عليه وآله وحبهم للمستضعفين، ورعايتهم للعباد، حتى وان كلفهم ذلك عنتاً، وخسائر، ثم ان الآية شهادة عظمى على المكانة المميزة التي تنتظرهم في الآخرة، وما اعظمها من شهادة وما أصدقه من قول!

٤ ـ ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ وَعِمَارَةَ المَسجِدِ الحَرَامِ كَمَن آمَنَ بِاللهِ واليومِ الآخرِ وَجَاهَدَ في سَبيلِ اللهِ لا يَستونَ عِندَ اللهِ والله لا يهدي القومَ الظالمينَ﴾. (التوبة / ١٩)

نزلت هذه الآية عندما تفاخر طلحة بن شيبة والعباس بن عبدالمطلب: إذ قال طلحة: إنا أولى الناس بالبيت لأن المفتاح بيدي!

وقال العباس: أنا أولى، أنا صاحب السقاية والقائم عليها.

وفي هذه الاثناء مرّ عليّ بهما وسألهما: بمَ يفتخران. فذكرا له ما قالا.

---

(١) يراجع الزمخشري في كاشفه ج ٢، والواحدي في أسباب النزول، ومجمع البيان للطبرسي في تفسير سورة الدهر، والحافظ محمد بن جرير الطبري كما في الكفاية، وابن عبد ربه في العقد الفريد ج ٣ ص ٤٢ ـ ٤٧، والحاكم النيسابوري ذكره في مناقب فاطمة (عليها السلام) كما في الكفاية، وأبو اسحاق الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان، والآلوسي في روح المعاني، والطبري فى الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٠٧، نقلاً عن الغدير للشيخ الأميني ج ٣ ص ١٠٧ ـ ١١١.

فقال علي عليه السلام: أنا أوتيت منذ صغري ما لم تؤتيا.

فقالا: وما ذاك؟

فقال عليه السلام: لقد صليتُ قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فأنزل الله تعالى الآية المذكورة في الثناء على ما افتخر به علي عليه السلام[1].حيث السابقية إلى الحق والصلاة قبل الناس، وقيادة حركة الجهاد!

وإذا كان القرآن الكريم يثني هذا الثناء الجميل على علي عليه السلام فتعالَ معي إلى السنة الشريفة لنقرأ شيئاً منها في هذا الصدد:

١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»[2].

٢ ـ وقال صلى الله عليه وآله: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»[3].

٣ ـ وقال صلى الله عليه وآله مخاطباً علياً عليه السلام «لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق»[4].

---

(١) تفسير الطبري عن أنس ج ١٠ ص ٥٩، وأسباب النزول للواحدي ص ١٨٢، والقرطبي في تفسيره ج ٨ ص ٩١، والرازي في تفسيره ج ٤ ص ٤٢٢، والخازن في تفسيره ج ٢ ص ٢٢١، وابو البركات النسفي ج ٢ ص ٢٢١، والدر المنثور للسيوطي ج ٣ ص ٢١٨، وغيرهم مع اختلاف في التفاصيل والألفاظ.

(٢) مستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٢٦، ومناقب أحمد بن حنبل وابو عيسى الترمذي في جامعه الصحيح، وكنز العمال ج ٦ ص ٤٠١، وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٢، والخطيب البغدادي في تاريخه ج ٤ ص ٣٤٨: نقلاً عن فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٢ ص ٢٥٠ وما بعدها.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ج ١ ص ١٧٤، ومسند أبي داود ج ٢ ص ٢٨، والبخاري في باب غزوة تبوك ومسلم للترمذي وغير هؤلاء نقلاً عن المراجعات ص ١٣٣ ـ ص ١٣٦.

(٤) صحيح الترمذي ج ٢ ص ٢٢٩، وأحمد بن حنبل ج ٦ ص ٢٩٢، والنسائي ومستدرك

٤ ـ وقال ﷺ يوم المؤاخاة ـ بين المهاجرين والأنصار مخاطباً علياً عليه السلام: «أنت أخي وأنا أخوك فإن ذكرك أحد فقل: أنا عبد الله وأخو رسوله لا يدعيها بعدك إلا كذّاب»[١].

هذه طائفة من النصوص الخاصة بالثناء على علي عليه السلام ومن شاء المزيد فليراجع فضائل الخمسة من الصحاح الستة[٢] وينابيع المودة[٣] ومسند أحمد بن حنبل وفضائل أميرالمؤمنين وامامته من دلائل الصدق[٤] وغيرها.

نصوص الإمامة والوصية

أما النصوص الصريحة القاضية بوجوب التزام علي عليه السلام إماماً وقائداً في دنيا المسلمين فنذكر منها ما يلي:

أ ـ ﴿إنّما وَليكُم الله ورسوله والذينَ آمنَوا الذين يقُيمون الصلواة ويؤتونَ الزكَوة وَهم راكعِونَ﴾ (المائدة / ٥٥)

الصحيحين ج ٣ ص ١٢٩ وغيرهم راجع فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٢ ص ٢٠٧ وغيره.

(١) صحيح ابن ماجه وصحيح الترمذي ج ٢ ص ٢٩٩، والنسائي في الخصائص ص ٣ و ١٨ ومستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٤، ومسند أحمد بن حنبل ج ١، ص ١٥٩ وغيرها مع اختلاف في الألفاظ يسير.

(٢) للسيد الفيروز آبادي.

(٣) للشيخ سليمان الحنفي القندوزي.

(٤) للشيخ محمد المظفر (ره) المجلد الثاني.

قال المفسرون: ان الآية الكريمة نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام[1] فأكدت وجوب الالتزام به إماماً ومرجعاً فكرياً واجتماعياً وسياسياً للأمة، وقد كان سبب نزولها: تصدق علي عليه السلام على مسكين بخاتمه اثناء ركوعه، فالآية انما نزلت بهذه المناسبة، وحين امتدح الله عز وجل تلك الصدقة الخالصة لوجه الله تعالى، استثمرت الآية هذه المناسبة لتؤكد في ذات الوقت إمامة علي عليه السلام، وانه الأولى، بأدارة شؤون العباد وامامتهم وهدايتهم وتولي أمورهم بعد اللّه ورسوله صلى الله عليه وآله[2].

ب ـ خطبة الغدير:

وهي البيان الذي وجهه الرسول صلى الله عليه وآله إلى المسلمين في غدير خم بعد آخر حجة له لبيت الله، لنصب علي بن أبي طالب عليه السلام بأمر اللّه تعالى إماماً للناس وراية هدى بعد رسول اللّه صلى الله عليه وآله، فعن البراء بن عازب قال:

أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم في السنة التي حج، فنزل في بعض الطريق، فأمر: الصلاة جامعة، فأخذ بيد علي فقال: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟».

---

(١) تفسير البيضاوي، ومجمع البيان للطبرسي، وأبو اسحاق الثعلبي في تفسيره، والطبري في تفسيره ج ٦ ص ١٦٥، والواحدي في أسباب النزول ص ١٤٨، والخازن في تفسيره ج ١ ص ٤٩٦، والرازي في تفسيره ج ٣ ص ٤٣١، وأبو البركات النسفي ج ١ ص ٤٩٦، والنيسابوري في تفسيره ج ٣ ص ٤٦١، وابن حجر في الصواعق ص ٢٥ وغيرها نقلاً عن: أعيان الشيعة ج ٣ ق ١ ص ١٣٠ ـ ١٣٤ وخلفاء الرسول الاثنا عشر ص ١٠٣ وما بعدها.

(٢) لدراسة مدلول الآية مفصلاً راجع كتاب: الأمامة في الرسالة الإسلامية: للمؤلف.

قالوا: بلى

قال ﷺ: ألست أولى بكل مؤمن من نفسه؟

قالوا: بلى

قال ﷺ: «فهذا ولي من أنا مولاه، اللهم والِ من والاه، اللهم عادِ من عاداه»[1] وفي لفظ أحمد بن حنبل أن رسول الله ﷺ قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه»[2].

ج ـ قال رسول الله ﷺ «علي مع الحق والحق مع علي لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»[3].

وفي حديث آخر لرسول الله ﷺ يخاطب به عمار بن ياسر (رض) جاء فيه: «.. وان سلك الناس كلهم وادياً وسلك عليٌ وادياً فاسلك وادياً سلكه عليٌ وخلّ الناس طُرّاً..»[4].

---

(١) اللفظ لصحيح ابن ماجة ص ١٢.

(٢) مسند ابن حنبل ج ٤ ص ٢٨١، فقد نص عليه قائلاً رواه ثلاثون صحابياً وأخرجه أيضاً النسائي في خصائص علي بن أبي طالب بعدة طرق والترمذي والطبراني، عن زيد بن أرقم والفخر الرازي في تفسير آية «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك» وكنز العمال ج ١ ص ٤٨، ومستدرك الصحيحين وسواهم، نقلاً عن كتاب الغدير تاليف العلامة الأميني (ره)، راجع المجلد الأول منه للاطلاع على مصادر حديث الغدير تفصيلاً، ويراجع كتاب / حديث الغدير: رواته، ظروفه، قيمته الحضارية: للمؤلف...

(٣) تاريخ البغدادي: ج ١٤ ص ٣٢١، والهيثمي في مجمعه: ج ٧ ص ٢٣٥، وكنز العمال: ج ٦ ص ١٥٧، وتفسير الرازي: ج ١ ص ١١١، وغيرهم مع اختلاف في الألفاظ. نقلاً عن علي والوصية: الشيخ نجم الدين العسكري ص ١١٣.

(٤) تاريخ الخطيب البغدادي: ج ١٤ ص ١٨٦، والهيثمي في مجمعه: ج ٧ ص ٢٣٦، وكنز العمال: ج ٦ ص ١٥٥، مع اختلاف يسير في الألفاظ.

د ـ وقال ﷺ:

«لكل نبي وصي ووارث وأن علياً وصيي ووارثي[1].

هذا غيض من فيض من النصوص الإسلامية الموثوقة المجمع على صحتها، ووثاقتها من جميع المسلمين[2].

---

(١) ينابيع المودة، سليمان الحنفي،بأسانيده «باب عهد النبي لعلي وجعله وصياً» والذهبي في ميزان الاعتدال والسيوطي في اللئالي والديلمي في كنوز الدقائق ومناقب أحمد بن حنبل وكنز العمال: ج٦ ص١٥٤ والمعجم الكبير للطبراني والمحب الطبري في الذخائر وغيرهم نقلاً عن علي والوصية لنجم الدين العسكري ١٩٤.

(٢) ومن شاء المزيد فليراجع ينابيع المودة، للشيخ القندوزي الحنفي والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي وفضائل الخمسة من الصحاح الستة للفيروز آبادي ومسند أحمد بن حنبل وكتاب المراجعات للسيد عبد الحسين شرف الدين وعلي والوصية، للشيخ نجم الدين العسكري والمناقب: أخطب خوارزم الحنفي ومناقب علي بن أبي طالب(ع) لابن المغازلي الشافعي والمناقب: للنسائي، وغيرها.

علي في عهد الخلفاء

.. فاضت نفس رسول اللّه ﷺ في حجر علي عليه السلام[1]، ورحل ﷺ إلى ربه الأعلى، وهو قلق على مستقبل الرسالة والأمة، كما يجسّد ذلك بقوة قوله ﷺ عند زيارته لقبور المؤمنين في البقيع في بداية مرضه الذي قضى فيه: «**السلام عليكم يا أهل القبور، ليهنئكم ما أصبحتم فيه، مما فيه الناس، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع أولها آخرُها..**»[2].

كما يكشف تأكيده المستمر على ضرورة التزام الثقلين: كتاب الله تعالى والعترة الطاهرة[3].

وطلبه في آخر ساعة من حياته أن يؤتى بدواة وكتف ليكتب للأمة

---

(١) مناقب الخوارزمي عن عائشة، ص ٢٩، ومسند أحمد بن حنبل: ج٢ ص ٣٠٠، وذخائر العقبى للمحب الطبري: ص٧٣، وغيرها يراجع علي والوصية: ص٢٠٦ ـ ٢١١.

(٢) أخرجه النسائي وابو داود وابن ماجه وأحمد بن حنبل في مسنده والطبري في تاريخه.

(٣) أخرجه الترمذي برقم ٨٧٤، من أحاديث كنز العمال: ج١ ص٤٤، ومسند ابن حنبل: ج٥ ص١٤٨ وراجع مصادر حديث الثقلين في عبقات الأنوار: السيد حامد حسين والأمامة في الرسالة الإسلامية: للمؤلف.

كتاباً لن تضل بعده أبداً[1] ملخصاً حقيقة الموقف، وطبيعة التكليف الذي ينبغي أن تتمسك به الأمة فشكك الصحابي عمر بن الخطاب بوعي النبي صلى الله عليه وآله، وقال: ان النبي يهجر، حسبنا كتاب اللّه! حيث شهر الصحابي القرآن في وجه رسول اللّه صلى الله عليه وآله، فارتبك وضع الحاضرين فكان بعضهم مع النبي صلى الله عليه وآله في طلبه كتابة الكتاب، وكان بعضهم، يقول: ما قال عمر... فدعاهم رسول اللّه صلى الله عليه وآله للخروج عنه، بعد أن شككوا بوعيه، وجرَّحوا في عصمته..

يقول: الخليفة عمر عن هذه المسألة بعد عقد من الزمان أو يزيد، انه شعر ان النبي صلى الله عليه وآله أراد أن يثبّت امامة علي عليه السلام في كتابه، فمنعته من تنفيذ هذه المهمة، يقول: ولقد أراد في مرضه ان يصرّح باسمه، فمنعته من ذلك[2].

إلى غير ذلك من مصاديق توجسه وقلقه صلى الله عليه وآله على مستقبل المسيرة الإسلامية، بالرغم من احتياطه لتحصين الأمة وتجنيبها من الوقوع في الفتنة.

وما أن فاضت نفس رسول الله صلى الله عليه وآله واشتغل علي عليه السلام وأهل البيت بتجهيزه من أجل مواراة جسده الطاهر في مثواه الأخير، حتى عقدت

---

(١) أخرجه البخاري: ج١، كتاب العلم: ص٢١، ومسلم في آخر الوصايا من صحيحه: ج٣ ص٢٥٩، وأحمد بن حنبل في مسنده: ج١ وغيرهم.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي في احوال عمر مجلد ٣:٩٧ واخرجه الأمام ابو الفضل أحمد بن أبي طاهر في تاريخ بغداد بسنده المعتبر إلى ابن عباس، وتناوله السيد شرف الدين في المراجعات مراجعة ١٠٦ ص٢٩٣ ـ ص٢٩٤، واقرأها مفصلة في كتاب: الصديقة الزهراء بين المحنة والمقاومة: للمؤلف ص٢١ ـ ص٢٣.

الأنصار وبعض المهاجرين اجتماعاً في سقيفة بني ساعدة لتنصيب من يخلف النبي صلى الله عليه وآله في قيادة المسلمين!! خلافاً لما أراد النبي صلى الله عليه وآله، وخطط.

وبعد مناقشات حادة وطويلة سادها جو من التوتر والقلق والعنف والخلاف بادر الصحابي القرشي عمر بن الخطاب إلى بيعة الصحابي القرشي ابي بكر بالخلافة[1]، وطلب من الحاضرين ذلك، ولم يكن علي عليه السلام على علم بما حدث، ولكن النبأ قد انساب إلى مسامعه من خلال الضجيج الذي أحدثه خروج القوم من السقيفة، وهم في طريق توجههم للمسجد النبوي.

وحتى تلك الساعة لا يزال علي وأهل البيت عليهم السلام مشغولين بتجهيز فقيد الأمة العظيم رسول الله صلى الله عليه وآله إذ ظل صلى الله عليه وآله جثمانه الطاهر ثلاثة أيام[2] دون دفن ليتسنى للمسلمين توديعه والصلاة عليه.

ولعدم قناعة الإمام عليه السلام بشرعية ما جرى ظل مؤمناً بحقه في الخلافة، وقاوم ما جرى من احداث بما استطاع إلى ذلك سبيلاً ستة شهور، ولم يسمع له صوت في مايسمى بحروب الردة ولا سواها[3].

ولقد استجدت أمور وأحداث خطيرة تتهدد الإسلام وأمته بالفناء، فقد قوي أمر المتنبئين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله واشتد خطرهم في

---

(١) راجع صحيح البخاري: ج٤ ص١٩٤، وتراجع السقيفة، للشيخ محمد رضا المظفر ونظام الحكم والادارة في الإسلام، لمحمد مهدي شمس الدين للتفاصيل والصديقة الزهراء بين المحنة والمقاومة: للمؤلف.

(٢) تاريخ ابن كثير: ج٥ ص٢٧١، وتاريخ أبي الفداء: ج١ ص١٥٢، نقلاً عن الغدير: ج٧ ص٧٥.

(٣) السقيفة: ص١٦٠، ط٤ـ١٩٧٣ بيروت، والصديقة الزهراء بين المحنة والمقاومة للمؤلف.

الجزيرة العربية من أمثال: مسيلمة الكذاب، وقبله طلحة ابن خويلد الأفاك وسجاح بنت الحرث الدجالة وغيرهم وصار وجودهم يشكل خطراً حقيقياً على الدولة الإسلامية.

واشتد ساعد المنافقين وقويت شوكتهم في داخل المدينة وكان الرومان والفرس للمسلمين بالمرصاد[1].

هذا عدا عن ظهور التكتلات السياسية في المجتمع الإسلامى على أثر بيعة السقيفة.

ولقد تعامل الإمام عليه السلام مع الخلافة حسب ما تحكم به المصلحة الإسلامية حفظاً للإسلام وحماية للجامعة الإسلامية من التمزق والضياع، وتحقيقاً للمصالح العليا للمسلمين التي جاهد من أجلها.

وللإمام علي عليه السلام حديث حول عوامل موقفه المعلن من الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله جاء فيه: «..فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً، تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم التي انما هي متاع أيام قلائل، يزول منها ما كان، كما يزول السراب أو كما ينقشع السحاب، فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق واطمأن الدين وتنهنه»[2].

---

(١) المراجعات، للحجة السيد شرف الدين: ص ٣٠٢.

(٢) من كتاب له إلى أهل مصر مع مالك الأشتر حين ولاه امارتها: ص ٤٥١، من نهج البلاغة تبويب الدكتور صبحي الصالح: ط ١ـ١٩٦٧ بيروت.

بيد أن صوت علي عليه السلام كان يعلو عندما يستشار ويجهر عندما يستفتى، وقد تصدى ـ في هذا المضمار ـ لتوجيه الحياة الإسلامية، وفقاً لما تقتضيه رسالة الله تعالى في الحقول التشريعية والتنفيذية والقضائية.

ومن أجل ذلك فأن الباحث التاريخي في حياة الإمام عليه السلام لا يلبث إلا أن يلتقي مع مئات المواقف والأحداث ـ في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ـ التي لا تجد غير علي عليه السلام مدبراً لها ومعالجاً وقاضياً بأمر الشريعة فيها.

والخلفاء الثلاثة لم يروا بداً من استشارته إذا التبست عليهم الأمور، وهكذا تجده ـ مرة ـ مرشداً للحكم الإسلامى الصحيح في أمر ما ومرة تجده قاضياً في شأن من شؤون الأمة، وأخرى موجهاً للحاكم الوجهة التي تحقق المصلحة الإسلامية العليا، بيد أنه مع كل ذلك لم يعمل في منصب من مناصب الدولة أبداً كأحدِ أساليبه في سلب شرعية الحكم المذكور.

وبمقدرونا أن نلمس دوره الرسالي إذا طرحنا بعض مفردات منهجه المتبنى أيام الخلفاء الذين سبقوه.

أ ـ في خلافة أبي بكر:

١ ـ فكر أبو بكر بغزو الروم فاستشار جماعة من الصحابة فقدموا وأخروا، ولم يقطعوا برأى مناسب فأستشار علياً عليه السلام في الأمر فقال عليه السلام ان فعلت ظفرت.

فقال أبو بكر: بشّرتَ بخير.

وأمر الناس بالخروج بعد أن أمَّر عليهم خالد بن سعيد[1].

٢ ـ أراد الخليفة أبو بكر أن يقيم الحد على شارب خمر...

فقال الرجل: اني شربتها ولا علم لي بتحريمها فأرسل إلى الإمام يسأله عن ذلك فقال عليه السلام: مُر نقيبين من رجال المسلمين يطوفان به على المهاجرين والأنصار وينشدانهم هل فيهم أحد تلا عليه آية التحريم، أو أخبره بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فان شهد بذلك رجلان منهم فأقم الحد عليه، وان لم يشهد أحد بذلك، فاستَتِبْهُ وخلِّ سبيله».

ففعل الخليفة ذلك، فعلم صدق الرجل فخلى سبيله[2].

٣ ـ عن محمد المنكدر أن خالد بن الوليد كتب إلى الخليفة أبي بكر أنه وجد رجلاً في بعض ضواحي العرب، ينكح كما تنكح المرأة، وأن أبا بكر جمع لذلك ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم وكان فيهم علي بن أبي طالب أشدهم يومئذ قولاً، فقال:

ان هذا ذنب لم تعمل به أمة من الأمم إلا أمة واحدة ـ يعني قوم لوط ـ فصنع الله بها ما قد علمتم، أرى أن تحرقوه بالنار، فكتب أبو بكر بذلك إلى ابن الوليد[3].

٤ ـ قدم جاثليق النصاري يصحبه مائة من قومه فسأل أبا بكر أسئلة، فدعا علياً عليه السلام فأجابه عنها، ونكتفي منها بسؤال واحد من أسئلة

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ١١١، نقلاً عن علي والخلفاء للعسكري: ص ٦٢.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ١٧٨، وبحار الأنوار: ج ٤٠ عن الكافي.

(٣) كنز العمال: ج ٣ ص ٩٩، نقلاً عن علي والخلفاء: ص ٦٣.

الجاثليق: أخبرني عن وجه الرب تبارك وتعالى!

فدعا علي عليه السلام بنار وحطب، وأضرمه، فلما اشتعلت قال أين وجه هذه النار؟

قال الجاثليق: هي وجه من جميع حدودها.

فقال علي عليه السلام: هذه النار مدبرة مصنوعة، لا يعرف وجهها! وخالقها لا يشبهها، ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثمَّ وجه الله لا تخفى على ربنا خافية[1].

٥ ـ وأرسل ملك الروم رسولاً إلى أبي بكر يسأله عن رجل لا يرجو الجنة ولا يخاف النار، ولا يخاف الله، ولا يركع ولا يسجد ويأكل الميتة والدم، ويشهد بما لم يرَ ويحب الفتنة ويبغض الحق، فأخبر بذلك علياً عليه السلام فقال:

هذا رجل من أولياء الله: لا يرجو الجنة ولا يخاف النار، ولكن يخاف الله ولا يخاف من ظلمه، وانما يخاف من عدله، ولا يركع ولا يسجد في صلاة الجنازة، ويأكل الجراد والسمك، ويأكل الكبد، ويحب المال والولد ﴿إنّما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ ويشهد بالجنة والنار وهو لم يرَهما، ويكره الموت وهو حق[2].

هذه بعض مصاديق اهتمامات أمير المؤمنين عليه السلام بمسيرة الإسلام التاريخية في عهد أبي بكر، وتوجيهه للحياة الإسلامة العامة.

---

(١) علي والخلفاء: ص ٦٠ نقلاً عن التستري: قضاء أمير المؤمنين: ص٦٦ ط ١ سنة ١٣٦٩هـ النجف الأشرف.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ١٨٠.

ب ـ في خلافة عمر بن الخطاب

١ ـ حين اراد عمر بن الخطاب أن يغزو الروم راجع الإمام عليه السلام في الأمر، فنصحه الإمام بإن لا يقود الجيش بنفسه مبيناً علة ذلك قائلاً: «..فابعث إليهم رجلاً مجرباً واحفز معه أهل البلاء والنصيحة، فان أظهره الله فذاك ما تحب، وان تكن الأخرى كنت ردءاً للناس، ومثابةً للمسلمين»[1].

٢ ـ ورد إلى بيت مال المسلمين مال كثير ـ من البحرين ـ فقسمه عمر بين المسلمين، ففضل منه شيء، فجمع عمر المهاجرين والأنصار واستفتاهم بأمره قائلاً: ما ترون في فضلٍ، فضلَ عندنا من هذا المال؟

قالوا: يا أمير المؤمنين إنّا شغلناك بولاية أمورنا من أهلك وتجارتك، وضيعتك، فهو لك.

فالتفت عمر إلى علي قائلاً: ما تقول أنت؟

قال الإمام عليه السلام: قد أشاروا عليك.

قال الخليفة: فقل أنت؟

قال عليه السلام: لِمَ تجعل يقينك ظناً، ثم حدثه بواقعة مشابهة في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله.

وأخيراً أشار عليه الإمام عليه السلام بتوزيعه على الفقراء، قائلاً: «أشير عليك أن لا تأخذ من هذا الفضل وأن تفضه على فقراء المسلمين».

٣ ـ عن ابن عباس قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: إن ترك

---

(١) نهج البلاغة تبويب د. صبحي الصالح: ط ١ ص ١٩٢.

احفز: ادفع وسق، أهل البلاء: أهل المهارة في الحرب، مثابة: مرجع.

هذا المال في جوف الكعبة لآخذه وأقسمه في سبيل الله وفي سبيل الخير وعلي بن أبي طالب يسمع ما يقول، فقال عمر: ما تقول يا ابن أبي طالب بالله لئن شجعتني عليه لأفعلنّ؟

فقال علي: اتجعله فينا، وصاحبه رجل يأتي في آخر الزمان[1] فاقتنع عمر بضرورة عدم التصرف بحلي الكعبة.

٤ ـ بعث أبو عبيدة بن الجراح وبرة بن رومان الكلبي إلى عمر بن الخطاب: ان الناس قد تتابعوا في شرب الخمر بالشام، وقد ضربت أربعين، ولا اراها تغني عنهم شيئاً، فاستشار عمر الناس..

فقال علي عليه السلام: ارى أن تجعلها بمنزلة حد الفِرية «ثمانون جلدة».

ان الرجل إذا شرب هذى، وإذا هذى، افترى. فجلدها عمر بالمدينة، وكتب إلى أبي عبيدة.. فجلدها بالشام[2].

٥ ـ وقد ورد أن عمر بن الخطاب رأى ليلة رجلاً وامرأة على فاحشة، فلما اصبح قال للناس: أرأيتم ان إماماً رأى رجلاً وامرأة على فاحشة. فأقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين؟

قالوا: إنما أنت إمام.

فقال علي بن أبي طالب: «ليس ذلك لك، إذن يقام عليك الحد، ان الله لم يأمن على هذا الأمر اقل من أربعة شهداء» ثم أن عمر ترك الناس

---

(١) كنز العمال: ج٧ ص١٤٧، وصحيح البخاري ١٩ / ٧٢٧، وغيره نقلاً عن علي والخلفاء: ص٨٧.

(٢) سنن البيهقي وتاريخ الطبري وكنز العمال: ج٣ ص١٠١، وشرح الموطأ للزرقاني: ج٤ ص٢٥ وغيره. نقلاً عن علي والخلفاء: ص٩٠.

ما شاء الله، ثم سألهم: فقال القوم مثل مقالتهم الأولى.. وقال علي عليه السلام مثل مقالته.

فأخذ عمر بقول الإمام[1].

٦ ـ عن ابن سيرين أن عمر بن الخطاب سأل الناس قائلاً: كم يتزوج المملوك؟ وقال لعلي: إياك أعني يا صاحب المعافري ـ رداء كان عليه ـ

فقال الإمام عليه السلام اثنتين[2].

٧ ـ بعد أن فتح المسلمون الشام جمع أبو عبيدة بن الجراح المسلمين واستشارهم بالمسير إلى بيت المقدس أو إلى قيسارية، فقال له معاذ بن جبل: اكتب إلى أمير المؤمنين عمر، فحيث أمرك فامتثله، فكتب ابن الجراح إلى عمر بالأمر، فلما قرأ الكتاب، استشار المسلمين بالأمر.

فقال علي عليه السلام: مُرْ صاحبك ينزل بجيوش المسلمين إلى بيت المقدس، فاذا فتح الله بيت المقدس، صرف وجهه إلى قيسارية، فانها تفتح بعدها ان شاء الله تعالى، كذا أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال عمر: صدق المصطفى صلى الله عليه (وآله) وسلم، وصدقت أنت يا أبا الحسن.. ثمَّ كتب إلى أبي عبيدة بالذي اشار به علي عليه السلام[3].

---

(١) كنز العمال: ج٣ ص٩٦، والفتوحات الإسلامية: ج٢ ص٤٨٢، نقلاً عن علي والخلفاء: ص٩٨.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ج٢ ص١٩١، وعلي والخلفاء: ص١٠٢.

(٣) علي والخلفاء: ص١٣٣ نقلاً عن ثمرات الأوراق في المحاضرات لابن الحجة الحموي الحنفي: ج٢ ص١٥ ط١٣٦٨.

٨ ـ بعد انتصار المسلمين على الفرس في خلافة عمر، شاور ابن الخطاب أصحاب رسول الله ﷺ في سواد الكوفة..

فقال بعضهم: تقسمها بيننا، ثم شاور علياً عليه السلام في الأمر.

فقال: ان قسَّمتَها اليوم لم يكن لمن يجيء بعدنا شيء، ولكن تقرها في أيديهم يعملونها، فتكون لنا ولمن بعدنا فقال عمر لعلي: وفقك الله... هذا الرأي[1].

٩ ـ عن الطبري في تاريخه عن سعيد بن المسيب.

قال: جمع عمر بن الخطاب الناس فسألهم، من أي يوم نكتب التاريخ؟

فقال علي عليه السلام: من يوم هاجر رسول اللّه ﷺ، وترك أرض الشرك، ففعله عمر[2]، وهكذا وجد التاريخ الهجري ليؤرخ به المسلمون.

هذه بعض ملامح دور الإمام علي عليه السلام الرسالي في خلافة عمر بن الخطاب.

ج ـ في عهد عثمان:

١ ـ تزوج شيخ كبير بكراً فحملت، فادعى الرجل أنه لم يصل اليها، فسأل عثمان المرأة: هل افتضك الشيخ؟

---

(١) علي والخلفاء: ص٢٣٩ عن مصادره.

(٢) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٥٣، في تاريخ اليعقوبي مثله وكنز العمال ومستدرك الحاكم والكامل لابن الاثير نقلاً عن علي والخلفاء ص ٢٤٠.

قالت: لا فأمر باقامة الحد عليها.

فقال الإمام علي عليه السلام: ان للمرأة سمين: سم الحيض وسم البول، فلعل الشيخ كان ينال منها، فسال ماؤه في سم الحيض، فحملت منه، فقال الرجل: قد كنت انزل الماء في قبلها من غير وصول اليها بالافتضاض.

فقال الإمام علي عليه السلام: الحمل له، والولدله، وأرى عقوبته على الانكار له[1].

٢ ـ عن موطأ مالك بن أنس عن بعجة بن بدر الجهني: أنه أتي ـ عثمان ـ بامرأة قد ولدت لستة أشهر، فهمَّ برجمها، فقال علي عليه السلام: ان خاصمتك بكتاب اللّه خصمتك، ان اللّه تعالى يقول: «وحمله وفصاله ثلاثون شهراً» ثم قال: «والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة».

فحولان مدة الرضاعة وستة اشهر مدة الحمل.

فقال عثمان: ردوها[2].

هذه أمثلة يسيرة مما كان ينهض الإمام علي عليه السلام به من مسؤوليات عظيمة في عهد الخلفاء، وكان دافعه في ذلك الاخلاص للرسالة وحفظ الوحدة الإسلامية وحماية المسيرة الإسلامية من الانحراف، والزيف.

ولقد تنبه الخليفة الثاني إلى أهمية ما يقوم به أمير المؤمنين عليه السلام في

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١٩٢ وعجائب احكام امير المؤمنين / محمد بن علي القمي(ره) ص ٤٣.

(٢) المناقب ص ١٩٢ وابن كثير في تفسيره ج ٤ ص ٥٧، والبهيقي في سننه ج ٧ ص.٤٤٢.

هذا المضمار، فصرح مراراً مشيداً بذلك الفضل، ومنوهاً بأهميته في مسيرة الخلافة، ودنيا المسلمين كقوله: «أعوذ باللّه أن أعيش في قوم لستَ فيهم يا أبا الحسن»[1] وغير ذلك.

(١) الدر المنثور للسيوطي ج ٣ ص ١٤٤ وسيرة عمر لابن الجوزي ص ١٠٦ والفتوحات الإسلامية لدحلان ج ٢ ص ٤٨٦ و غيرها، نقلاً عن علي والخلفاء للشيخ نجم الدين العسكري ومناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ٢ والغدير ج ٦ و ج ٧، وعجائب أحكام أمير المؤمنين للمفسر الجليل محمد بن ابراهيم القمي.

الفصل الثاني

دعوني والتمسوا غيري!

تمهيد

في هذا الفصل من دراستنا لحياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ينصب البحث على دراسة أدق المراحل، التي عاشها الإمام عليه السلام، بعد رسول اللّه صلى الله عليه وآله.

وهي مرحلة اضطلاعه، بمسؤولية القيادة المباشرة للأمة الإسلامية، في جميع شؤونها الحياتية.

فقد اتسمت هذه المرحلة بأحداث غاية في الأهمية، على الصعيد الفكري، والاجتماعي، والسياسي، ـ كما سنرى ـ

والتاريخ الإسلامي، قد شهد عبر السنوات الخمسة التي قضاها علي عليه السلام حاكماً للمسلمين، لونين من الأحداث:

أحدهما: يتعلق بما سجله الإمام عليه السلام على صفحات التاريخ الإنساني ـ عملياً ـ من القيم الرفيعة، التي اتسمت بها سياسته الفاضلة، التي تبناها من أجل وضع حدود اللّه تعالى، وشريعته العظيمة، موضع التنفيذ، كاملة لانقص فيها، ولا تحايل عليها، ولا تفريط، ولا أنصاف حلول، وعلى شتى الاصعدة الحياتية.

وثانيهما: ما يتعلق بردود الفعل السياسية الآثمة التي قام بها بعض الناس والتي سجلها التاريخ الإسلامي.

وفي هذه الدراسة التي بين يديك ـ أيها القارىء العزيز ـ ستقرأ شطراً من سيرة أمير المؤمنين عليه السلام، وهو يعيد لجهاز الدولة مسؤولياته الحقيقية، في حماية رسالة اللّه تعالى، واقامة حدودها في الحياة، والعمل كل ما من شأنه لتوفير السعادة للإنسان، وبناء شخصيته وتحصينها..

وتقرأ عن علي عليه السلام كذلك، دوره في التصدي، سواء للذين نكثوا أو مرقوا أو قسطوا..

ومن خلال هذا الشطر من حياة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ستقرأ شواهد من منهاج عدالته الاجتماعية، التي جسدها في الواقع الاجتماعي، ومواقفه الإنسانية وشدة تمسكه بشريعة اللّه تبارك وتعالى، ومنهاجه خصوصاً في اقامة الحق ودرء الظلم عن الناس.

والأمر الذي نسأل اللّه تعالى أن يوفق أمتنا الإسلامية للأخذ به، في حياتها العملية، هو الالتزام الكامل بكتاب اللّه تعالى وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وآله، كما جسدهما واقعاً وعملاً أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إمام الهدى، ومنار الخير والبركة في أمة محمد صلى الله عليه وآله.

الإمام في موقع المسؤولية!

بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان من قبل الجماهير الثائرة أجمعت الأمة على بيعة الإمام علي عليه السلام خليفة لها، وقد اجتاحت النفوس موجة من العاطفة نحوه، ولكنه رد الأمة بقوله: «.. دعوني والتمسوا غيري..»[1].

ان علياً أبىٰ ان يكون أسيراً للعاطفة والعقل الجمعي، فلعل نقمة الناس على عثمان هي التي أججت نحوه العاطفة وشدت اليه التيار، وهو يريد من الأمة اقراراً ارادياً لإمامته، وقيادته.

ثم إن علياً ليس ممن تغريه المناصب وتستهويه الكراسي حتى يستجيب فور اقبال الناس عليه، فأن الامرة كلها لا تساوي لديه جناح بعوضة. بل الدنيا كلها عنده كعفطة عنز ـ على حد تعبير له ـ والقيادة لا تساوي عنده شيئاً مذكوراً، ان لم يقم من خلالها الحق ويبطل الباطل، بدعم من الأمة، واقرار.

---

(١) نهج البلاغة ص ١٣٦، تبويب الدكتور صبحي الصالح.

ولهذا لم يستجب لضغط الجمهور في بادىء الأمر، حتى وضعهم أمام اختبار ليتأكد من مدى قدرة الناس على تلقي مناهجه الأصلاحية الكبرى، والاستجابة لخططه إذا تسلم زمام الأمر.

فبالرغم من أن العاصمة المقدسة «المدينة المنورة» قد أصرت على اختياره وتوجهت إليه على شكل تظاهرات جماهيرية حقيقية وتجمعات مكثفة حتى صارت المطالبة بقيادته اجماعية لاجماعية، فانه عليه السلام بقي عند موقفه المتريث، بيد أن اصرار الأمة على بيعته جعلته يطرح عليها شروطه لقبول الخلافة، فان بايعته الأمة وفقاً لما يملي من شروط استجاب هو لمطلبها في استخلافه ليكون أقدر على النهوض بمشاريع اصلاح الواقع المرير الذي آلت إليه مسيرة الأمة عموماً..

وحين اذاع بيانه المتضمن لشروطه «.. واعلموا أني ان أجبتكم ركبتُ بكم ما أعلم، ولم أصغِ إلى قول القائل وعتبِ العاتب..»[1] سارعت الامة مذعنة لشروطه، ومدت يد البيعة على الطاعة اليه، فلبى مطلبها ليواجه مسؤولياته القيادية في الامة الإسلامية على الصعيد الفكري والعملي.. حيث توفرت لديه الشروط الواقعية للنهوض بتكليفه الشرعي.

وقد كانت من أولى مهامه عليه السلام أن يزيل صور الانحراف التي طرأت على الحياة الإسلامية، وأن يعود بالأمة إلى أصالة المنهج الإلهي الذي بشر به محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله.

---

(١) المصدر السابق والصفحة ذاتها.

ومن أجل ذلك كان لابد أن يسير وفق منهاج محدد وشامل يلزم ولاته وأجهزة دولته بتطبيقه.. وقد انصبّ منهاج حكومته على مواجهة المشاكل في الميادين الآتية:

١ ـ الميدان السياسي:

لقد حدّد الإمام عليه السلام مواصفات ولاة الأمر وموظفي الدولة الذين يرشحهم الإسلام لإدارة شؤون الأمة الإسلامية ببيان أصدره عليه السلام جاء فيه:

«.. أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين: البخيل فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيضلهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق، ويقف بها دون المقاطع ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة..»[1].

ففي ضوء هذا التحديد الموضوعي لصفات كادر الموظفين الذين يقرهم الإسلام عمد الإمام علي عليه السلام إلى الاستغناء عن خدمات قسم من الولاة الذين كانوا يتولون أقاليم الدولة الإسلامية.. لأنّ علياً عليه السلام لوْ ساوَمَ ـ كما يريده بعض المؤرخين ـ لتعذّر على الأجيال المسلمة التماس الصورة الحقيقية للشريعة التي ابتعث اللّه بها رسوله العظيم صلى الله عليه وآله.

---

(١) نهج البلاغة رقم ١٣١ تبويب صبحي الصالح /نهمته: شهوته الشديدة وحرصه المفرط.
الحائف: الجائر، الظالم.
الدول: المال، والحائف للدول معناه الذي يظلم في توزيع الاموال فيفضل جماعة على أخرى.
المقاطع: الحدود التي حددها اللّه تعالى.

٢ ـ الميدان الاقتصادي:

كما تصدى الإمام علي عليه السلام إلى اصلاح الوضع السياسي والاداري كذلك فعل بالنسبة للوضع الاقتصادي فقد بادر فور تسلمه زمام الأمور مباشرة إلى الغاء طريقة توزيع المال التي اعتمدها الخلفاء السابقون، والسياسة الاقتصادية المطبقة قبل عهده.

فقد اسبتدل الإمام طريقة التميز في العطاء بطريقة المساواة في التوزيع التي مارسها رسول الله صلى الله عليه وآله.

فألغى الإمام عليه السلام كل أشكال التميز في توزيع المال على الناس، مؤكداً: أن التقوى والسابقية في الإسلام والجهاد، والصحبة للرسول صلى الله عليه وآله أمور لا تمنح أصحابها مراتب أو مميزات في الدنيا، وانما لتلك المزايا ثوابها عند الله في الآخرة، ومن كان له قدم في ذلك، فالله تعالى يتولى جزاءه، أما في هذه الدنيا فان الناس سواسية في الحقوق المالية وأمام القضاء الإسلامي وفي الواجبات والتكاليف.

وقد تضمن بيانه التالي هذه الأفكار الجليلة العادلة: «ألا وأيّما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يرى أن الفضل له على سواه لصحبته فإن الفضل النيّر غداً عند الله وثوابه وأجره على الله..

وأيما رجل استجاب لله وللرسول فصدّق ملّتنا ودخل في ديننا واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده. فأنتم عباد الله، والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية لا فضل فيه لأحد على أحد، وللمتقين عند الله غداً أحسن الجزاء وأفضل الثواب، لم يجعل الله الدنيا للمتقين أجراً

ولا ثواباً، وما عند الله خير للأبرار..»[1].

وهكذا جسّد الإمام عليه السلام مفهوم التسوية في العطاء بين جميع الناس الذين يتمتعون بحق المواطنة الإسلامية دون تمييز بينهم اوتفضيل لأي سبب من الأسباب.

هذه هي بعض ملامح الخطة الاصلاحية التي قاد الإمام علي عليه السلام عملية تنفيدها في شتى مرافق الحياة الإسلامية، في المال والحكم والادارة وسواها من شؤون..

---

(١) نهج البلاغة: شرح الشيخ محمد عبده: ج١ ص٢٦٩.

منهاج الاصلاح[1]

وضع الإمام عليه السلام خطته الإصلاحية الشاملة، فأنصبَّ جلُّ آهتمامه عليه السلام على اصلاح شؤون الإدارة والاقتصاد والحكم كما قدمنا.

ومن خلال ذلك الانقلاب الإصلاحي الكبير حظيت الأمة عبر مسيرتها الجديدة التي اختطها لها أمير المؤمنين عليه السلام، بمعطيات جمة ذات مردودات عظيمة لصالح الأمة والمسيرة بشكل عام، نذكر منها ما يلي:

أولاً ـ استعانة الإمام عليه السلام بجهاز من الولاة والموظفين لإدارة دفة الحياة الإسلامية يعدّ أغلب أفراده نموذجاً رائعاً في مستواهم الروحي والفكري والالتزامي: كعثمان بن حنيف، ومحمد بن أبي بكر، ومالك الأشتر وسواهم.

على أن تلك النماذج الخيرة من الرجال، وان كانوا في مستوى لائق في الفكر والعمل والقدرة الادارية والقيادية، إلا أن الإمام عليه السلام قد زودهم بخطط هادية ومناهج راشدة، يهتدون بها في حياتهم العملية،

---

(١) من أجل التفاصيل تراجع وثيقة رقم (٧) في الملحق.

وفي علاقاتهم مع مختلف قطاعات الأمة التي يباشرون قيادتها.

فهو يلزم ولاته بالنصح لعباده الله، واشاعة العدل بينهم ومعاملتهم باللين والحب، والتجاوز عن كل مظاهر الاستعلاء التي يغري بها المنصب غالباً والحيلولة دون تأثير ذوي النفوذ الاجتماعي والمصالح الشخصية في مسيرة العدالة الإسلامية على حساب القطاعات الاجتماعية الأخرى، ونحو ذلك من مستلزمات اشاعة العدل وإقامة الحق والمعروف بين الناس.

وهذه نماذج من خططه في هذا المضمار:

«.. فاخفض لهم جناحك وألِن لهم جانبك وأبسط لهم وجهك وآسِ بينهم في اللحظة والنظرة، حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم، ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم، فإن الله تعالى يسألكم معشر عباده عن الصغيرة عن أعمالكم والكبيرة، والظاهرة والمستورة، فان يعذب فأنتم أظلم، وأن يعفُ فهو أكرم..»[1].

«سعِ الناس بوجهك ومجلسك وحكمك، وإياك والغضب فإنه طَيَرة من الشيطان، واعلم أن ما قربك من الله يباعدك من النار، وما يباعدك من الله يقربك من النار»[2].

---

(١) من عهده (ع) إلى محمد بن أبي بكر حين ولاه مصر، نهج البلاغة: ص٣٨٣ تبويب د. صبحي الصالح.

آسِ: ساوِ بينهم

حيفك لهم: ظلمك من أجلهم.

(٢) وصيته إلى عبد الله بن عباس حين استخلفه على البصرة. نهج البلاغة:، د. صبحي الصالح، ∞

هذه صورة من توجيهات الإمام عليه السلام التي ألزم ولاته بالعمل على ضوئها في برامجهم العملية اليومية.

ومن نافلة القول أن نشير إلى أن الإمام عليه السلام بالرغم من اهتمامه بانتقاء العناصر الكفوءة والورعة فإنه كان يحرص على الإحاطة بأساليبهم في معاملة الأمة من خلال مراكزهم القيادية باستعانته بجهاز من الرقباء والعيون ليرى مدى طاعة الولاة وتنفيذهم لقواعد العدالة الإسلامية، فإذا بدا من أحدهم خطأ أو تقصير، بادر الإمام إلى تقويم سلوكه بالوسائل التربوية تارة وبالتهديد أو بالعزل إذا لزم الأمر، وهذه نماذج من وسائله تلك:

فقد بلغه أن عثمان بن حنيف (رض) واليه على البصرة دعاه بعض شخصيات أهل البصرة إلى مأدبة، فخشي الإمام عليه السلام أن تستميله تلك الوسائل أو سواها فينحرف عن خط العدالة الإسلامية المرسوم فيميل في أحكامه أو يجور في قضائه ومعاملته للأمة، فكتب إليه كتاباً جاء فيه: «أما بعد، يا ابن حنيف فقد بلغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة، فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان، وتنقل إليك الجفان، وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم، عائلهم مجفو، وغنيهم مدعو، فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم، فما أشتبه عليك علمه، فالفِظْهُ وما أيقنت بطيب وجوهه، فنل منه..

رقم٧٦.

سعِ الناس: اشملهم برعايتك في كل جانب من جوانب الحياة.

طيرة: طيش وخفة.

ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدي به، ويستضيء بنور علمه، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطرميه، ومن طعمه بقرصيه، ألا وانكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد..»[1]

وقد كتب إلى مصقلة الشيباني عامله على (اردشير خرّة) مهدداً ومتوعداً:ـ «بلغني عنك أمرٌ إنْ كنتَ فعلته، فقد أسخطت إلهك وعصيتَ إمامك: إنك تقسم فيء المسلمين الذي حازته رماحهم وخيولهم، وأريقت عليه دماؤهم، فيمن اعتماك من أعراب قومك، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لئن كان ذلك حقاً لتجدن لك عليّ هواناً، ولتخفّنَّ عندي ميزاناً، فلا تستهن بحق ربك، ولا تصلح دنياك بمحق دينك، فتكون من الأخسرين أعمالاً»[2].

---

(١) نهج البلاغة تبويب د. صبحي الصالح ص٤١٦.

مأدبة طعام: طعام دعوة أو عرس

يستطاب لك: يطلب لك طيبها.

الألوان: أصناف الطعام.

الجفان: جمع جفنة وهي القصعة.

العائل: المحتاج.

المجفو: مطرود (من الجفاء).

قضم: أكل بطرف أسنانه.

المقضم: المأكل.

ألفِظهُ: اطرحه، لا تأكله.

الطمر: الثوب البالي

طعمه: ما يطعمه ويفطر عليه.

قرص: رغيف خبز.

السداد: الاحتراز من الخطأ.

(٢) المرجع السابق: ص٤١٥. اعتمامك:اختارك وأصله أخذ العيمة وهي خيار المال.

وكتب إلى أحد عماله يقول: «أما بعد فقد بلغني عنك أمر، إن كنت فعلته فقد أسخطت ربك، وعصيت إمامك، وأخزيت أمانتك، بلغني أنك جردت الأرض فأخذت ما تحت قدميك، وأكلت ما تحت يديك، فارفع إليَّ حسابك، واعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس..»[1].

وكما كان الإمام عليه السلام يخطط للولاة ويزودهم بنصائحه الهادية، كان يرسم الخطط كذلك لقيادة جيوشه، ويوضح لهم معالم الطريق، وما ينبغي عليهم فعله عند مواجهة العدو، قبل الحرب،واثناءها، وبعدها.

فكان عليه السلام ينهاهم عن البغي، ويأمرهم بعدم إثارة الحرب من جانبهم، وانما ينبغي التسلح بالصبر وضبط النفس، وأن يكونوا في بداية المواجهة كما لو كانوا مدافعين فحسب، فإذا اعتدي عليهم فقد قامت الحجة لصد العدوان، فإذا قدّر لهم وانتصروا على عدوهم فلا يباح أن تحملهم نشوة الظفر على عدوهم إلى ملاحقة جنوده الهاربين من القتال، أو الذي لا يملك منهم سلاحاً يدافع به عن نفسه، كما لا يجوز قتل الجرحى، أو الاساءة إلى النساء، وإنْ بدأنَ الاساءة بسب أو شتم أو نحوه وهذه بعض وصاياه عليه السلام لجيوشه:

«.. لا تقاتلوهم حتى يبدؤوكم فانكم بحمد الله على حجّة وتركككم إياهم حتى يبدؤوكم حجة أخرى لكم عليهم، فإذاكانت الهزيمة بإذن الله، فلا تقتلوا مدبراً ولا تصيبوا معوراً[2] ولا تجهزوا على جريح، ولا تهيجوا النساء

---

(١) المرجع السابق: ص ٤١٢ جردت الأرض: اشارة إلى الخيانة بتخريب الأرض.

(٢) المعور: الذي عجز عن حماية نفسه أثناء الحرب.

بأذى، وإن شتمن أعراضكم وسببنَ أمراءكم»[1].

«.. الا وإن لكم عندي ألا أحتجز دونكم سراً إلّا في حرب، ولا أطوي دونكم أمراً إلّا في حكم، ولا أؤخر لكم حقاً عن محله، ولا أقف به دون مقطعه، وأن تكونوا عندي في الحق سواء، فإذا فعلت ذلك وجبت لله عليكم النعمة ولي عليكم الطاعة، وألا تنكصوا عن دعوة ولا تفرطوا في صلاح وأن تخوضوا الغمرات إلى الحق..»[2].

وبالنظر للأهمية البالغة التي يحتلها جهاز جباية الأموال في الدولة الإسلامية حيث تشكل الحقوق العامة في ملكية الأفراد عنصراً هاماً من عناصر الاقتصاد الإسلامي، فإن حق الجماعة في الملكيات الخاصة يوفر ضمانة كبرى لمساعدة الدولة الأسلامية على تغطية نفقاتهاالكبرى على الصعيد الاجتماعي والعسكري وغيرهما من جوانب الحياة العامة.. أقول: بالنظر لأهمية جهاز الجباية هذا فقد أولاه الإمام عليه السلام عناية فائقة لا من أجل أن يجمع أكبر نصيب من المال أبداً، وإنما من أجل أن ينخرط ـ ذلك الجهاز ـ في مسيرة العدالة الإسلامية المثلى التي جسدها الإمام عليه السلام في حياة الناس.. فكان الإمام حريصاً على أن يلتزم موظفو ذلك الجهاز بأقصى درجات العدل والفضيلة والنبل، والشعور بالمسؤولية فليست مهمتهم في نظر الإمام عليه السلام أن يجمعوا المال من أجل المال، وإنما ينبغي عليهم أن يلتزموا الحق في تعاملهم مع الأمة وأن يعكسوا عدالة الإسلام لمن يلتقون بهم من الناس، فلا ينبغي أن يغضبوا

---

(١) نهج البلاغة: وصيته (ع) رقم ١٤ ص ٣٧٣، د. صبحي الصالح.

(٢) نفس المصدر من كتاب له إلى أمراء جيشه رقم ٥٠ ص ٤٢٤.

أحداً من الناس، ولا يسيؤوا معاملة أحد، ولا يضربوا إنساناً من أجل دِرهَم مثلاً، ولا يجوز أن يعتدوا على مال امرئٍ من المسلمين أو من غيرهم ممن يتمتع بحق التابعية للدولة الإسلامية.

كما لا يجوز أبداً أن يبيعوا كسوة إنسان أو دابته من أجل استيفاء ضريبة، ولا يحق لأحد الجباة أن يرهب أحداً أو يستوفي أكثر من حق الله في ماله، ولا ينبغي أن يستعلي على الناس أو يبخل عليهم بالتحية أو اللطف والمرونة في معاملتهم إلى غير ذلك من وصاياه عليه السلام.

وهذه صور من مناهجه في هذا المضمار:

«.. فإنكم خزان الرعية ووكلاء الأمة، وسفراء الأئمة ولا تحسموا أحداً عن حاجته ولا تحبسوه عن طلبته، ولا تبيعُنَّ للناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف ولا دابة يعتملون عليها ولا عبداً، ولا تضربّن أحداً سوطاً لمكان درهم ولا تمسنَّ مال أحدٍ من الناس مصلٍّ ولا معاهد..»[1].

«..انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له، ولا تروعنَّ مسلماً ولا تجتازن عليه كارهاً، ولا تأخذنَّ منه أكثر من حق الله في ماله، فإذا قدمت على الحي فأنزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم، ثم أمضِ إليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم، ولا تخدج[2] بالتحية لهم. ثم تقول: عباد الله، أرسلني إليكم ولي الله وخليفته لآخذ منكم حق الله في أموالكم،

---

(١) نهج البلاغة من كتاب له إلى أعماله على الخراج: رقم ٥١ تبويب د. صبحي الصالح، والمصلي: تعبير عن المسلم، والمعاهد تعبير عن أهل الذمة من النصارى او اليهود.

(٢) لا تخدج بالتحية: لا تبخل بالسلام عليهم والسؤال عن أحوالهم.

فهل لله في أموالكم من حق فتؤدوه إلى وليه..؟»[1].

ثانياً: تجسيد المخطط الأسلامي للعدالة الاجتماعية بأجلى صوره وأدق تفصيلاته.

إذا كانت جوانب الجهاز الحكومي كلها في الدولة الإسلامية قد تناولتها يد الإصلاح، فحققت أرقى النماذج التي يصبو إليها الإنسان، فإن الإمام عليه السلام قد خطا في سبيل تحقيق أفضل صورة للعدالة الاجتماعية وفقاً للتصورات الإسلامية التفصيلية خطوات رائعة.

فقد شهد المجتمع الإسلامي بجميع قطاعاته وقواه عدالة رائدة كالتي شهدها ايام رسول الله صلى الله عليه وآله في منطلقاتها وأبعادها.

وفيما يلي شواهد من تلك التجربة التاريخية المشعة التي تفيأت الأمة ظلالها:

أ ـ رفق وتعاهد.

فقد شهدت قطاعات الأمة جميعاً صوراً من التعاهد لأمرها والرفق بها ورعاية شؤونها، والتسوية في العطاء بين جميع حملة التابعية للدولة الإسلامية التي تجسدها هذه النصوص: «المال مال الله يقسم بينكم بالسوية لا فضل لأحد على أحد».

«وأيمُ الله لأنصفنَّ المظلوم من ظالمه، ولأقودنَّ الظالم بخزامته حتى أورده منهل الحق وان كان كارهاً»[2].

---

(١) نهج البلاغة كتاب لمن يستعمله على الصدقات، رقم ٢٥.

(٢) روائع نهج البلاغة، جورج جرداق: ص١٦٣.

الخزامة :حلقة من شعر توضح في وترة أنف البعير يشد بها زمامه، ويسهل قياده.

أقول إلى جانب هذا وذاك، شهدت الأمة التي قادها أميرالمؤمنين عليه السلام بمختلف قطاعاتها من ألوان التدبير لشؤونها، والرعاية لأمورها، والحدب عليها ما حقق لها القوة والسعادة وهذه صورة منها:

عن الحَكَم قال:

شهدت علياً، وأتي له بزقاق من عسل، فدعا اليتامى وقال: ذوقوا، والعقوا، حتى تمنيتُ أني يتيم، فقسمه بين الناس وبقي منه زق، فأمر أن يُسقاه أهل المسجد[1].

وعن هارون بن عنترة عن زاذان قال: انطلقت مع قنبر غلام علي عليه السلام فإذا هو يقول: قم يا أميرالمؤمنين فقد خبأت لك خبيئاً.

قال عليه السلام: وما هو، ويحك!!

قال: قم معي..

فقام فانطلق به إلى بيته، وإذا بغرارة مملوءة من جامات ذهباً وفضة، فقال: يا أميرالمؤمنين، رأيتك لا تترك شيئاً إلّا قسّمته فادخرت لك هذا من بيت المال.

فقال علي عليه السلام: ويحك يا قنبر، لقد أحببت أن تدخل بيتي ناراً عظيمة ثم سلّ سيفه، وضربها ضربات كثيرة، فانتثرت.. ثم دعا بالناس، فقال: اقسموه بالحصص، ثم قام إلى بيت المال، فقسم ما وجد فيه، ثم رأى في البيت إبراً ومسالاً فقال: ولتقسموا هذا..»[2].

وعن الحَكَم قال: ان علياً قسم فيهم الرمّان حتى أصاب مسجدهم

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري: ج ٢ ص١٣٦.

(٢) شرح النهج تح: محمد ابو الفضل ابراهيم ط ١٩٧٨ هـ ج ١ ص١٩٨ ـ ١٩٩.

سبع رمانات، وقال: أيها الناس انه يأتينا أشياء نستكثرها إذا رأيناها، ونستقلها إذا قسمناها، وإنا قد قسمنا كل شيء أتانا.

قال: وأتته صفائح فضة فكسرها، وقسمها بيننا.

وعن علي بن ربيعة قال: جاء ابن التياح إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا أميرالمؤمنين امتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء.

فقال علي: الله أكبر، ثم قام متوكئاً على يد ابن التياح، فدخل بيت المال وهو يقول:

هـذا جـناي وخـياره فـيه وكل جانٍ يـده إلى فـيه[1]

ثم نودي في الناس، فأعطى ـ علي ـ جميع ما في بيت المـال وهـو يقول: «يا بيضاء، ويا صفراء، غري غيري».

حتى لم يبق فيه درهم ولا ديـنار، ثم أمـر بـنضحه، فـصلى فـيه ركعتين عليه السلام.

وكان لشدة حرص الإمام عليه السلام على الأمة لرفع غائلة الفقر والظلم عنها أنه التزم السير ـ عبر أيام خلافته عليها ـ وفقاً للنهج الآتي: «..ولو شئت لاهتديتُ الطريق إلى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز، ولكن هـيهات أن يـغلبني هـواي، ويـقودني جشـعي إلى تخـيّر الأطعمة، ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمعَ له في القرص، ولا عـهدَ له بالشبع. أو أبيتُ مبطاناً، وحولي بطون غرثى، وأكباد حرى؟

أأقنعُ من نفسي بأن يقال هذا: أميرالمؤمنين، ولا أشاركهم في مكـاره

---

(١) مثل يضرب: أراد به الإمام (ع) انه لم يصب شيئاً من مال المسلمين بل وضعه في مواضـعه. تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي ص١١٧.

الدهر أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش؟»[1].

ب ـ رقابة دقيقة لوضع السوق:

ولقد كان الإمام علي عليه السلام حريصاً على تجسيد العدالة الاقتصادية في كافة مرافق الحياة الإنسانية ومن أجل ذلك فقد التزم خطة لمراقبة السوق من ناحية أسعارالبيع والشراء. وطبيعة ما يعرض للبيع، للحيلولة دون التطفيف في المكاييل أو التلاعب بالأسعار أو الغش، في السلع والمعروض فعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «كان أميرالمؤمنين عليه السلام كل بكرة يطوف في أسواق الكوفة سوقاً سوقاً، ومعه الدرة على عاتقه، وكان لها طرفان، وكانت تسمى السبيبة، فيقف على سوق سوق فينادي:

« يا معشر التجار قدّموا الاستخارة، وتبركوا بالسهولة، واقتربوا من المبتاعين، وتزينوا بالحلم، وتناهوا عن الكذب، واليمين، وتجافوا عن الظلم، وانصفوا المظلومين، ولا تقربوا الربا و«أوفوا المكيال والميزان بالقسط، ولا تبخسوا الناس أشياءهم، ولا تعثوا في الارض مفسدين»[2].

وعن أبي النوار قال: رأيت علياً عليه السلام وقف على خياط، فقال له: يا خياط صلّب الخيط، ودقق الدرز، وقارب الغرز، فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «يؤتى يوم القيامة بالخياط الخائن وعليه قميص ورداء مما خاطه، وخان فيه، فيفتضح على رؤوس الأشهاد».

---

(١) نهج البلاغة، من كتاب له إلى واليه عثمان بن حنيف: رقم النص ٤٥ ص٤١٨.

(٢) من سورة هود: ٨٥، راجع بحار الأنوار: ج٤١ ص١٠٤ عن أمالي الصدوق وتذكرة الخواص: ص١٣٤ وأنساب الأشراف للبلاذري ج٢ ص١٢٩ مع اختلاف يسير في الألفاظ.

ثم قال: «يا خياط إياك والفضلات والسقطات فان صاحب الثوب أحق بها..»[1].

هكذا جسد الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام المخطط الإسلامي للعدالة الاجتماعية بأدق صورها، وهكذا عامل الأمة بالرفق والحب فعاش آمالها وآلامها حتى قطفت أروع ثمرات العدل في تاريخها كما كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله سواء بسواء.

ج ـ تبنى الإمام علي عليه السلام سياسة نكران الذات لصالح الأمة

وذلك بالزهد الصادق بكل ما يطمع به الطامعون من مال وملذات وزخرف، فلقد عاش أميرالمؤمنين في بيت متواضع لا يختلف عما يسكنه فقراء الأمة، وكان يأكل الشعير تطحنه، امرأته أو يطحنه بيده سواء في ذلك قبل خلافته، أو بعدها.

وكان يلبس أخشن لباس وابسطه وكان مبدؤه الثابت في هذا المضمار:

«.. ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه»، «فوالله، ما كنزت من دنياكم تبراً، ولا ادخرت من غنائمها وفراً، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً، ولا حزتُ من ارضها شبراً، ولا أخذت منه كقوت أتانٍ دبرة، ولهي في عيني أوهن من عفصة مقرة»[2].

---

(١) تذكرة الخواص لسبط بن الجوزي: ص ١٢٥.

(٢) كتابه لعثمان بن حنيف ـ نهج البلاغة رقم النص ٤٥.
التبر: فتات الذهب والفضة قبل الصياغة.

وبمقدورنا أن نلمس سياسة الإمام عليه السلام هذه مع نفسه من خلال المصاديق التاليه:

عن هارون بن عنترة عن أبيه قال:

دخلت على علي بالخورنق، وهو في فصل شتاء، وعليه خلق قطيفة.

فقلت: يا أميرالمؤمنين ان الله قد جعل لك ولأهلك في هذا المال نصيباً، وأنت تفعل هذا بنفسك!!

فقال عليه السلام والله ما أرزؤكم ـ أنقصكم ـ شيئاً، وما هي إلّا قطيفتي التي أخرجتها من المدينة»[1].

وقد خاطبه عاصم بن زياد يوماً بقوله: «يا أميرالمؤمنين هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك!».

فأجابه علي عليه السلام:

«ويحك اني لست كأنت. ان الله تعالى فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيّغ بالفقير فقره»[2].

وعن سويد بن غفلة قال دخلت على علي عليه السلام يوماً وليس في داره

الوفر: المال.

الطمر: الثوب الخلق البالي.

اتان دبره: الدابة التي عقر ظهرها فقلّ أكلها.

(١) تذكرة الخواص لسبط بن الجوزي: ص١٢١ وعبقرية الإمام للعقاد: ص١٦ ط بيروت ١٩٦٧.

(٢) نهج البلاغة: تبويب د. صبحي الصالح، رقم ٢٠٩ ص ٣٢٤.

يتبيَّغ: يستبد به ألم الفقر.

سوى حصير رث وهو جالس عليه.

فقلت: يا أميرالمؤمنين أنت ملك المسلمين والحاكم عليهم وعلى بيت المال، وتأتيك الوفود وليس في بيتك سوى هذا الحصير؟

قال عليه السلام: يا سويد ان البيت لا يتأثث في دار النُقلة وأمامنا دار المُقامة، وقد نقلنا إليها متاعنا، ونحن منقلبون إليها عن قريب[1].

وها هو علي خرج بسيفه ليبيعه في السوق كي يشتري بثمنه ازاراً، وهو أميرالمؤمنين وزعيم الأمة الإسلامية الذي تجبى إليه الأموال من جميع بقاع العالم الإسلامي.

فعن أبي رجاء قال: أخرج علي عليه السلام سيفاً إلى السوق فقال: «من يشتري مني هذا؟ فوالذي نفس علي بيده لو كان عندي ثمن إزار ما بعته»!!!

فقلت له: أنا أبيعك ازاراً وأنسؤك ثمنه إلى عطائك، فدفعت إليه ازاراً إلى عطائه، فلما قبض عطاءه دفع الي ثمن الإزار[2].

ثمَّ ان علياً عليه السلام ألزم نفسه أن لاينال من حق الناس شيئاً، وان قدّر له الخروج من بلدهم، فلا يخرج إلا بالذي جاء به من المدينة المنورة: راحلته ورحله وغلامه.

فعن بكر بن عيسى قال: كان علي عليه السلام يقول: «يا أهل الكوفة، اذا أنا خرجت من عندكم بغير راحلتي، ورحلي وغلامي فلان، فأنا

---

(١) تذكرة الخواص: ص٦٨.

(٢) شرح في نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٢ ص٢٠٠.

خائن».

فكانت نفقته تأتيه من غلته بالمدينة بينبع، وكان يطعم الناس منها الخبز واللحم، ويأكل هو الثريد بالزيت.

ولشدة حرصه عليه السلام على سلوك سبيل رسول الله صلى الله عليه وآله في عدله وزهده اشار عقبة بن علقمة قال دخلت على علي عليه السلام فإذا بين يديه لبن حامض، آذتني حموضته، وكسر يابس.

فقلت: يا أميرالمؤمنين، أتأكل مثل هذا؟ فقال لي: يا أبا الجنوب، كان رسول الله يأكل ايبس من هذا، ويلبس أخشن من هذا، وأشار إلى ثيابه، فان أنا لم آخذ بما أخذ به خفتُ ألاّ ألحق به[1].

ولعظيم إيثاره للأمة على نفسه ما رواه عبد الله بن الحسين بن الحسن عليه السلام قال: أعتق علي عليه السلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ألف مملوك مما عملت يداه، وعرق جبينه.

ولقد ولي الخلافة، وأتته الأموال فما كان حلواه إلا التمر ولا ثيابه إلا الكرابيس[2].

وعن سفيان الثوري عن عمر بن قيس قال: رؤي على علي عليه السلام إزار مرقوع، فعوتب في ذلك، فقال: «يخشع له القلب، ويقتدي به المؤمن»[3].

---

(١) المرجع السابق: ص ٢٠١.

(٢) نفس المرجع: ص ٢٠٢.

(٣) تذكرة الخواص: ص ١٢١.

ولقد بلغ في شدة زهده عليه السلام ونكرانه لذاته ابتغاء لوجه الله تعالى ما يتجلى عبر عبارته التالية: «..والله لقد رقعتُ مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها، ولقد قيل لي: ألا تستبدل بها غيرها؟ فقلت للقائل: «ويحك أعزب، فعند الصباح يحمد القوم السرى»[1].

هذه بعض بنود منهاج علي عليه السلام مع نفسه وهي تمثل احدى روافد العدالة الإسلامية التي جسدها الإمام عليه السلام في دنيا الناس أسوة برسول الله صلى الله عليه وآله.

فأين الباحثون عن العدالة والكرامة والخلاص.. عن منهاج علي عليه السلام؟!.

د ـ مساواة أهل بيته بسائر الناس:

أما منهاجُ أميرالمؤمنين عليه السلام الذي سلكه في أهل بيته وقرابته فلم يكن بعيداً عن منهاجه مع نفسه إلا من حيث الدرجة، فقد كان مبنياً على أساس مساواتهم بالأمة في الحقوق والواجبات، بل إن الذي يتحملونه من مهام من أجل حماية الرسالة والمسيرة أكثر بكثير مما ينالون من حقوق...

كان الإمام عليه السلام حريصاً على معاملة ذويه في مسألة الحقوق كما لو كانوا من عامة الناس، فلا يفضلهم بعطاء، ولا يميزهم بحق على أحد، فلقد سلك معهم أسلوب التدريب والاعداد للعمل بمنهاجه معهم، بل

---

(١) المرجع السابق: ص ١٢٥.

المدرعة: ثوب صوفي غليظ.

كان يبدو شديداً مع بعضهم من أجل أن ينتهج الخط الذي رسمه الإمام عليه السلام لمتعلقيه وأهل قرابته.

وهاك صوراً من منهاجه ذلك:

قال مسلم صاحب الحنا:

«لما فرغ علي عليه السلام من أهل الجمل أتى الكوفة ودخل بيت المال، ثم قال: يا مال غرّ غيري، ثم قسمه بيننا، ثم جاءت ابنة للحسن أو للحسين عليه السلام فتناولت منه شيئاً، فسعى وراءها ففك يدها ونزعه منها، فقلنا: يا أميرالمؤمنين ان لها فيه حقاً، قال عليه السلام: إذا أخذ أبوها حقه فليعطِها ما شاء»[1].

وروى هارون بن سعيد قال: قال عبدالله بن جعفر بن أبي طالب لعلي عليه السلام: يا أميرالمؤمنين، لو أمرت لي بمعونة أو نفقة، فوالله مالي نفقة إلّا أن أبيع دابتي!!

فقال الإمام عليه السلام :لا والله، ما أجد لك شيئاً إلّا أن تأمر عمك أن يسرق فيعطيك..[2].

وقد جاءه أخوه عقيل ـوكان ضريراً ـ يوماً يطلب صاعاً من القمح من بيت مال المسلمين ـزيادة على حقه ـ وظل يكرر طلبه على علي عليه السلام فما كان من الإمام أميرالمؤمنين إلا وأحمى له حديدة على النار وأدناها منه، ففزع منها عقيل. ثم وعظه: «يا عقيل أتئن من حديدة أحماها إنسانها للعبهِ وتجرني إلى نار سجرها جبارها لغضبه، أتئن من

---

(١) أنساب الأشراف: ج ٢ ص ١٣٢.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٢٠٠.

الأذى ولا أئن من لظى..»[1].

وعن أبي صادق عن علي عليه السلام: انه تزوج ليلى، فجعلت له حجلة، فهتكها، وقال:

حسب آل علي ما هم فيه[2].

وعن الحسن بن صالح بن حي قال:

بلغني أن علياً عليه السلام تزوج امرأة فنجّدت ـ زينت ـ له بيتاً، فأبى أن يدخله[3].

وعن كلاب بن علي العامري قال:

زفت عمتي إلى علي عليه السلام على حمار بأكاف تحتها قطيفة، وخلفها قفة معلقة!![4].

هكذا كان منهاج علي عليه السلام مع أهل بيته وذوي قرابته لا يفرط من أجلهم بحق من حقوق المسلمين، بل يعمل كل ما من شأنه على رفع مستواهم باتجاه مبادئه في الزهد، ونكران الذات في سبيل الله تعالى، ولصالح مجموع الأمة.

ولقد كان منهجه واضحاً كل الوضوح لا لبس فيه ولا غموض ولا يخضع لعاطفة أو مساومة أبداً «..والله لئن أبيت على حسك السعدان

---

(١) بحار الأنوار: ج ٤٠ باب ٩٨ ومناقب آل أبي طالب: ج ١ فى المسابقة بالزهد.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٠ باب ٩٨ ومناقب آل أبي طالب: ج ١ فى المسابقة بالزهد.
حجلة: ستر يضرب للعروس في الليل.

(٣) بحار الأنوار: د ٤٠ باب ٩٨ ومناقب آل أبي طالب: ج ١ فى المسابقة بالزهد.

(٤) نفس المصدر السابق.
أكاف: كساء يوضع على ظهر الدابة، القفة: أناء من خوص النخل.

مسهداً أو أجر في الأغلال مصفداً أحب إليَّ من أن القى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشيء من الحطام. وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البلى قفولها، ويطول في الثرى حلولها..»[1].

وهذا السبيل الذي اختاره الإمام عليه السلام إنما يمثل أعلى مصاديق العدل الاجتماعي الشامل الذي حرص أميرالمؤمنين عليه السلام على تجسيده واقعاً حياً في دنيا الناس.

---

(١) نهج البلاغة: رقم النص ٢٢٤.

سياسة رد الفعل

وبسبب ما ألفه رجالات قريش من اثرة وامتيازات لا حصر لها طوال ربع قرن من الزمان فقد كبر عليهم ان ينهج الإمام علي عليه السلام نهج التسوية في الحقوق ـ كما أمر الله سبحانه ـ

فقد أنكر الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله على الإمام عليه السلام سياسته تلك واعتبراها مخالفة للنهج الذي ألفه الناس.

فقال لهما الإمام عليه السلام: ما الذي كرهتما من أمري حتى رأيتما خلافي؟.

قالا: إنك جعلت حقنا في القَسم كحق غيرنا، وسويت بيننا وبين من لا يماثلنا فيما أفاء الله علينا بأسيافنا ورماحنا وأوجفنا عليه بخيلنا ورجلنا وظهرت عليه دعوتنا، وأخذناه قسراً قهراً ممن لا يرى الإسلام إلّا كرها[1].

فقال الإمام عليه السلام لهما: «لقد نقمتما يسيراً وأرجأتما كثيراً ألا تخبراني أي

---

(١) علي بن أبي طالب: نظرة عصرية جديدة، تأليف د. محمد أحمد خلف الله وعدد من الكتاب، ص٣٢.

شيء كان لكما فيه حق دفعتكما عنه؟ أم أي قسم استأثرت عليكما به؟ أم أي حق رفعه إليّ أحد من المسلمين ضعفت عنه أم جهلته، أم أخطأت بابه؟

والله ما كانت لي في الخلافة رغبة، ولا في الولاية اربة، ولكنكم دعوتموني إليها، وحملتموني عليها فلما أفضت اليّ نظرت الى كتاب الله، وما وضع لنا، وأمرنا بالحكم به، فاتبعته، وما استنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فاقتديته، فلم أحتج في ذلك إلى رأيكما، ولا رأي غيركما ولا وقع حكم جهلته فاستشيركما واخواني من المسلمين، ولو كان ذلك لم أرغب عنكما، ولا عن غيركما.

وأما ما ذكرتما من أمر الأسوة ـ التسوية في العطاء ـ فإن ذلك أمر لم أحكم أنا فيه برأيي، ولا وليته هوىً مني، بل وجدت أنا وأنتما ما جاء به رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قد فرغ منه، فلم أحتج إليكما فيما قد فرغ الله من قسمه، وأمضى فيه حكمه، فليس لكما، والله، عندي ولا لغيركما في هذا عتبى، أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق، والهمنا وإياكم الصبر...رحم اللّه آمرىءرأى حقاً فأعان عليه، أو رأى جوراً، فردّه، وكان عوناً بالحق على صاحبه..»[1].

وهكذا تختلف المنطلقات والمفاهيم، وينطلق علي عليه السلام مما يأمر به الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله بينما تنطلق أصحاب المنافع مما توحي به مصالحها.

وشتان بين منطلق يرمي إلى تحقيق متطلبات الرسالة ومصلحة

---

(١) نهج البلاغة: رقم النص ٢٠٥، تبويب د. صبحي الصالح، ط ١ بيروت ١٩٦٧.

مجموع الأمة، ومنطلق مادي لا يرى غير المصلحة الذاتية.

موقف معاوية:

وما أن تناقلت الأنباء أمر إستخلاف الإمام علي عليه السلام ونهوضه بأعباء قيادة الأمة إلّا وفزع معاوية بن أبي سفيان فزعاً شديداً معلناً معارضته.

وفي الأثناء ورد عليه كتاب من ابن العاص يطلعه على حقيقة الموقف في عاصمة رسول الله صلى الله عليه وآله.

«من عمرو بن العاص إلى معاوية ابن أبي سفيان: أما بعد، ما كنتَ صانعاً فاصنع، إذ قشرك ابن أبي طالب من كل ما تملكه كما تقشر عن العصا لحاها..»[1].

فرأى أمير المؤمنين عليه السلام أن يكتب لمعاوية كتاباً يستقدمه فيه، إلى المدينه المنورة إلاّ أنَّ معاويه لم يستجب للإمام عليه السلام بل ولم يرد على كتابه[2].

وبعد مضي ثلاثة شهور على مقتل عثمان، وقيام الإمام علي عليه السلام بالأمر يشهر معاوية سلاح المطالبة بدم عثمان، متخذاً منه ذريعة للخروج على إمام زمانه.

وقد بدأت نشاطاته العدوانيه بنشر ثوب عثمان الدامي في مسجد

---

(١) الإمام علي وفضائله: ص١٧٥، دار مكتبة الحياة ـ بيروت.

(٢) الفصول المهمة: لابن الصباغ المالكي، ص.٥، ويراجع نص كتاب الإمام(ع) في نهج البلاغة رقم٧٥ تبويب د. صبحي الصالح «باب الكتب» ص٤٦٤.

دمشق وشعيرات من لحيته، وقد جمد عليها الدم، وراح يستثير أهل الشام للنهوض من أجل عثمان والانتقام ممن قتله، ومن ثم أرسل رسولاً إلى الإمام عليه السلام حتى إذا وصل الرسول إلى المدينة المنورة جعل يسير في دروبها، وهو يحمل صحيفة مختومة مكتوباً عليها من «معاوية إلى علي» وهو عنوان يثير الدهشة لدى الناس فهو خالٍ من كل لياقة وكياسة، كما يشير إلى أن مرسله لا يحمل إلى زعيم المسلمين وامامهم أي شعور بالاحترام والتقدير.

وفض الإمام عليه السلام صحيفة معاوية، فوجدها بيضاء لا حرف فيها فسأل رسول معاوية: ما وراءك؟

قال بعد أن استأمن الإمام عليه السلام: اني تركت ورائي أقواماً يقولون لا نرضى إلّا بالقَود.

قال الإمام عليه السلام: ممن؟

قال: يقولون من خيط رقبة علي، وتركتُ ستين ألف شيخ يبكون تحت قميص عثمان، وهو منصوب لهم قد البسوه منبر مسجد دمشق، وأصابع زوجته نائلة معلقة فيه.

فقال الإمام: أمِنّي يطلبون دم عثمان، اللهم أني أبرأ إليك من دم عثمان..»[1].

ثم أمر الإمام عليه السلام رسول الشام أن يغادر بعد أن منحه الأمان.

ومنذ ذلك التاريخ بادر الإمام عليه السلام بتجهيز جيشه لاخماد حركة

---

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ص ٥١.

البغاة التي قادها معاوية في الشام تحت لافتة المطالبة بدم عثمان بن عفان!!

خلفيات المطالبة بدم عثمان

ولنا أن نتساءل قبل أن نمضي في حديثنا قدماً، هل كانت الأطراف في كل من الشام والبصرة صادقة في ادعاء المطالبة بدم الخليفة الثالث وهل كانت حريصة فعلاً على عثمان؟

وللاجابة على هذا السؤال الذي يفرض نفسه على الكاتب والقارئ معاً في هذه المسألة: لابدّ من الرجوع إلى مواقف تلك الأطراف جميعاً أيام الثورة الشعبية التي تمخض عنها مقتل عثمان.

فقد كان معاوية يعلم بتفاصيل ما يجري للخليفة في المدينة، وقد استغاث به الخليفة أيام الحصار فلم يغثه بشيء حتى أرسل معاوية جيشاً إلى المدينة بقيادة يزيد بن أسد القسري وقال له: «إذا أتيت ذا خُشُب ـ منقطة خارج المدينة ـ فأقم بها ولا تتجاوزها، ولا تقل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فأنني أنا الشاهد وأنت الغائب»[1].

فأقام القسري بجيشه في المكان الذي حدده معاوية، فلما قتل عثمان استدعى معاوية الجيش وقائده إلى الشام.

هذه بعض مواقف معاوية، من عثمان بن عفان أيام حكمه، ومن هنا فان شعار المطالبة بدم الخليفة القتيل من قبله كان مجرد وسيلة

---

(١) شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد، ج١٦ ص١٥٤ «شرح كتاب الإمام(ع) إلى معاوية، رقم٣٧.

لآستدرار العطف وتجميع الأنصار: فدوافعه الحقيقية انما تكمن في نقمته على سياسة علي عليه السلام الاصلاحية والتي كانت تمسّ مصالح بعض طبقات المجتمع بشكل أو بآخر وفي طليعتها الطبقات الأرستقراطية في قريش !

وقد أفصح الإمام عليه السلام عن موقفه ازاء مقتل الخليفة عثمان بقوله: «اللهم إني أبرأ من دم عثمان، ما نجا والله قتلة عثمان إلّا أن يشاء الله، فإنه إذا اراد أمراً بلغه»[1].

ويتضح موقف الإمام عليه السلام كذلك من كتاب له إلى معاوية حيث جاء فيه: «وقد أكثرت في قتلة عثمان، فأدخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم إليّ أحملك وإياهم على كتاب الله، فأما تلك التي تريدها فخدعة..»[2].

موقف الإمام علي عليه السلام أيام الأزمة:

ومن الضروري جداً أن نشير ولو بشكل مقتضب إلى موقف الإمام عليه السلام أيام الأزمة التي تعرضت لها الخلافة في عهد عثمان:

فحين هاج الناس في عهد عثمان بسبب سياساته الأرستقراطيه المجانبة لروح الأسلام، وعدالته والمعاديه لمصالح الجماهيرالواسعة حاول الإمام عليه السلام أن يقنع الخليفة بضرورة الاصلاح، وجرى بينهما حديث بهذا الشأن، ومما نصح به الإمام عليه السلام الخليفة قوله:

«..وإني أنشدك الله ألا تكون إمام هذه الأمة المقتول فإنه كان يقال: يقتل في هذه الأمة إمام يفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة، ويلبس

---

(١) الفصول المهمة: لابن الصباغ المالكي، ص ٥١.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج ٣ ص ٧٥، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم.

أمورها عليها، ويبث الفتن فيها، فلا يبصرون الحق من الباطل، يموجون فيها موجاً ويمرجون فيها مرجاً، فلا تكوننّ لمروان سيّقة يسوقك حيث يشاء بعد جلال السن وتقضي العمر..»[1].

فقال له عثمان: «كلّم الناس في أن يؤجلوني حتى أخرج إليهم من مظالمهم»[2].

فقال الإمام عليه السلام: «ما كان بالمدينة، فلا أجل فيه، وما غاب فأجله وصول أمرك إليه»[3].

قال الخليفة: نعم ولكن أجلني فيما بالمدينة ثلاثة أيام.

فخرج الإمام إلى الناس، وأخبرهم بما وعد به الخليفة، وكتب بينهم وبين عثمان كتاباً وأشهد عليه قوماً من وجوه المهاجرين والأنصار[4].

وحيث لم يلتزم عثمان بوعده للأستجابه لمطالب الناس بالأصلاح، وأبدى تنكراً لما كتبه لهم تأزم الموقف مجدداً...

وقد زاد في حراجة الموقف عثور المصريين الثوار على بريد عثمان إلى عامل مصر يأمره بمعاقبة قادة الثائرين بالقتل[5] ومعاقبة كل متظلم

---

(١) نهج البلاغة: تبويب د. صبحي الصالح ص ٢٣٥ رقم ١٦٤.

(٢) نهج البلاغة: تبويب د. صبحي الصالح ص ٢٣٥ رقم ١٦٤.

(٣) نهج البلاغة: تبويب د. صبحي الصالح ص ٢٣٥ رقم ١٦٤.

(٤) الطبري وابن الأثير وغيرهما «نقلاً عن أحاديث أم المؤمنين عائشة للعلامة السيد مرتضى العسكري ص٩٨».

(٥) الطبري وأنساب الأشراف والمعارف لابن قتيبة وسواهم، «نقلاً عن المصدر السابق ص٩٩».

بالسجن ونحو ذلك..

فحوصر الخليفة من قبل الجماهير والطامعين في الخلافة معاً حتى قطع عنه الماء ـ كما قدمنا ـ فاستنجد بالإمام علي عليه السلام فاسرع لإنقاذه وارغم طلحة وسواه من الثوار، وأدخل إليه الماء[1].

وبعد أن طال حصار الخليفة ـ أربعين يوماً ـ طلب بعض الناس من علي عليه السلام أن يصلي بهم، فأبى.

فتولى طلحة إمامة الصلاة..!

هذه بعض مواقف الإمام عليه السلام من أجل عثمان... وبالرغم من تلك المواقف النبيلة التي وقفها الإمام عليه السلام من أجل الخليفة فإنه لا يعني بحال أن الإمام كان راضياً عن سياسة الخليفة في المال والادارة[2] على وجه الخصوص .

بيد أن الإمام عليه السلام كان يرى في قتل عثمان خطراً يتهدد الأمة بالنظر لما يعقبه من تمزق في الصف الإسلامي، وتجرؤ من لدن المتربصين بالإسلام والمسلمين.

الأمر الذي وقع فعلاً بعد مقتل الخليفة مباشرة.

---

(١) تاريخ الطبري وأنساب الاشراف للبلاذري «نقلاً عن المصدر السابق ص١١٣».

(٢) شرح نهج البلاغة: ج٩ ص٥ ـ ٦.

حرب البصرة

على الرغم من أن طلحة والزبير كانا من أشد الناقمين على سياسة عثمان ومع أنهما سبقا الناس في البيعة للإمام علي عليه السلام بعد قتل عثمان، فان الحركة الاصلاحية التي قادها الإمام عليه السلام في الحياة الإسلامية لم تجد هوى في نفسيهما فبدءا في العمل للخروج على الإمام عليه السلام واثارة المسلمين عليه، فكانت حصيلة ذلك فتنة كبرى كبّدت الأمة خسارة فادحة.

وقد بذل الإمام عليه السلام جهداً كبيراً لتحاشي هذه الفتنة خصوصاً، وقد دخلت عائشة، زوجة الرسول صلى الله عليه وآله طرفاً فيها فلم يأل جداً في بذل النصح لهم وتحميلهم مغبة ما سيكون إذا نشبت الحرب، وهذه نصيحته عليه السلام لهما:

«أما بعد يا طلحة، ويا زبير، فقد علمتما أني لم أرد الناس حتى أرادوني، ولم ابايعهم حتى أكرهوني، وأنتما أول من بادر إلى بيعتي، ولم تدخلا في هذا الأمر، بسلطان غالب، ولا لعرض حاضر، وأنت يا زبير، ففارس قريش، وأنت يا طلحة فشيخ المهاجرين، ودفعكما هذا الأمر قبل أن تدخلا فيه كان أوسع لكما من خروجكما منه بعد اقراركما، ألا وهؤلاء بنو عثمان هم أولياؤه

المطالبون بدمه، وأنتما رجلان من المهاجرين، وقد أخرجتما أمكما من بيتها الذي أمرها الله تعالى أن تقر فيه، والله حسبكما..»[1].

وفي البصرة استمر الإمام عليه السلام يبذل نصحه من أجل حقن الدماء، فأرسل للناكثين رسولاً يدعوهم للصلح ورأب الصدع..

كما التقى بالزبير وذكره بأمور جرت لهما في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله منها: ما حملك على ما صنعت يا زبير؟

قال: حملني على ذلك الطلب بدم عثمان!

فقال الإمام: إن أنصفت نفسك، أنت وأصحابك قتلتموه، ولكني أنشدك الله يا زبير أما تذكر، قال لك رسول الله صلى الله عليه وآله: يا زبير أتحب علياً، فقلت، وما يمنعني من حبه وهو ابن خالي.

فقال لك: أما أنك تخرج عليه وأنت له ظالم!

فقال الزبير: اللهم بلى، قد كان ذلك.

فقال الإمام: «أنشدك الله أتذكر يوم جاء رسول الله صلى الله عليه وآله من عند بني عوف، وأنت معه، وهو آخذ بيدك فاستقبلته، فسلمت عليه، فضحك في وجهي، وضحكت إليه. فقلت أنت: لا يدع ابن أبي طالب زهوه، فقال صلى الله عليه وآله لك: مهلاً يا زبير ليس بعلي زهو، ولتخرجن عليه يوماً وأنت ظالم له؟

قال الزبير: اللهم بلى، ولكني قد نسيت ذلك، وبعد أن ذكرتنيه لأنصرفنَّ»[2].

---

(١) الفصول المهمة: ص٥٥ لابن الصباغ المالكي.

(٢) الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ابن الصباغ المالكي ص٦٣، وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ص٧٧، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٢ ص١٦٧.

وقد عزم الزبير على اعتزال الناس، غير أن ابنه عبدالله وصفه بالجبن ان هو أقدم على ذلك.

وهكذا تفجر الموقف واندلع القتال بين المعسكرين. فكانت حرب الجمل، أو حرب البصرة كما يشاء المؤرخون ان يسموها التي قادها الزبير وطلحة بعد أن أخرجا عائشة معهما كواجهة «شرعية» للعدوان.

الموقف الإنساني الرفيع!

غير أن الإمام ظل ملتزماً بالصبر والأناة وبما امتاز به من الروح الإنسانية الرفيعة، فها هو يخاطب جيشه ـ بعد اندلاع القتال، وبعد أن ذهبت كل محاولاته لاصلاح الموقف سدى ـ ملزماً أصحابه بأرفع الأخلاق التي يريد الله سبحانه من المسلم الالتزام بها في ساحة الحرب «أيها الناس أنشدكم الله أن لا تقتلوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تستحلوا سبياً، ولا تأخذوا سلاحاً، ولا متاعاً»[1]. طارحاً بذلك أحكام شريعة الله تعالى في البغاة.

ثم دعا ربه الأعلى سبحانه مستجيراً من الفتنة التي فجرها الناكثون معلناً براءته منها أمام الله الكبير المتعال.

فبعد أن رفع يديه إلى السماء قال: «اللهم ان طلحة والزبير أعطياني صفقة أيديهما طائعين، ثم نصبا اليَّ الحرب ظاهرين، اللّهم، فاكفنيهما بما شئت وكيف شئت..»[2].

---

(١) الفصول المهمة: للمكالي، ص٦٢، وتذكرة سبط ابن الجوزي.

(٢) الفصول المهمة، لابن الصباغ المالكي: ص٦٢، وتذكرة الخواص لسبط بن الجوزي.

وقد أسفرت المعركة عن إنتصار ساحق لمعسكر الإمام عليه السلام فأعلن قرار العفو العام عن جميع المشتركين في حربه.

«ألا لا يجهز على جريح، ولا يتبع مولٍ، ولا يطعن في وجه مدبر، ومن ألقى السلاح فهو آمن ومن أغلق بابه، فهو آمن، ولا يستحلن فرج ولا مال، وانظروا ما حضر به الحرب من آنية فاقبضوه، وما كان سوى ذلك، فهو لورثته، ولا يطلبن عبد خارج من المعسكر، وما كان من دابة أو سلاح فهو لكم، وليس لكم أم ولد ـ الأمة استولدت ذكراً أو أنثى ـ والمواريث على فريضة الله، وأي امرأة قتل زوجها، فلتعتدْ أربعة أشهر وعشراً.

فقال بعض أصحابه: يا أميرالمؤمنين تحل لنا دماؤهم ولا تحل لنا نساؤهم؟

فقال عليه السلام: كذلك السيرة في أهل القبلة[1].

بيد أن بعضاً من جيشه كانوا يرغبون الحصول على مغانم أكبر مما حدده الإمام عليه السلام.

فقام إليه رجل قائلاً: يا أميرالمؤمنين، والله ما قسمت بالسوية ولا عدلت في الرعية!

قال الإمام عليه السلام: ولم؟ ويحك!!

قال: لأنك قسمت ما في العسكر وتركت الأموال والنساء والذرية!!

فقال له الإمام موضحاً فلسفة ذلك الموقف الإنساني الذي التزمه:

يا أخا بكر: انك امرؤ ضعيف الرأي أو ما علمت أنا لا نأخذ الصغير

---

(١) أحاديث أم المؤمنين عائشة: ق ١ ص ١٨١، نقلاً عن اليعقوبي وكنز العمال.

بذنب الكبير، وأن الأموال كانت لهم قبل الفرقة وتزوجوا على رشد، وولدوا على الفطرة، وانما لكم ما حوى عسكرهم، وماكان في دورهم، فهو ميراث لذريتهم، فان عدا علينا أحد منهم أخذناه بذنبه، وان كفّ لم نحمل عليه ذنب غيره.

يا أخا بكر: لقد حكمت فيهم بحكم رسول الله ﷺ في أهل مكة: قسم ما حوى العسكر، ولم يعرض لما سوى ذلك وانما اتبعت أثره..

يا أخا بكر: أما علمت أن دار الحرب يحل ما فيها؟ وأن دار الهجرة يحرم ما فيها الا بحق..»[1].

هذه بعض مصاديق الموقف الإنساني الفريد الموافق لأمر الله والمطابق لشريعته الغراء الذي التزم به الإمام علي عليه السلام في معاملة المنهزمين من خصومه.. انه موقف لا ترى فيه للعاطفة والاندفاع والتشفي أثراً.. انه موقف جسد فيه الإمام حكم الله تعالى.

وهل غير علي عليه السلام جدير بتجسيد حكم شريعة الله فيما يشجر بين الناس؟

وواصل الإمام عليه السلام خطواته الإنسانية ازاء الناكثين.

وهكذا حسم الموقف لصالح الإمام عليه السلام في فتنة البصرة فتسلح الإمام عليه السلام خلاله وبعده بأنبل المشاعر وأصدقها نحو المغرر بهم محاولاً بذلك رأب الصدع وجمع الشمل واعزاز الأمة.

أما موقف أميرالمؤمنين علي عليه السلام من عائشة التي قادت حرب

---

(١) المصدر السابق: ١٨٢ نقلا عن كنز العمال ومنتخب الكنز.

الجمل، وكانت واجهتها «الشرعية»!! فكان من أنبل المواقف التي شهدتها الإنسانية عبر التاريخ، فقد جهزها بعد هزيمتها بكل ما تحتاج إليه من مركب، وزاد، ومتاع، وشملها بكل رعاية، وحدب، وسيّر معها أخاها محمد بن أبي بكر وأربعين امرأة من فضليات نساء البصرة، وفي يوم رحيلها من البصرة إلى الحجاز شيعها أميرالمؤمنين عليه السلام أميالاً، وسار أبناؤه في موكبها العائد يوماً كاملاً...

هذا ومن الجدير بالذكر أن علياً عليه السلام حين هزم أهل الجمل أمر نفراً من أصحابه أن يحملوا هودج عائشة من بين القتلى، وأمر أخاها محمد بن أبي بكر(رض) أن يضرب عليها قبة حتى لا يراها أحد، وان يتولى هو شأنها... فلما جنّ الليل أدخلها أخوها إلى البصرة، وأنزلها في أشرف دور أهل البصرة على صفية بنت الحرث[1] كل ذلك اكراماً لرسول الله صلى الله عليه وآله وترفعاً على تجاوزات الخاطئين.. وهكذا عامل أميرالمؤمنين عليه السلام عائشة ومن معها بالصفح والرعاية، والنفس المترفع والقلب الواسع الكبير رغم كل ما جرى منها، ومنهم من أخطاء يقل نظيرها في التاريخ.

انها نفس علي عليه السلام التي لا تعرف إلّا الحب، والرحمة والتعالي، وتنأى عن العدوان، والتشفي بأحد مهما بدر منه عدوان أو سوء أو جهل.

---

(١) انظر هذه الوقائع مفصلة في الكامل في التاريخ: ابن الأثير الجزري: ج٣ ص٢٥٤ـ٢٥٨، ط ١٩٦٥. دار صادر بيروت.

فتنة صِفّين!

بعد أن أتمَّ اللّه تعالى لعلي عليه السلام النصر عاد بجيشه إلى الكوفة، وبعد أن عزز قواته، عزم على التوجه إلى الشام لتصفية الفتنة التي يقودها معاوية بن أبي سفيان هناك..

وسار الإمام عليه السلام على رأس جيشه، غير أن أنباء مسير الإمام عليه السلام نحو الشام قد بلغت البغاة القاسطين هناك، فقرروا ملاقاة الزحف الإسلامي فتلاقى الجيشان في أعالى نهر الفرات..

وبدأ الإمام عليه السلام ببذل مساعيه لاصلاح الموقف بالوسائل السلمية، فأرسل وفداً ثلاثياً إلى معاوية، يدعوه إلى تقوى الله والحفاظ على وحدة الصف والدخول في اجماع الأمة «..اذهبوا إلى هذا الرجل ـ معاوية ـ وادعوه إلى الله تعالى، وإلى الطاعة والجماعة، لعل الله تعالى أن يهديه، ويلتئم شمل هذه الأمة»[1].

والتقى الوفد بقائد الفتنة، وأبلغوه بنوايا الإمام عليه السلام ووضعوه أمام

---

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ص٧.

الله تعالى وحذروه مغبة ما يقدم عليه، غير أن معاوية أبدى اصراراً، حتى ختم رده على الوفد بهذه الألفاظ المتكبرة المتغطرسة: «انصرفوا عني فليس عندي إلّا السيف»[1].

على أن الموقف الأموي ذاك لم يصرف الإمام عليه السلام عن التسلح بالصبر والاناة أبداً، ولم يثر فيه روح التعجيل بالمواجهة الصارمة حقناً للدماء، وحفاظاً على نفوس الأمة...

بيد أن الموقف الإنساني الذي التزمه الإمام عليه السلام لم يزد القوى الباغية إلّا اصراراً، فعملوا من جانبهم على الحيلولة دون حصول جيش الإمام عليه السلام على الماء، حيث سبق أن تحرك فيلق لهم واتخذ مواقعه عند نهر الفرات ليمنع جند الإمام من الماء...

وبالنظر لأهمية الماء في الاستراتيجية العسكرية ولعدم توفر مصدر آخر لجيش الإمام غير الفرات، فان الإمام عليه السلام قد التزم الأناة أيضاً في معالجة الموقف.

فأرسل رسولاً إلى معاوية ليبلغه «أن الذي جئنا له غير الماء، ولو سبقناك إليه لم نمنعك عنه».

فرد عليهم معاوية بكلمة لا ترعى الله في دماء المسلمين: «لا والله ولا قطرة حتى تموت ظمأً»!![2]

الأمر الذي اضطر الإمام عليه السلام إلى استعمال العنف في الحصول على

---

(١) نفس المصدر السابق: ص ٧١.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج ١ ص ٢٣، لابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ط ١٩٥٩م، دار احياء الكتب العربية.

الماء لجيشه، حيث لا بديل للعنف..

وهكذا حرك الإمام عليه السلام فرقة من جيشه لانهاء الحصار المضروب عليهم، فانهزم فيلق معاوية شر هزيمة..

وبعد أن صار الماء في نطاق نفوذ جيش الإمام عليه السلام أذن للباغين بالتزود منه متى شاؤوا، مجسداً بذلك بنداً من أخلاق الإسلام العظيمة في هذا المضمار.

فأعظم بعلي من محارب نبيل، وأكرم به من صاحب قلب كبير!!

وحيث أن همّ الإمام عليه السلام أن يحقن دماء المسلمين ويصونهم من التمزق، ويدرأ التصدع عن صفهم، فقد طلب من معاوية أن ينازله إلى ميدان القتال فيتقاتلا دون الناس لكي تكون امامة الأمة لمن يغلب «يا معاوية علام يُقتَلُ الناس؟ ابرز اليّ ودع الناس، فيكون الأمر لمن غلب»[1].

إلّا أن معاوية قد رفض خوفاً من بطش الإمام عليه السلام وبسالته.

وبالرغم من أن الجيش الأموي قد بدأ القتال من جانبه، فان الإمام عليه السلام قد التزم بضبط النفس كذلك وحاول أن يحصر القتال في حدود المبارزة المحدودة[2].

ولما لم تلقَ محاولات الإمام عليه السلام لرأب الصدع ـ الذي أوجده معاوية في صف الأمة ـ استجابة، تفجر الموقف بحرب واسعة النطاق استمرت أسبوعين دون هوادة.

---

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي، وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي، بلفظ متقارب.

(٢) نفس المصدر السابق.

وقد لاحت تباشير النصر لصالح معسكر الإمام عليه السلام وأوشكت القوى الباغية على الانهزام، فدبروا «خدعة المصاحف» فرفعوا المصاحف على رؤوس الرماح والسيوف.. مما نجم عن تلك الخطة الماكرة تغير جوهري في الموقف العام.

ولقد كان لرفع المصاحف من قبل معسكر معاوية صدىً عميق في معسكر الإمام عليه السلام إذ سرعان ما صارت كثرة كاثرة من جيشه تطالبه بايقاف القتال.. فكثر اللغط بين الصفوف وآثر الآلاف ترك الحرب..

ومع أن الإمام تصدى لكشف خلفيات رفع المصاحف واستعمل كل وسائله الاقناعية في البرهنة على كونها خدعة يراد بها عرقلة تحقيق النصر الذي بات وشيكاً لصالح جيش الإمام عليه السلام. إلّا أن المطالبين بايقاف القتال لم يستجيبوا لنداءاته المتكررة في هذا المضمار، ولعل بعضهم استعمل لغة التهديد للإمام عليه السلام...[1].

واضطروه أن يبعث الاشعث بن قيس إلى معاوية للتعرف على ما يريد من وراء رفعه للمصاحف، فعاد يحمل رغبة معاوية في التحكيم بين الجبهتين.. ثم تلى ذلك، الفصل الثاني من المأساة، فاختارت الغوغاء أبا موسى الأشعري لتمثيل معسكر الإمام عليه السلام بينما اختار معاوية عمرو ابن العاص.

على أن الإمام عليه السلام قد رفض فكرة تمثيل الاشعري لمعسكره باعتبار أن الأشعري كان معتزلاً للإمام عليه السلام ولم يكن يرى في الإمام أهلاً

---

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ص ٣٠١.

لتولي الخلافة بعد عثمان[1] ـ هو وآخرون ممن اعتزلوا الإمام عليه السلام ـ وكان يخذل الناس عن نصرة الإمام، مما حمل أميرالمؤمنين على عزله من ولاية الكوفة[2].

وقد رجح الإمام عليه السلام أن يكون الممثل لمعسكره في التحكيم عبدالله بن عباس، غير أن الغوغاء أصروا على اختيار أبي موسى الأشعري بالرغم من تأكيد الإمام على ضعفه ووهن رأيه اضافة إلى مرتكزاته الفكرية وموقفه من حكومة الإمام عليه السلام.

وها هو الإمام عليه السلام يخاطب المخدوعين بقوله «قد عصيتموني في أول الأمر ـ يشير إلى قبول التحكيم وايقاف القتال ـ فلا تعصوني الآن، لا أرى أن تولوا ابا موسى الحكومة فانه ضعيف عن عمرو ومكائده»[3].

إلّا أنهم أصروا على اختيار الأشعري.

ومن هنا فإن الباحث البصير لا يمكن أن يركن إلى الاعتقاد بأن تلك الأمور قد جرت بشكل عفوي أبداً.. فإن سير الأحداث لا يدل على ذلك.. إذ أن رفع المصاحف كان قد جرى بتوقيت وتنسيق بين معاوية وحركة موالية له داخل جيش الإمام عليه السلام لابدّ أن يكون له اتصال معها....

فما أن ارتفعت المصاحف حتى استجاب اولئك لايقاف القتال مستفيدين من سأم الناس من الحرب فوسعوا قاعدتهم في صفوف

---

(١) راجع الفصول المهمة: ص٧٨، وتذكرة الخواص، ص٣٠١.

(٢) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ص٧٤.

(٣) نفس المصدر السابق: ص٧٩.

معسكر الإمام عليه السلام وفرضوا عليه التحكيم، وممثل معسكره في التحكيم فيما بعد...

وهكذا فاني لا أعتقد بحال أن لا تكون حركة التمرد في جيش الإمام عليه السلام بذلك الشكل الذي ذكره المؤرخون لا تعتمد على تخطيط أموي أبداً..

وقد جاءت نتائج التحكيم ـ كما توقع الإمام عليه السلام ـ لصالح معاوية حيث بدأ الأمر يستتب له شيئاً فشيئاً!!

فان عمرو بن العاص قد دبَّر حيلة لأبي موسى الأشعري مفادها أن يخلع كل منهما ممثله عن الخلافة، ليختارا غيرهما! فانطلت اللعبة على أبي موسى، فخلع الخليفة والإمام الشرعي والمنتخب من الأمة علياً عليه السلام ـ كما يخلع خاتمه من يده!! ـ

فما كان من عمرو بن العاص، إلّا وأعلن تثبيت ممثله معاوية كما يثبت هو خاتمه في يده.

وهكذا ساد الهرج والمرج في صفوف المسلمين وظهرت فرقة الخوارج في جيش علي عليه السلام بعد هذه الحادثة حيث طالبت برفض التحكيم، وأدانت علياً عليه السلام لموافقته على التحكيم، وايقاف الحرب بينما لم يكن هو صاحب الفكرة ـ كما رأينا ـ ولا هو راضٍ عنها ابتداءً، وانما فُرضت عليه فرضاً!!

وقعة النهروان

بعد واقعة التحكيم عاد الإمام عليه السلام بجيشه إلى الكوفة... ففوجئ بخروج طائفة من جيشه يبلغ تعدادها أربعة آلاف، معلنة تمردها على الإمام عليه السلام فلم تدخل معه الكوفة.. وانما سلكت سبيلها إلى حروراء، فاتخذت مواقعها هناك...

ومن الجدير بالذكر أن الفئة التي خرجت على الإمام عليه السلام كان أغلبها من الفئات التي أرغمته على التحكيم في حرب صفين[1].

فعند تمرد تلك الفئة وخروجها من جيش الإمام عليه السلام أعلنت مبررات خروجها تحت شعار «لا حكم إلّا لله، لا نرضى بأن تحكم الرجال في دين الله، قد أمضىٰ الله حكمه في معاوية واصحابه أن يقتلوا أو يدخلوا معنا في حكمنا عليهم، وقد كانت منا خطيئة وزلة حين رضينا بالحكمين، وقد تبنا إلى ربنا، ورجعنا عن ذلك، فارجع ـ يقصدون الإمام عليه السلام ـ كما رجعنا، وإلّا

---

(١) يوليوس فلهوزن: الخوارج والشيعة ترجمة عبدالرحمن بدوي: ط ٢، ١٩٧٦ كويت ص٣٢.

فنحن منك براء[1].

بيد ان الإمام عليه السلام أوضح لهم حينئذ ان الخلق الإسلامى يقتضي الوفاء بالعهد ـ الهدنة لمدة عام ـ الذي أبرم بين المعسكرين قائلاً: «ويحكم، بعد الرضا والعهد والميثاق أرجع»؟

أوليس الله يقول: ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون﴾[2].

إلّا أن هذه الجماعة لم تصغ إلى توجيهات الإمام عليه السلام واستمروا في غيهم، وتعاظم خطرهم بعد انضمام أعداد جديدة لمعسكرهم، وراحوا يعلنون القول بشرك المنتمين إلى معسكر الإمام عليه السلام ـ بالاضافة للإمام ـ ورأوا استباحة دمائهم.. وهكذا أسس هؤلاء ثقافة تكفير المسلمين التي لا تزال في بعض اوساط الأمة منذ ذلك التاريخ!

ولقد كان الإمام عليه السلام عازماً على عدم التعرض لهم ابتداءً ليمنحهم فرصة التفكير جدياً بما أقدموا عليه، عسى أن يعودوا إلى الرأي السديد، ولكي يتفرغ كلياً لاستئناف القتال مع البغاة في الشام، بعد فشل التحكيم بعد اللقاء الثاني بين الحكمين، حيث تمت خديعة عمرو بن العاص لأبي موسى الاشعري التي أدت إلى عدم تحقيق التحكيم بشكل المناسب.

غير أنهم بدأوا يشكلون خطراً حقيقاً على دولة الإمام عليه السلام من الداخل.. وبدأ خطرهم يتعاظم فقتلوا بعض الأبرياء، وهددوا الآمنين،

---

(١) وقعة صفين: نصر بن مزاحم، ط ٢، ١٣٨٢هـ ص٥١٧.

(٢) النحل: الآية ٩١، راجع وقعة صفين: نصر بن مزاحم ص٥١٧.

فقتلوا الصحابي الجليل عبدالله بن خباب وبقروا بطن زوجته وهي حامل مقرب دون مبرر.. وقتلوا نسوة من طي.

فلما بلغ أمرهم أميرالمؤمنين عليه السلام ارسل إليهم الحارث بن مرة العبدي، ليتعرف على حقيقة الموقف غير أنهم قتلوه كذلك[1].

فلما علم الإمام عليه السلام بالأمر كرَّ راجعاً من الأنبار ـ حيث كان قد اتخذها مركزاً لتجميع قواته المتجهة نحو الشام ـ وعندما اقتربت قواته منهم بذل مساعيه من أجل اصلاح الموقف دون اراقة للدماء، فبعث إليهم أن يرسلوا إليه قتلة المؤمنين عبدالله بن خباب والحارث العبدي وغيرهما وهو يكف عنهم، ولكنهم أجابوه: انهم كلهم قتلوهم..

وبعث الإمام عليه السلام إليهم الصحابي الجليل قيس بن سعد فوعظهم، وحذرهم مغبة موقفهم الأحمق... وأهاب بهم للرجوع عما يرون من جواز سفك دماء المسلمين وتكفيرهم دون وجه حق..[2].

وتابع الإمام عليه السلام موقفه الإنساني الرشيد، فأرسل إليهم أبا أيوب الأنصاري(رض) وبعد أن وعظهم، رفع راية ونادى: من جاء هذه الراية ـ ممن لم يَقتلُ ـ فهو آمن، ومن انصرف إلى الكوفة أو المدائن فهو آمن لا حاجة لنا به بعد أن نصيب قتلة اخواننا[3].

وقد نجحت المحاولة إلى حد كبير حيث تفرقوا شيئاً بعد شيء حتى انخفض عددهم إلى أربعة آلاف إذ كان قد بلغ عددهم اثني عشر ألفاً.

---

(١) الفصول المهمة: للمالكي، ص ٩١.

(٢) المصدر المتقدم: ص ٩٢.

(٣) أعيان الشيعة: ج ٣ ص ٢. (عن الطبري)، والفصول المهمة: ص ٩٣.

وقد بدأ الباقون منهم العدوان من جانبهم على جيش الإمام عليه السلام فأمر أصحابه بالكف عنهم حتى يبدؤوا بالقتال. فلما بدأ الخوارج القتال، طوقتهم قوات الإمام عليه السلام فأبادت المارقين البلداء، وتحقق الظفر لراية الحق.

وهكذا قضى الإمام عليه السلام في حرب النهروان على حركة الذين سبق لرسول الله صلى الله عليه وآله أن سماهم المارقين حين أشار إليهم في حديث رواه ابو سعيد الخدري قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يخرج في هذه الأمة قوم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية»[1].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه نقلاً عن الفصول المهمة: ص٩٤ والبلاذي في أنساب الأشراف ج٢، ص٣٧٦، عن علي (ع) بلفظ آخر، وخصائص النسائي: ص٧١.

في ذمة الله!

أنهى الإمام عليه السلام مقاومة المارقين، فشمر عن ساعديه لاستئناف قتال القاسطين في الشام بعد أن فشل التحكيم عند اللقاء الثاني بين الحكمين.

وقد أمر الإمام عليه السلام بتعبئة جيشه، وأعلن حالة الحرب لتصفية قوى البغي التي يقودها معاوية، وجاء أعلان الحرب من خلال خطبة لأميرالمؤمنين عليه السلام خطبها في الكوفة ـ عاصمة الدولة الإسلامية ـ فضمنها دعوته للجهاد.

«...الجهاد، الجهاد عباد الله! ألا واني مُعسِكر في يومي هذا.. فمن أراد الرواح إلى الله، فليخرج!»[1].

ثم بادر الإمام عليه السلام إلى عقد الوية الحرب، فعقد للحسين راية ولأبي أيوب الأنصاري أخرى، ولقيس بن سعد ثالثة.

وبينما كان أميرالمؤمنين يواصل تعبئة قواته من أجل أن ينهي حركة

---

(١) نهج البلاغة: رقم الخطبة ١٨٢.

الانفصال التي يقودها معاوية في بلاد الشام كان يجري في الخفاء تخطيط لئيم من أجل اغتيال الإمام عليه السلام!!

فقد كان جماعة من الخصوم قد عقدوا اجتماعاً في مكة المكرمة، وتداولوا في أمر حركتهم، التي انتهت إلى أوخم العواقب.

فخرجوا بقرارات كان أخطرها قرار اغتيال أميرالمؤمنين عليه السلام وقد أوكل أمر تنفيذه للمجرم الأثيم (عبدالرحمن بن ملجم المرادي)، وفي ساعة من أحرج الساعات التي يمر بها الإسلام والمسيرة الإسلامية، وبينما كانت الأمة تتطلع إلى النصر على عناصر الفرقة التي يقودها معاوية بن أبي سفيان، امتدت يد الأثيم المرادي إلى علي عليه السلام فضرب الإمام عليه السلام بسيفه وهو في سجوده عند صلاة الفجر، في مسجد الكوفة الشريف، وذلك في صبيحة اليوم التاسع عشر من شهر رمضان المبارك عام ٤٠ هجرية.

لقد اغتيل الإمام عليه السلام وهو في أفضل ساعة حيث يقوم بين يدي الله في صلاة خاشعة.

وفي أشرف الأيام إذ كان يؤدي صوم شهر رمضان.

ثم هو عليه السلام في أعظم تكليف إسلامي حيث كان في طريقه لخوض غمار حرب جهادية، كما كان في بقعة من أشرف بقاع الله وأطهرها «مسجد الكوفة».

فطوبى لعلي وحسن مآب.

ولكن جريمة قتل علي عليه السلام تبقى أشرس جريمة وأكثرها فظاعة ووحشية، لأنها جريمة لم تستهدف رجلاً كباقي الرجال، انما استهدفت

القيادة الإسلامية الراشدة بعد رسول الله ﷺ.

واستهدفت كذلك اغتيال الرسالة الألهية، وقيمها العظيمة، وأهدافها العليا وكلّها تتمثل في شخص علي أميرالمؤمنين عليه السلام.

وبهذا خسرت الأمة الإسلامية مسيرة وحضارة وأروع فرصة وأطهرها في حياتها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولقد بقي الإمام عليه السلام يعاني من علته ثلاثة أيام، عهد خلالها بالإمامة إلى ولده الحسن السبط عليه السلام ليمارس بعده مسؤولياته في قيادة الأمة الفكرية والاجتماعية.

وكان عليه السلام طوال الأيام الثلاثة ـ كما كان طول حياته ـ لهجاً بذكر الله، والثناء عليه والرضا بقضائه، والتسليم لأمره، كما كان يصدر الوصية تلو الوصية، والتوجيه الحكيم أثر التوجيه، مرشداً للخير، دالاً على المعروف، محدداً سبل الهدى، مبيناً طريق النجاة، داعياً لاقامة حدود الله تعالى وحفظها، محذراً من الهوى والنكوص عن حمل الرسالة الإلهية.

وهذه واحدة من وصاياه بهذا الشأن ـ مخاطباً بها الحسن والحسين سبطي رسول الله ﷺ وأهل بيته وأجيال الأمة:

«أوصيكما بتقوى الله، وألّا تبغيا الدنيا وان بغتكما، ولا تأسفا على شيء منها زُوي عنكما، وقولا بالحقّ، واعملا للأجر وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً.

أوصيكما، وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي، بتقوى الله، ونظم أمركم، وصلاح ذات بينكم، فأني سمعت جدكما ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ

يقول: «صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام».

الله الله في الأيتام، فلا تَغِبُّوا أفواههم، ولا يضيعوا بحضرتكم.

الله الله في جيرانكم، فأنهم وصية نبيكم. ما زال يوصي بهم، حتى ظننا انه سيورثهم.

الله الله في القرآن، لا يسبقكم بالعمل به غيركم.

الله الله في الصلاة، فانها عمود دينكم.

الله الله في بيت ربكم، لا تخلوه ما بقيتم، فانه ان ترك لم تناظروا.

الله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم في سبيل الله.

وعليكم بالتواصل والتباذل، واياكم والتدابر والتقاطع، لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم شراركم، ثم تدعون فلا يستجاب لكم.

ثم قال:

يا بني عبدالمطلب، لا ألفينّكم تخوضون دماء المسلمين خوضاً، تقولون: «قتل أميرالمؤمنين» ألا لا تقتلنّ بي إلّا قاتلي.

أنظروا إذا أنا متُّ من ضربته هذه، فاضربوه ضربة بضربة، ولا تمثلوا بالرجل، فاني سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول: «اياكم والمثلة ولو بالكلب العقور»[1].

وهكذا كانت النهاية المؤلمة لهذا الرجل العظيم..

فلقد كانت خسارة الرسالة والأمة بفقده من أفدح الخسائر التي

---

(١) نهج البلاغة: تبويب د. صبحي الصالح، ص ٤٢١ رقم النص ٤٧.

أصيبت بها الأمة بعد رسول الله ﷺ.

فبموت علي عليه السلام فقدت الأمة.

بطولة غدت أنشودة للزمان..

وشجاعة ما حلم التاريخ بمثلها..

وحكمة لا يعلم بعدها إلا الله..

وطهراً ما اكتسى به غير الأنبياء..

وزهداً في الدنيا ما بلغه إلا المقربون..

وبلاغة كأنما هي رجع صدى لكتاب الله..

وفقهاً وعلماً وتضلعاً بأحكام الرسالة الألٰهية جعلت منه باب مدينة علم الرسول ﷺ ومرجعاً للأمة الإسلامية في جميع شؤونها.

فسلام على أميرالمؤمنين يوم ولد ويوم قضى شهيداً في محرابه ويوم يبعث حياً..

الفصل الثالث

«..ما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل»

أمير المؤمنين عليه السلام

توطئة

كنا قد تناولنا في الفصل الأول من دراستنا هذه لحياة أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام دور رسول الله صلى الله عليه وآله في اعداد شخصية الإمام علي عليه السلام والاشراف المباشر على تشكيل عناصرها، منذ طفولته.. حتى صارت شخصية الإمام عليه السلام نسخة مكررة لرسول الله صلى الله عليه وآله فكراً وعقيدة وسلوكاً فيما عدا النبوة ومستلزماتها..

ولقد وصف الإمام عليه السلام طبيعة خضوعه لذلك اللون من الاعداد الرسالي وصفاً دقيقاً بقوله «.. وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره، وأنا ولد، يضمني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل.

ولقد قرن الله به ـ صلى الله عليه وآله ـ من لدن ان كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم: ليله ونهاره.

ولقد كنت أتبعه: اتباع الفصيل اثر أمه يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة، وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي، واشم ريح النبوة.

ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه ـ صلى الله عليه وآله ـ.

فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنّة؟

فقال: «هذا الشيطان قد أيس من عبادته، انك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلا أنك لست بنبي، ولكنك لوزير وانك لعلى خير..»[1].

فهذا النص الكريم اضافة إلى ما حفظه لنا التاريخ من سيرة الإمام عليه السلام يجسد لنا بعمق وقوة المدى الذي كان الإمام عليه السلام قد حظي به في مضمار الأعداد الرسالي المخطط الذي خصه رسول الله صلى الله عليه وآله به. تهيئة له للنهوض بأعباء الأمامة الشرعية والمرجعية الفكرية والسياسية في الأمة.

وقد بدأ ذلك الاعداد الرسالي من لدن رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام منذ نعومة أظفاره فهو ربيبه الذي فتح عينيه في حجره، وهيأ له من فرص التفاعل معه وسلوك نهجه في الحياة ما لم يتوفر لأحد سواه.

وبالإضافة إلى ما كان قد خُصَّ به الإمام عليه السلام من لدن الرسول صلى الله عليه وآله ايام الطفولة والصبا من رعاية وتبنٍّ وتربية، الأمر الذي ألمحنا إليه في

---

(١) نهج البلاغة: تبويب د. صبحي الصالح، خطبة رقم ١٩٢ المسماة بخطبة «القاصعة».

الفصل الأول من هذه الدراسة فان الاعداد الرسولي للإمام عليه السلام منذ الدعوة المباركة، وحتى آخر ساعة من حياة رسول الله صلى الله عليه وآله قد اتسع مداراً وازداد شمولاً واصبح أكثر تركيزاً.

والشواهد من حياة رسول الله صلى الله عليه وآله متظافرة في هذا المضمار: فضلاً عن حرص الإمام عليه السلام على الاقتداء به بأقصى درجات الاقتداء وأصدقها وأكثرها أمانة، فان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يخصه بفكر الرسالة وحقائقها ومتطلباتها، ويمده بالمزيد من الثقافة الإلهية.

وكان صلى الله عليه وآله يختلي بالإمام عليه السلام الساعات الكثيرة آناء الليل والنهار ليعمق وعيه لمفاهيم الرسالة ومشاكل المهمة التغييرية التي بدأها رسول الله في الواقع الإنساني، واساليب العمل من أجل اكمال ما بدأه الرسول صلى الله عليه وآله.

روى النسائي عن عبدالله بن عمرو بن هند الجملي عن علي عليه السلام قال: «كنت إذا سألت رسول الله صلى الله عليه وآله أعطيت، وإذا سكتُ ابتدأني[1].

وعن ابن عباس عن علي عليه السلام قال: «كان لي من النبي صلى الله عليه وآله مدخلان: مدخل بالليل، ومدخل بالنهار».

وعن أبي سعيد الخدري قال: «كانت لعلي من رسول الله صلى الله عليه وآله دخلة لم تكن لأحد من الناس».

وعن عبدالله بن يحيى عن علي عليه السلام قال: «كنت أدخل على نبي الله صلى الله عليه وآله كل ليلة، فان كان يصلي سبح، فدخلت، وان لم يكن يصلي إذن

---

(١) خصائص الإمام علي بن أبي طالب: للنسائي ط ١. بيروت ١٩٧٥، وأنساب الأشراف: للبلاذري، ج ٢ ص ٩٨.

لي فدخلت[1].

وعن أم سلمة قالت: «والذي تحلف به أم سلمة أن أقرب الناس عهداً برسول الله ﷺ علي عليه السلام.. لمّا كان غدوة قبض رسول الله ﷺ فأرسل إليه رسول الله ﷺ ـ قالت ـ: «وأظنه بعثه في حاجة» فجعل يقول: جاء علي؟ ـ ثلاث مرات ـ فجاء قبل طلوع الفجر فلما أن جاء عرفنا أن له إليه حاجة، فخرجنا من البيت وكنّا عند رسول الله يومئذ في بيت عائشة، وكنت في آخر من خرج من البيت، ثم جلست من وراء الباب، فكنت أدناهم إلى الباب، فأكب عليه علي عليه السلام، فكان آخر الناس به عهداً، فجعل يسارُهُ ويناجيه»[2].

ولقد كانت حصيلة ذلك الاعداد الرسالي الخاص من رسول الله ﷺ لعلي أن هيَّأت الرسالة الإلهية الإمام علياً عليه السلام لاحتلال موقع المرجعية الفكرية والسياسية للأمة الإسلامية.

وقد عبر الإسلام الحنيف عن ذلك التحديد بشتى الوسائل التعبيرية المباشرة، مجسداً مؤهلات علي عليه السلام لإمامة الأمة المسلمة تارة، ومعلناً تارة أخرى اسناد الإمامة الشرعية له رسمياً:

فضائل علي من حديث رسول الله ﷺ

وهذه بعض مؤهلات الإمام عليه السلام كما تعكسها النصوص الصحيحة:

---

(١) نفس المصدر السابق: ص٤٨.

(٢) نفس المصدر: ص٦٥، وأخرجه أيضاً أحمد بن حنبل في مسنده والكنجي والمحب الطبري وغيرهم نقلاً عن مقام أميرالمؤمنين: ص٧٧ ـ ٧٨ مطبعة الأعلمي كربلاء.

١ ـ قال رسول الله (ص) مثل علي فيكم كمثل الكعبة..»[١] فحيث توحد الكعبة وجهة الأمة عند ساعات الوقوف بين يدي الله تعالى في الصلاة أو أداء شعائر الحج والعمرة، كذلك يفعل التزام علي عليه السلام والأخذ عنه في دنيا المسلمين.

٢ ـ والإمام عليه السلام هو الصراط المستقيم الذي تستلهم الأمة منه العلم الإلهي ومعارف التشريع بعد رسول الله صلى الله عليه وآله دون سواه من الناس:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «علي باب علمي ومبيِّن لأمتي ما أرسلت به من بعدي: حبه إيمان، وبغضه نفاق...»[٢].

وقال صلى الله عليه وآله أنا مدينة العلم وعلي بابها..»[٣].

٣ ـ وأن علياً كرسول الله صلى الله عليه وآله في اقامة العدل بين الناس فكفه ككفه صلى الله عليه وآله، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا أبا بكر: كفي وكفُ علي في العدل سواء»[٤].

٤ ـ ويصف الرسول علياً عليه السلام بأنه كنفسه، فقد أخرج أحمد بن

---

(١) جلال الدين السيوطي في تاريخ الخلفاء: ج١ ص٩٦، وابن عساكر منن حديث أبي بكر وعثمان وعائشة وسواهم، وأخرج الحديث الكنجي الشافعي في الكفاية والخوارزمي في المناقب، نقلاً عن مقام أميرالمؤمنين ص٦ ـ ٧ مطبعة الأعلمي ـ كربلاء.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية، ورواه الديلمي في فردوس الأخبار، والحموييني في الفرائد، وغيرهم نقلاً عن المصدر السابق ص٧.

(٣) أخرجه أحمد بن حنبل والترمذي في جامعه الصحيح، وانظر مصادره الكثيرة في: فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي، للحافظ أحمد بن محمد الغماري ط ٢ ١٩٦٩.

(٤) أخرجه جلال الدين السيوطي في تاريخ الخلفاء وابن عساكر في تاريخه الكبير والمناقب للخطيب الحنفي نقلاً عن مقام أميرالمؤمنين ص١٢.

حنبل في مسنده عن عبدالله بن حنطب قال: قال رسول الله ﷺ لوفد ثقيف ـ حين جاؤوه ـ «لتسلمُنَّ أو لأبعثنَّ إليكم رجلاً كنفسي ليضربنَّ أعناقكم وليسبينَّ ذراريكم، وليأخذنَّ أموالكم ـ فالتفتَ إلى علي وأخذه بيده ـ فقال: هو هذا، هو هذا»[1].

٥ ـ وأن الإمام عليه السلام أدرى المسلمين قاطبة بشؤون القضاء بعد رسول الله ﷺ، فعن أنس بن مالك قال:

قال رسول الله ﷺ: «أقضى أمتي علي»[2]، وهو اشارة من الرسول ﷺ إلى أن الإمام علي عليه السلام أقدر من سواه على ادارة شؤون الأمة وحسم ما يشجر في حياتها العملية.

٦ ـ وقال المصطفى ﷺ «علي مع الحق والحق مع علي، ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض يوم القيامة»[3].

٧ ـ وحيث أن علياً عليه السلام صنو الحق الذي هدى الله عباده إليه، فلا يفترق أحدهما عن الآخر، فقد دعا رسول الله ﷺ أمته لسلوك منهجه والاندماج بخطه لينقذها من الزيغ، ولكي لا تتبع السبل فتضل عن سبيل الله تعالى قال ﷺ: «ستكون من بعدي فتنة، فاذا كان ذلك،

---

(١) وأخرجه ابن حنبل في المناقب أيضاً، وأخرجه كذلك أبو نعيم في الحلية، والترمذي وغيرهما، نقلاً عن علي والوصية: ص٢٣٦ ـ ٣٤٧، بألفاظ متشابهة.

(٢) الرياض النضرة: ج٢ ص١٩٨، والكنجي الشافعي في الكفاية والفصول المهمة ـ لابن الصباغ المالكي، وأنساب الأشراف للبلاذري، نقلاً عن مقام أميرالمؤمنين: ص٣٢، ط الأعلمي.

(٣) الخطيب البغدادي في تاريخه الكبير: ج٤ ص٣٢١، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة وكنز العمال والزمخشري في ربيع الأبرار والحموييني في فرائد المسطين وغيرهم، نقلاً عن علي والوصية: ص١١٣.

فالزموا علي بن أبي طالب، انه أول من يراني، وأول من يصافحني يوم القيامة، وهو مني في السماء العليا، وهو الفاروق بين الحق والباطل»[1].

٨ ـ وحول إيمان علي عليه السلام ومداه يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «لو أن السماوات والأرض موضوعتان في كفة وإيمان علي في كفة لرجح إيمان علي»[2].

هذه بعض مؤهلات علي عليه السلام كما بيّنها رسول الله صلى الله عليه وآله.

أمر الأمامة في النصوص:

أما النصوص التي تسند إليه أمر إمامة الأمة فكرياً وسياسياً بشكل صريح كما اشرنا فيما مضى فنذكر منها:

١ ـ آية الولاية:

﴿إنّما وَليُّكمُ الله وَرَسولُهُ والّذينَ آمنوا الّذين يُقيمونَ الصلاة ويؤتون الزّكاةَ وَهم راكِعون * وَمَن يَتَوَلَّ الله وَرَسُولهُ والّذينَ آمنوا فإنَ حِزبَ الله هُمُ الغالِبوُن﴾. (المائدة: ٥٥ ـ ٥٦)

فقد ذكر المفسرون والمحدثون أن آية الولاية هذه قد نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث تؤكد بلا أدنى شك أنه يجب على الأمة

---

(١) الكنجي الشافعي في كفاية الطالب والحافظ في أماليه وغيرها، نقلاً عن علي والوصية ١٦٧.

(٢) أخرجه الديلمي عن ابن عمر، يراجع كنز العمال: ج٦ ص١٥٦، والرياض النضرة: ج٢ ص٢٢٦، أخرجه عن عمر بن الخطاب نقلاً عن مقام أميرالمؤمنين: ص١٥ ط الأعلمي ـ كربلاء.

الإسلامية الالتزام به إماماً ومرجعاً فكرياً وسياسياً بعد رسول الله ﷺ.

وكان سبب نزول هذه الآية الكريمة أن سائلاً دخل مسجد رسول الله ﷺ يسأل المسلمين المعونة فأشار الإمام عليه السلام إلى السائل أن يتناول خاتم علي عليه السلام من إصبعه وهو راكع فانتزع السائل خاتم الإمام من إصبعه إذ تصدق الإمام به وهو راكع فنزلت فيه هذه الآية[1].

٢ ـ خطبة الغدير التي ألقاها رسول الله ﷺ في حجة الوداع بعد أدائه فريضة الحج الأكبر، ومناسكه.

فعن البراء بن عازب قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ سنته التي حج فيها، فنزل في بعض الطريق فأمر:

الصلاة جامعة، فأخذ بيد علي،

فقال: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟».

قالوا: بلى

قال ﷺ: «ألست أولى بكل مؤمن من نفسه؟».

قالوا: بلى

قال ﷺ: «فهذا ولي من أنا مولاه، أللهم والِ من والاه، اللهم عادِ من

---

(١) راجع تفسير الآية في كل من: تفسير البيضاوي، ومجمع البيان للطبرسي، وأبو اسحاق الثعلبي في تفسيره، والطبري فى تفسيره، والواحدي في أسباب النزول، وأبو البركات النسفي في تفسيره، والنيسابوري في تفسيره، والشبلنجي في نور الأبصار، وابن حجر في صواعقه المحرقة، وغيرهم. نقلاً عن الفضائل الخمسة من الصحاح الستة وأعيان الشيعة: ج٣ ق١ ص١٣. وما بعدها، وراجع مدلولها في كتاب: الأمامة في الرسالة الإسلامية: للمؤلف.

عاداه»[1].

وفي لفظ أحمد بن حنبل أن رسول الله ﷺ قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه»[2].

٣ ـ وعن أم سلمة أم المؤمنين قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله اختار لكلِ نبي وصياً، وعلي وصيي في عترتي وأهل بيتي وأمتي بعدي»[3].

هذه بعض النصوص الإسلامية الصحيحة التي أسندت أمر المرجعية الفكرية والسياسية في هذه الأمة لعلي بن أبي طالب عليه السلام. ولمن يريد المزيد من تتبع نصوص الإمامة مراجعة المصادر المختصة بالموضوع[4].

---

(١) لفظ صحيح ابن ماجه: ص١٢.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ج٤ ص٢٨١، وقد نص على أن الحديث رواه ثلاثون صحابياً. وقد أخرج الحديث غيره كالنسائي في الخصائص والطبراني عن زيد بن أرقم، والفخر الرازي في تفسير آية ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ وكنز العمال: ج١ ص٤٨ ومستدرك الصحيحين، وقد رواه من الصحابة مائة وعشرة لاحظ مصادر تواتر الحديث كما نص عليها الشيخ الأميني في الغدير المجلد الأول.

(٣) الموفق بن أحمد الحنفي في مناقبه، والحموينى الشافعي في فرائد السمطين، وفي مسند أحمد بن حنبل حديث الوصية يشبهه، وللثعلبي في الكشف والبيان، وابن المغازلي مثله، نقلاً عن علي والوصية ص٢٣٥.

(٤) ككتاب «الغدير» للشيخ عبدالحسين الأميني، و«دلائل الصدق» للشيخ محمد حسن المظفر و«احقاق الحق» للقاضي التستري، و«عبقات الأنوار» للسيد مير حامد حسين، و«المراجعات» للسيد عبدالحسين شرف الدين.. وغيرها.

شخصية أمير المؤمنين عليه السلام

من خلال مقوماتها الواقعية

علاقة عليّ عليه السلام بالله عزوجل وأبعادها

* علاقة الإمام علي بالله تعالى
* شواهد من عبادة أميرالمؤمنين عليه السلام
* المنهج العبادي في خطوطه الأساسية

إذا كانت حصيلة الاعداد الإلهي المباشر لرسول الله ﷺ أن صار خلقه ﷺ: القرآن بكل ما فيه من فضائل وقيم روحية رفيعة مجسداً حياً في دنيا الواقع[1]، فان حصيلة الاعداد الرسالي من لدن رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب عليه السلام أن صار علي عليه السلام صورة مكررة للرسول ﷺ فكراً وهدياً ومواقف..

ولقد قرأنا بين ثنايا النصوص الكريمة التي مرت بنا خلال هذه الدراسة[2]: تلك النصوص التي تكشف بقوة عما لعلي عليه السلام من مكانة في دنيا الإسلام فضلاً عن الموقع الذي احتله في ميزان الرسالة:

فهو: المظهر من الرجس، وهارون الأمة، والذي كفه ككف النبي المصطفى، في العدل، وهو رفيق الحق لا ينفك أحدهما عن الآخر، وهو باب العلم الإلهي، وفاروق الأمة[3] و... و...الخ.

---

(١) يراجع الفصل الثالث من سيرة المصطفى (ص) للمؤلف.

(٢) راجع الفصل الأول من هذه الدراسة التي بين يديك.

(٣) فاروق الأمة رواه عن رسول الله (ص) الطبراني والبيهقي وكنز العمال وسواهم، انظر

وكل هذه الأوسمة التي زين بها الإسلام صدر علي عليه السلام كانت ذات مداليل عملية في دنيا الواقع في حياة علي عليه السلام.

فهذه الصفات السامية جاءت ترجمة لواقع صار إليه الإمام عليه السلام كثمرة للاعداد الرسولي له منذ نعومة أظفاره حتى آخر يوم من أيام المصطفى صلى الله عليه وآله.

ولعلنا لا ندرك أهمية تلك الأوسمة التي زيِّن بها صدر الإمام عليه السلام ما لم نسلط أحزمة من الضوء على المقومات العامة لشخصيته سلام الله عليه في هذه الصفحات:

علاقة الإمام علي باللّه تعالى

سبق أن أشرنا في حديثنا عن شخصية رسول اللّه صلى الله عليه وآله إلى أن علاقة المسلم باللّه تبارك وتعالى، ليست محدودة في احدى زوايا حياته أبداً، وانما هي كما حدد اللّه سبحانه أبعادها لعباده من خلال شريعته التي ارتضى لهم: تجرد كامل للعزيز المتعال عز وجل بكل خلجات النفس، وبكل حركة في الحياة: في الصلاة والصيام والحج والاعتكاف، بشعائر التعبد وبالعلاقات الأسرية والاجتماعية عامة بالحكم والقضاء بالمحيا والممات وما بعد الموت[1].

وقد جسد القرآن الكريم حجم العلاقة بين العبد وربه الأعلى وطبيعتها بقوله تعالى ﴿قُل انّ صلاتي وَنُسكي وَمَحْيايَ وَمَماتي للّهِ رَبّ

المراجعات: ص١٧..

(١) الفصل الثالث من كتاب سيرة المصطفى (ص) للمؤلف.

على أن شعائر الإسلام الكبرى: كالصلاة والصوم والحج وسواها وان كانت جزءاً من الهيكل العام للعبودية للّه تعالى التي تشمل الحياة الإنسانية كلها إلّا ان هذه الشعائر تختص بسمات خاصة «توقيفية» ككيفية الاداء والوقت والعدد، فهي في هذه المجالات محددة من قبل اللّه تبارك وتعالى فلا مجال فيها لتبديل أو تحوير أو نقص أو زيادة.

ثم انها تمتاز في كونها وقفات خالصة لله سبحانه ليس فيها غايات أخرى غير رضوان الله والاستجابة لأمره، ومن أجل ذلك تفقد هذه الفرائض طابعها العبادى إذا دخل اطارها رياء أو نحوه.

وهي ميزة لا تتحقق في أمور الحياة الانسانية الأخرى وان كانت سابحة في اطار من العبودية لله تعالى.

فالزواج والنشاط الاقتصادي مثلاً ونحوهما من العقود وان كانت شريعة الله تعالى تضعها في مسار العبودية لله، والمرء من خلالها يؤدي عبادة لله عز وجل إذا هو التزم بأحكام الشريعة الإسلامية في تحديد وجهتها وابعادها ومستلزماتها إلا أنها تبقى حاملة لأغراض أخرى.

فالزواج مثلاً ان كان يحقق غاية إسلامية من ناحية تحصين الفرد المسلم عن الوقوع في المحرم، حتى أن الإسلام يعتبر عملية الزواج من قبل المسلم احرازاً لنصف الدين ـ كما في الحديث الشريف ـ كما أن الالتزام بأحكام الشريعة الخاصة في حقول التعامل بين الزوجين ونحوها يعتبر أمراً مفروضاً على المؤمنين..

أقول: إلى جانب هذه الأمور التي ترافق عملية الزواج، فان الميل

للجنس يبقى خلفية أساسية من خلفيات حمل الفرد على تعاطيه.

وهكذا تظهر خلفيات أخرى غير الخلفية العبادية في مثل هذه الأمور..

ومن هنا نرى أن أمر الزواج والنشاطات الاقتصادية في مثالنا أمور توجد في كل مجتمع في الماضي والحاضر، قبل عصر التنزيل وبعده بالنظر لارتكازها على حاجات طبيعية لدى الكائن الإنساني، ومهمة شريعة الله تعالى ترتكز على اضفاء الصبغة الشرعية عليها بعد تهذيبها وتحديد مسارها ووضع مخطط إسلامي لصوغها وفقاً لمتطلبات الفطرة البشرية.

وبناء على هذا التحديد لطبيعة علاقة المسلم بالله تبارك وتعالى فسنستعرض علاقة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بالله تعالى من خلال الفرائض والسنن الإسلامية الإلهية والنشاطات الاجتماعية اليومية.

شواهد من عبادة أميرالمؤمنين عليه السلام

كحصيلة للاعداد الرسالي الذي حظي به الإمام عليه السلام من لدن استاذه الرسول صلى الله عليه وآله ـ الأمر الذي تناولناه في مدخل هذه الرسالة ـ فقد طبعت شخصية الإمام عليه السلام بشخصية المصطفى صلى الله عليه وآله في جميع مقوماتها: عبادة وفكراً ومواقف:

يسلك سبيله، يقتفي سنته ويقفو أثره، ومن أجدر بتجسيد سنة الرسول صلى الله عليه وآله كاملة في دنيا الواقع سوى علي عليه السلام؟ الذي صنع رسول الله صلى الله عليه وآله شخصيته وشكل جميع عناصرها وطبعها بالطابع الإلهي منذ

نعومة أظفاره..

وإذ نعقد هذا الفصل للحديث عن عبادة الإمام عليه السلام ووسائل تعلقه بالله سبحانه، فسنعرض شواهد منها، لندرك السمو الشاهق الذي بلغه الإمام عليه السلام في مضمار الانشداد إلى الله واستلهام سنة الرسول صلى الله عليه وآله المطهرة في هذا المضمار:

صلاة وضراعة:

فلكثرة تعاهد أمير المؤمنين عليه السلام لأمر الصلاة والتضرع إلى الله سبحانه تعالى يشير عروة بن الزبير في حديث له عن أبي الدرداء:

قال: «شهدت علي بن ابى طالب بشويحطات[1] النجار، وقد اعتزل عن مواليه، واختفى ممن يليه، واستتر بمغيلات[2] النخل، فافتقدته، وَبعُد عني مكانه، فقلت: الحقُ بمنزله، فإذا أنا بصوت حزين ونغم شجي، وهو يقول: «إلهي كم من موبقة حلمت عن مقابلتها بنقمتك، وكم من جريرة تكرمت عن كشفها بكرمك.

إلهي ان طال في عصيانك عمري، وعظم في الصحف ذنبي، فما أنا مؤمل غير غفرانك، ولا أنا براجٍ غير رضوانك».

فشغلني الصوت، واقتفيت الأثر، فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام بعينه، فاسترت له وأخملت الحركة، فركع ركعات في جوف الليل الغامر، ثم فرغ إلى الدعاء والبكاء، والبث والشكوى، فكان مما ناجى

---

(١) الشوحط: شجر يتخذ منه القسي.

(٢) المغيلات: النخل الوارف الظلال.

به الله تعالى أن قال: «إلهي أفكر في عفوك، فتهون علي خطيئتي، ثم أذكر العظيم من أخذك، فتعظم عليَّ بليتي».

ثم قال: «آه إن أنا قرأتُ في الصحف سيئة أنا ناسيها، وأنت محصيها، فتقول: خذوه، فياله من مأخوذ لا تنجيه عشيرته، ولا تنفعه قبيلته ولا يرحمه الملأ إذا أذن فيه بالنداء».

ثم قال: «آهٍ من نار تنضج الأكباد والكلى، آهٍ من نار نزاعة للشوى، آهٍ من لهبات لظى».

قال أبو الدرداء: ثم أمعن في البكاء، فلم أسمع له حساً، ولا حركة.

فقلت: غلب عليه النوم لطول السهر، أوقظه لصلاة الفجر، فأتيته، فاذا هو كالخشبة الملقاة، فحركته، فلم يتحرك، وزويته فلم ينزوِ.

فقلت: انا لله وانا إليه راجعون مات والله علي بن أبي طالب، فأتيت منزله مبادراً أنعاه إليهم.

فقالت فاطمة عليها السلام : يا أبا الدرداء ما كان من شأنه ومن قصته؟

فأخبرتها الخبر.

فقالت: «هي والله ـ يا أبا الدرداء ـ الغشية التي تأخذه من خشية الله».

ثم أتوه بماء فنضحوه على وجهه، فأفاق، ونظر اليّ وأنا أبكي فقال: مما بكاؤك يا أبا الدرداء؟

فقلت: مما اراه تنزله بنفسك.

فقال: يا أبا الدرداء، فكيف لو رأيتني، ودعي بي إلى الحساب، وايقن أهل الجرائم بالعذاب، واحتوشتني ملائكة غلاظ وزبانية فظاظ،

فوقفت بين يدي الملك الجبار، قد أسلمني الأحباء ورفضني أهل الدنيا، لكنتَ أشد رحمة لي بين يدي من لا تخفى عليه خافية».

فقال أبو الدرداء: «فوالله ما رأيت ذلك لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله»(١).

هذا شاهد من شواهد تعلق الإمام عليه السلام بالله تعالى وشدة انشداده إليه ورهبته منه.

وكان هذا ديدن علي عليه السلام كما يتجلى من قول الزهراء عليها السلام لأبي الدرداء: «هي والله الغشية التي تأخذه من خشية الله».

وهذه مزيّته (عليه الصلاة والسلام) عند التوجه إلى الله تعالى في صلاته وضراعته، الأمر الذي الفه أهل البيت عليهم السلام في علي عليه السلام.

ومن أجل ذلك لم يفزعوا حين أنبأهم أبو الدرداء بموته ـ كما ظن هو ـ بل استفسروا عما رأى، فأعلمته الصديقة عليها السلام أن ما رآه هو المألوف من علي عليه السلام كل آن حين تأخذه الغشية لله تبارك وتعالى اثناء قيام الليل.

ولكثرة قيامه للعبادة ليلاً يحدثنا عبدالأعلى عن نوف البكالي..

قال: «بتُّ ليلة عند أميرالمؤمنين عليه السلام فكان يصلي الليل كله، ويخرج ساعة بعد ساعة، فينظر إلى السماء، ويتلو القرآن، فمرَّ بي بعد هدوء من الليل فقال: يا نوف أراقد أنت أم رامق؟

قلت: بل رامق أرمقك ببصري يا أميرالمؤمنين.

---

(١) بحار الأنوار: ج ٤٢ ص ١١ ـ ١٢، نقلاً عن أمالي الصدوق، والأنوار العلوية للشيخ جعفر النقدي ط ٢ ص ١١٥، ومناقب آل أبي طالب: ج ١ ص ٣٨٩.

قال: يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخرة، أولئك الذين اتخذوا الأرض بساطاً، وترابها فراشاً، وماءها طيباً، والقرآن دثاراً، والدعاء شعاراً، وقرضوا من الدنيا تقريضاً على منهاج عيسى بن مريم..»[1].

وهكذا كان علي عليه السلام في شدة تعلقه بالله، وعظيم تمسكه بمنهج الأنبياء عليهم السلام. أنه ترجمة صادقة لعبادة رسول اللّه محمد صلى الله عليه وآله وزهده ويقينه..

أرأيت كيف يندك وجوده على عتبة الخضوع لله والاستكانة له وطلب رضوانه؟

وحول التزامه بقيام صلاة الليل طول عمره الشريف يروي لنا أبو يعلى ـ في المسند ـ عنه عليه السلام قال: «ما تركتُ صلاة الليل منذ سمعت قول النبي صلى الله عليه وآله: صلاة الليل نور..

فقال ابن الكواء: ولا ليلة الهرير!؟

قال عليه السلام: ولا ليلة الهرير»[2].

توجه ورهبة:

ولعظيم اقباله على الله تعالى يشير القشيري في تفسيره:

أنه كان عليه السلام: إذا حضر وقت الصلاة تلوَّن وتزلزل. فقيل له: مالك؟

---

(١) نفس المصدر: ص١٦ عن الخصال للصدوق، ونهج البلاغة باب الحكم، رقم١٠٤، مع اختلاف يسير في الألفاظ.

(٢) البحار: ج٤١ ص١٧، ليلة الهرير: من ليالي صفين الحاسمة التي اشتبك الفريقان فيها طوال الليل دون هوادة.

فيقول: جاء وقت أمانة عرضها الله تعالى على السماوات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان على ضعفه، فلا أدري أُحسِن إذا حملت أم لا[1].

ولع بالصلاة:

ولكثرة صلاته ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: كان علي بن الحسين عليه السلام يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة، كما كان يفعل أمير المؤمنين عليه السلام[2].

وعن سليمان بن المغيرة عن أمه قال: سألت أم سعيد سرية علي عليه السلام عن صلاة علي عليه السلام في شهر رمضان.

فقالت: رمضان وشوال سواء، يحيي الليل كله[3].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إنّ علياً في آخر عمره يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة»[4].

عبادة الشاكرين:

ولقد عظم المعبود عز وجل في نفس الإمام عليه السلام فصارت عبادته تعبيراً عن الحب له والشوق إليه، واستشعار أهليته للعبادة دون سواه،

---

(١) نفس المصدر: ص١٧.

(٢) نفس المصدر: ص١٥.

(٣) نفس المصدر: ص١٧.

(٤) نفس المصدر: ص٢٣، اشار إلى أنه (ع) مع تقدم سنه بقي ملتزماً بمنهجه في العبادة والاكثار من الصلاة.

ومن أجل ذلك كان علي عليه السلام لا يعبد الله خوفاً من عذابه، ولا طمعاً في جنته ولا فيما أعده من نعيم للمتقين، وانما سما الإمام عليه السلام في علاقته بالله تعالى إلى أعلى الدرجات أسوة باستاذه الرسول صلى الله عليه وآله.

وقد كشف الإمام عليه السلام عن جوهر علاقته بالله تعالى وطبيعتها بقوله:

«إلهي ما عبدتك خوفاً من عقابك ولا طمعاً في ثوابك ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك»[1].

فأعظم به من يقين، وأكرم به من إيمان!!

ولقد حدد الإمام عليه السلام ألوان العبادة في كلمة له خالدة:

«إن قوماً عبدوا الله رغبة، فتلك عبادة التجار، وإن قوماً عبدوا الله رهبة، فتلك عبادة العبيد، وإن قوماً عبدوا الله شكراً، فتلك عبادة الأحرار»[2].

وكانت عبادته عليه السلام أعلى نموذج لعبادة الأحرار، حيث كانت تصدر كحصيلة للشعور بأهلية المعبود للعبادة واستحقاقه لها.

أما ايقاف العبادة على حصول الثواب فحسب، فهي عبادة من وصفهم الإمام عليه السلام بالتجار، الذين يبتغون الثمن وينتظرون التعويض.. وشتان بين هدف الشاكرين، وهدف التجار في ميزان الله تعالى وحسابه.

---

(١) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ١٤، وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ص ١٤٤.

(٢) المصدر المتقدم.

نسخة من صلاة الرسول ﷺ:

ولقد كانت صلاة علي عليه السلام ـ اسوة بسائر نشاطاته ـ كصلاة رسول الله ﷺ في كيفية الأداء والخشوع والانشداد والتعلق بالله تعالى، فعن مطرف بن عبدالله قال: «صليت أنا وعمران بن حصين خلف علي بن أبي طالب.. فلما انصرفنا أخذ عمران بيدي فقال: لقد صلى صلاة محمد، ولقد ذكرني صلاة محمد ﷺ[1].

تعاهدوا أمر الصلاة:

وإلى جانب تعاهد الإمام عليه السلام لأمر الصلاة فقد كان كثيراً ما يوصي أتباعه بتعاهد أمرها، وأدائها في أوقاتها وتعريفهم بأهميتها واثرها في شخصية المسلم: «تعاهدوا أمر الصلاة، وحافظوا عليها، واستكثروا منها، وتقربوا بها فانها ﴿كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾ ألا تسمعون إلى جواب أهل النار حين سئلوا «ما سلككم في سقر؟ قالوا: لم نكُ من المصلين».

وانها لتحت الذنوب حت[2] الورق، وتطلقها اطلاق الربق[3] وشبهها رسول الله صلى الله عليه وآله بالحمَّة[4]، تكون على باب الرجل، فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرات، فما عسى أن يبقى

---

(١) أنساب الأشراف: ج٢ ص ١٨٠، وفضائل الخمسة من الصحاح الستة: ج١ نقلاً عن البخاري ومسلم والنسائي، وغيرهم.

(٢) حت الورق عن الشجر: قشره.

(٣) الربق: حبل فيه عدة عرى كل واحدة ربقة.

(٤) الحمة: عين ماء حار يستشفى فيها من المرض.

عليه من درن[1]؟

وقد عرف حقها رجال من المؤمنين الذين لا يشغلهم عنها زينة متاع، ولا قرة عين من ولد ولا مال.

يقول الله سبحانه:

﴿رجال لا تُلهيهم تجارة ولا بَيعٌ عَن ذِكر الله واقام الصلاة وايتاءِ الزّكاة..﴾. (النور / ٣٧)

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله نَصِباً بالصلاة بعد التبشير له بالجنة لقول الله سبحانه ﴿وامر أهلك بالصلاة واصطبر عليها﴾.

«فكان يأمر بها أهله ويصبر عليها نفسه»[2].

المنهج العبادي في خطوطه الأساسية

وإلى منهجه العبادي الملتزم أشار الإمام الباقر عليه السلام بقوله:

«..وما ورد عليه أمران قط كلاهما لله رضىً إلا أخذ بأشدهما على بدنه»[3].

وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام ذاته «..وانما هي نفسي أروّضِها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر»[4].

وفي حديث ضرار بن ضمرة لمعاوية بن أبي سفيان حول شخصية

---

(١) الدرن: الوسخ.

(٢) نهج البلاغة: تبويب صبحي الصالح: ص١٩٩.

(٣) مناقب آل أبي طالب، لابن شهرآشوب المازندراني.

(٤) نهج البلاغة من كتاب إلى عثمان بن حنيف: رقم النص ٤٥ ص٤١٦.

الإمام عليه السلام تجسيد لهذه الحقيقة، فما جاء في حديثه «..كان والله صواماً بالنهار قوّاماً بالليل..».

توكل صادق ويقين راسخ:

وحيث أن التوكل على الله تعالى زاد المتقين، واليقين بالله شعار المؤمنين الصادقين يملأ قلوبهم بالثقة والاطمئنان والعزة والارتفاع على جميع عقبات الحياة.

فقد كان أميرالمؤمنين عليه السلام قائداً لأهل اليقين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ويعسوباً للمتوكلين.

وهذه سيرته تتحفنا بالعديد من الشواهد في هذا المضمار: فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: كان لعلي عليه السلام غلام اسمه قُنبرُ، وكان يحب علياً حباً شديداً، فإذا خرج علي عليه السلام خرج على أثره بالسيف فرآه ذات ليلة، فقال له: يا قُنبرُ مالك؟

قال: جئت لأمشي خلفك، فان الناس كما تراهم يا أميرالمؤمنين فخفتُ عليك.

قال: ويحك أمن أهل السماء تحرسني أم من أهل الأرض؟

قال: لا بل من أهل الأرض.

قال عليه السلام: ان أهل الأرض لا يستطيعون بي شيئاً إلا بإذن الله عز وجل فارجع. فرجع[1].

---

(١) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ١ نقلاً عن التوحيد للشيخ الصدوق.

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: «ان أميرالمؤمنين جلس إلى حائط يقضي بين الناس.

فقال بعضهم: لا تقعد تحت هذا الحائط فانه معور، فقال أميرالمؤمنين: حرس أمرؤً أجلُه. فلما قام أميرالمؤمنين عليه السلام سقط الحائط.

وكان أميرالمؤمنين عليه السلام مما يفعل هذا واشباهه، وهذا اليقين»[1].

وعن سعيد بن قيس الحمداني قال: «نظرت يوماً في الحرب إلى رجل عليه ثوبان، فحركت فرسي فاذا هو أميرالمؤمنين عليه السلام.

فقلت: يا أميرالمؤمنين في مثل هذا الموضع؟

فقال: نعم يا سعيد بن قيس، انه ليس من عبد إلاّ وله من الله عز وجل حافظ وواقية، معه ملكان يحفظانه من أن يسقط من رأس جبل أو يقع في بئر، فإذا نزل القضاء خلّيا بينه وبين كل شيء»[2].

هذا هو علي عليه السلام في قوة يقينه بالله، وشدة توكله عليه سبحانه.

مصاديق من زهد الإمام عليه السلام:

ولقد كان الزهد معلماً بارزاً من معالم شخصية الإمام عليه السلام، وسمة مميزة زينه الله تعالى بها، فعن عمار بن ياسر (رض) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي. «ان الله قد زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب منها، هي زينة الأبرار عند الله: الزهد في الدنيا، فجعلك لا ترزأ ـ تُصيب ـ من الدنيا ولا ترزأ الدنيا منك شيئاً، ووهبك حب المساكين، فجعلك ترضى بهم

---

(١) نفس المصدر: ص٦ نقلاً عن أصول الكافي.

(٢) المصدر السابق ص٦ عن اصول الكافي.

أتباعاً، ويرضون بك إماماً»[1].

وقد كان من شواهد تلك الصفة التي حباه الله تعالى بها:

أن زهد الإمام عليه السلام بكل لذات الحياة، وزينتها، وتوجه بكل وجوده نحو الآخرة، وعاش عيشة المساكين، وأهل المتربة من رعيته!

لقد زهد الإمام عليه السلام بالدنيا وزخرفها زهداً تاماً وصادقاً:

زهد في المال والسلطان، وكل ما يطمع به الطامعون.

ولقد عاش في بيت متواضع لا يختلف عما يسكنه الفقراء من الأمة، وكان يأكل الشعير تطحنه امرأته أو يطحنه بنفسه قبل خلافته وبعدها، حيث كانت تجبى الأموال إلى خزانة الدولة التي كان يضطلع بقيادتها من شرق الأرض وغربها. وغالباً ما كان يلبس أبسط أنواع الثياب، فكان ثمن قميصه ثلاثة دراهم.

وقد بقي ملتزماً بخطه في الزهد طوال حياته، فقد رفض أن يسكن القصر الذي كان معداً له في الكوفة حرصاً منه على التأسي بالمساكين[2].

وهذه بعض المصاديق كما ترويها سيرته العطرة:

فعن الإمام الصادق عليه السلام يقول: «كان أميرالمؤمنين أشبه الناس طعمة برسول الله صلى الله عليه وآله يأكل الخبز والخل والزيت ويطعم الناس الخبز واللحم»[3].

وعن الباقر عليه السلام قال: «ولقد ولي خمس سنين وما وضع آجرة على

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ٩٤ ط ١ المطبعة العلمية قم.

(٢) علي وحقوق الإنسان، جورج جرداق: ص ٧٥ ط ١٩٧٠ بيروت.

(٣) بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ٣٣٠ عن المحاسن.

آجرة ولا لبنة على لبنة، ولا أقطع قطيعاً ولا أورث بيضاً ولا حمراً»[1].

وعن عمر بن عبدالعزيز قال: «ما علمنا أن أحداً كان في هذه الأمة بعد رسول الله ﷺ أزهد من علي بن أبي طالب، ما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة»[2].

وعن الأحنف بن قيس قال: «دخلت على معاوية، فقدم الي من الحلو والحامض، ما كثر تعجبي منه، ثم قال: قدموا ذاك اللون، فقدموا لوناً ما أدري ما هو...!

فقلت: ما هذا؟

فقال: مصارين البط محشوة بالمخ ودهن الفستق قد ذرَّ عليه السكر!!

قال الاحنف: فبكيت.

فقال معاوية: ما يبكيك؟

فقلت: لله در ابن أبي طالب، لقد جاد من نفسه بما لم تسمع به أنت ولا غيرك!

قال معاوية: وكيف؟

قلت: دخلتُ عليه ليلة عند افطاره.

فقال لي: قم فتعش مع الحسن والحسين، ثم قام إلى الصلاة، فلما فرغ دعا بجراب مختوم بخاتمه، فأخرج منه شعيراً مطحوناً، ثم ختمه.

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب: ج ٥١ ص ٣٦.

(٢) تذكرة الخواص: ص ١١٧.

فقلت: يا أميرالمؤمنين لم أعهدك بخيلاً، فكيف ختمت على هذا الشعير.

فقال: لم أختمه بخلاً، ولكن خفتُ أن يبسَهُ الحسن والحسين بسمن أو أهالة!

فقلت: أحرام هو؟

قال: لا، ولكن على أئمة الحق أن يتأسوا بأضعف رعيتهم في الأكل واللباس، ولا يتميزون عليهم بشيء لا يقدرون عليه ليراهم الفقير، فيرضى عن الله تعالى بما هو فيه، ويراهم الغني فيزداد شكراً وتواضعاً»[1].

وعن سويد بن غفلة قال: دخلت على علي عليه السلام بالكوفة، وبين يديه رغيف من شعير، وقدح من لبن، والرغيف يابس، فشق عليّ ذلك.

فقلت: لجارية له يقال لها فضة: إلا ترحمين هذا الشيخ، وتنخلين له هذا الشعير؟

فقالت: .. انه عهد إلينا ألا ننخل له طعاماً قط..!

فالتفت الإمام اليَّ وقال: ما تقول لها يا ابن غفلة؟ فأخبرته.. وقلت: يا أميرالمؤمنين ارفق بنفسك.

فقال لي: ويحك يا سويد؟ ما شبع رسول الله صلى الله عليه وآله وأهله من خبز بُرٍ ثلاثاً تباعاً حتى لقيَ الله، ولا نخل له طعام قط..»[2].

---

(١) نفس المصدر: ص١١٨: يبسه: يضع عليه السمن، والاهالة الشحم أو ما أذيب منه ونحوهما من أدام.

(٢) تذكرة الخواص: ص ١٢٠.

وعن سفيان الثوري عن عمرو بن قيس قال: رؤي على علي عليه السلام إزار مرقوع، فعوتب في ذلك.

فقال: يخشع له القلب ويقتدي به المؤمن[1].

وعن الغزالي يقول: «كان علي بن أبي طالب يمتنع من بيت المال حتى يبيع سيفه، ولا يكون له إلا قميص واحد، وفي وقت الغسل لا يجد غيره»[2].

هذا هو علي في شدة زهده ورغبته عن الدنيا وزخارفها، وفي عظيم اقتدائه برسول الله صلى الله عليه وآله وفي مواساته لأهل المتربة من أمته صلى الله عليه وآله، فهل حدثك التاريخ عن زعيم كعلي عليه السلام؟ تجبى إليه الأموال من الشرق والغرب، وعاصمته الكوفة ـ تقع في أخصب أرض الله وأكثرها غنىً يومذاك، بيد أنه يعيش أبسط عيش، مواسياً لأقل الناس حظاً في العيش في هذه الحياة.. يأكل خبز الشعير دون أن يخرج نخالته.. ويكتفي بقميص واحد لا يجد غيره عند الغسل.. ويحرم على نفسه الأكل من بيت المال.. ويرقع مدرعته حتى يستحيي من راقعها[3] مجسداً بذلك أرفع شعار للزاهدين «..فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً، ولا ادخرت من غنائمها وفراً، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً، ولا حزتُ من أرضها شبراً، ولا أخذتُ منه كقوت أتانٍ دبرة، ولهي في عيني أوهى وأوهن من

---

(١) نفس المصدر والإمام علي بن أبي طالب ـ محمد رضا ص١٢.

(٢) مناقب ابن شهرآشوب: ج١ ص٣٦٦ عن الاحياء للغزالي.

(٣) للاستزادة من شواهد زهد الإمام(ع) راجع بحار الأنوار: ج ٤٠، وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي، ومناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب المازندراني: ج١ وغيرهم.

عفصة مِقرة»[1].

صدقة الإمام عليه السلام:

ولا نريد أن نذهب بعيداً في طرح الشواهد على تعاهد الإمام علي عليه السلام لأمر الصدقة، قبل أن نستقي من القرآن الكريم نماذج من صدقة الإمام عليه السلام عطرتها آيات الله تعالى بالثناء الجميل، ورسمت أبعاد الثواب الإلهي العظيم الذي لا يعلم مداه غير الله الذي أعده تبارك وتعالى لأمير المؤمنين عليه السلام:

ففي حادثة اطعام علي عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام للمسكين واليتيم والأسير على مدى ثلاثة أيام وايثارهم لهم على أنفسهم، واكتفائهم بالماء وهم في أيام صوم متتالية.. تنزلت آيات الله تعالى مسجلة أعظم مآثر علي عليه السلام في ضمير الوجود حيث ستبقى ترددها الآفاق والألسنة وصفحات المجد ما شاء الله تعالى.

﴿وَيُطعِمونَ الطّعامَ على حُبّه مسكيناً وَيتيماً وأسيراً * انّما نُطعمكم لِوجه الله لا نُريدُ منكُم جزاءً ولا شكورا * إنّا نخاف مِن رَبّنا يوماً عَبوساً قمطريراً * فوقاهُم الله شرَّ ذلك اليوم ولقاهُم نضرةً وسُروراً * وجَزاهُم بِما صَبَروا جَنّةً وحَريرا﴾. (الإنسان: ٨ ـ ١٢)

---

(١) كتابه إلى عثمان بن حنيف: رقم النص في نهج البلاغة ٤٥، باب الرسائل.التبر، فتات الذهب والفضة قبل الصياغة.

الوفر: المال.الطمر: الثوب الخلق البالي.

اتان دبرة: التي عقر ظهرها فقل أكلها.

مقرة: أي مرّة.

وليس المهم في الأمر حجم ما قدمه الإمام عليه السلام لأولئك المحتاجين، فان الكثير من الناس يبذلون أضعاف ذلك.

ولكن شتان بين من ينفق لوجه الله خالصاً دون شائبة، وبين من ينفق من أجل غرض دنيوي أو جاه أو ذكر يشاع بين الناس. كما أنه شتان بين من ينفق كل ما لديه وهو أحوج ما يكون إليه وبين من ينفق بعض ما لديه..

وهكذا يختلف التقويم عند الله تعالى بين ذا وذاك!

وفي حادثة تصدق علي عليه السلام بخاتمه على مسكين استبدت به الحاجة، فطاف على الناس فلم يجد من يسد خلته، فأشار إليه علي عليه السلام وهو يصلي في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ومنحه خاتماً في يده.

فنزل القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وآله مبيناً فضل ما أقدم عليه الإمام عليه السلام واستثمر القرآن المناسبة لارشاد الأمة إلى أن علياً عليه السلام إمامها ومرجعها الفكري والعملي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

﴿إنّما وَليّكُم الله وَرَسوله والّذينَ آمَنوا الّذين يُقيمون الصلاة ويُؤتون الزّكاة وَهُم راكُعون * وَمَن يَتَولَّ الله وَرَسُولهُ والّذين آمنوا فإن حِزبَ الله هُم الغالَبون﴾. (المائدة: ٥٥ ـ ٥٦)

وهذه الآية الكريمة من أكثر النصوص دلالة على أن العمل الصالح في منظور الله تبارك وتعالى انما هو بدوافعه لا بحجم منافعه.

فليس المهم أن تعطي كثيراً، ولكن الاساس في الأمر نية العطاء فالتقييم الرباني انما يدور مدار النية حيث تدور، فكلما اقتربتَ من الله تعالى وابتغيتَ رضوانه كان ثوابكَ أعظم وأجل..

ومن المناسب أن نطرح اضافة إلى ذلك مصاديق من سيرة الإمام عليه السلام في هذا المضمار مما روته كتب التاريخ:

فعن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: «كان أميرالمؤمنين يضرب المُرِ ـ المسحاة ـ ويستخرج الأرضين، وأنه اعتق ألف مملوك من كدّ يدِه»[1].

وعن أيوب بن عطية الحذاء قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «قسم نبي الله الفيء، فأصاب عليٌ أرضاً، فاحتفر فيها عيناً، فخرج ماء ينبع كهيئة عنق البعير، فسماها ينبع، فجاء البشير يبشر. فقال ٧: بشر الوارث هي صدقة بتة بتلاء في حجيج بيت الله، وعابري سبيل الله لا تباع، ولا توهب ولا تورث فمن باعها أو وهبها فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً»[2].

وعن أحمد بن حنبل في الفضائل: «أنه كانت غلة علي أربعين ألف دينار فجعلها صدقة»[3].

والحديث عن حرص الإمام عليه السلام على تعاهد أمر الصدقة في سبيل الله تعالى يذكرنا بالنفس السخية التي يمتاز بها أميرالمؤمنين عليه السلام.

فكثرة أدائه للصدقة وشدة بذله لها وان كان يعكس صورة صادقة عن جود الإمام عليه السلام وسخائه، إلا أن سيرته العطرة تكشف إلى جانب ذلك وجهاً آخر من شخصية الإمام عليه السلام.

---

(١) البحار: ج ٤١ ص ٧٧، عن الكافي: ج ٥.

(٢) نفس المصدر: ص ٤٠، عن الكافي: ج ٧.

(٣) المناقب: لابن شهر آشوب: ص ٣٤٦، والبحار: ج ٤١ ص ٤٣، عن كشف المحجة لابن طاووس.

فقد كان عليه السلام أسخى من الغيث على الأمة التي عايشها، لا أقصد بهذا جوده بنفسه من أجل حفظ الرسالة ومسيرة الإسلام التاريخية، ذاك الذي يتجلى عبر البطولات التي أبداها عليه السلام في حروب الإسلام كلها، فحديث كهذا.. يتطلب بمفرده سفراً كاملاً[1] وانما نقصد ما يتعلق بالسخاء بالمال.

فلقد اعترف بجود الإمام عليه السلام وسخائه أشد الناس عداوة له: معاوية بن أبي سفيان الذي ما برح ينسج الأكاذيب والافتراءات لتشويه سمعة الإمام عليه السلام غير أنه لم يستطع أن ينكر فضيلة الجود عند علي عليه السلام فقد قال له يوماً محفن ابن أبي محفن الضبي: جئتك من عند أبخل الناس فقال ابن أبي سفيان: ويحك كيف تقول: إنه أبخل الناس؟ لو ملك بيتاً من تبر ـ ذهب ـ وبيتاً من تبن لأنفد تبره قبل تبنه[2].

ويقول الشعبي يصف الإمام عليه السلام: كان أسخى الناس، كان على الخلق الذي يحبه الله: السخاء والجود، ما قال لا لسائل قط[3].

الجهاد في سبيل الله:

وحياة علي أميرالمؤمنين عليه السلام كلها جهاد في سبيل الله تعالى في مرحلة الدعوة الأهلية، وبعد قيام الدولة الإسلامية، وإذا كان قد وقى

---

(١) مررنا مروراً عابراً على مواقف الإمام وبطولاته العسكرية في القسم الأول فراجع وسنمر على شيء منها سريعاً في الصفحات القادمة!

(٢) شرح النهج: ج١ ص٢٢.

(٣) شرح النهج: ج١ ص٢٢.

الرسول ﷺ بنفسه وفداه بوجوده وتعرض لأخطر تآمر جاهلي على حياة رسول الله ﷺ عند مبيته على فراشه في ليلة الهجرة المباركة، من أجل أن يصرف عنه شر عتاة الجاهلية. فأن علياً قد تحولت حياته بعد الهجرة إلى المدينة المنورة إلى حلقات متسلسلة من ذلك النوع الجهادي العظيم، فقد كان حامل لواء الزحف الإسلامي في كل غمرات أخيه رسول الله ﷺ وطليعة المجاهدين في ساحات الجهاد، وكلما حزبت الأمور وحمي الوطيس انتدبه رسول الله ﷺ لكشف زحف العدو عن حياض المسلمين..

وكانت كل مواقفه الجهادية من النوع المصيري الذي يحمي الرسالة ويكشف عنها خطر التصفية المحقق والاجهاز الخطير على وجودها، تجلى ذلك في معركة بدر حين صفّى الكثير من رؤوس الوثنيين وملأ بها ساحة المعركة.

وفي «أحد» حين أطبق جيش الضلال على معسكر الإيمان وكانت الغلبة للعدو في الجولة النهائية، نهض الإمام عليه السلام بدور عرقلة تقدمهم حيث بادر إلى تصفية حملة الألوية من بني عبدالدار واحداً تلو الآخر.

وفي غزوة الأحزاب حين بلغت القلوب الحناجر وبلغ الضيق والهلع بالمسلمين كل مبلغ نهض الإمام عليه السلام بالأمر وأرهب العدو وأعاد للمسلمين الثقة بالنفس حين قتل أبرز قوادهم عمرو بن عبدود العامري.

حيث كان قتل العامري حداً فاصلاً بين المعسكرين إذ تلاه انهزام جيش الأحزاب مع ما امتاز به من ضخامة في العدد والعدة.

وعلي عليه السلام هو الذي اقتحم حصون خيبر ودخل عليهم عنوة، ففتح الله على يديه حصون اليهود الرهيبة.

وكم أسطر لك من بطولات علي عليه السلام وصفحات جهاده المشرقة التي تشع بالمجد والعزة والاخلاص[1].

فدونك تاريخ الإسلام في عصره الأول: في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله فأنعم النظر في صفحاته كي تحدثك بفضل علي عليه السلام على الإسلام رسالة، وأمة، وتاريخاً.

على أن الجانب العبادي في جهاد علي عليه السلام ليس في حجم البطولات وعدد المعارك التي خاض غمارها. فحسب، وانما في صدق النية وحجم الاخلاص الذي امتلأ به قلب علي عليه السلام وهو يخوض تلك الحروب ببسالة فائقة وشجاعة نادرة وصمود لا يرد.

ومن أجل ذلك كان القرآن الكريم يثني على تلك الروح التي كان يحملها أميرالمؤمنين عبر كفاحه من أجل اعلاء كلمة الله في الأرض.

فها هو القرآن الكريم يثني على علي عليه السلام يوم فدى بنفسه رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾(البقرة: ٢٠٧) ويكشف بعمق عن صدق نية الإمام عليه السلام[2].

وها هو كتاب الله العزيز يقطع بأن جهاد علي عليه السلام وبطولاته

---

(١) راجع أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين المجلد الثالث المخصص لسيرة أميرالمؤمنين (ع)، وكتاب الارشاد للشيخ المفيد، فصل علي بن أبي طالب (ع) وغيرها من مصادر.

(٢) راجع تفسير الآية في الكشاف للزمخشري والواحدي في أسباب النزول وابن الأثير في أسد الغابة.

يشري: يبيع.

وتضحياته كانت من أجل الله واعلاء كلمته في دنيا الناس، ولا يمكن أن تقرن بأي لون من ألوان العمل الآخر. فبسبب الثمن الباهظ الذي يتطلبه الجهاد، وبسبب الدافع الإيماني المخلص الذي لا تشوبه شائبة راحت آيات الله تعالى تحدد الموقع الرفيع الذي يحتله علي عليه السلام في دنيا المتقين.

﴿اجَعلتُم سِقايَةَ الحاج وعمَارَة المسجدِ الحَرَام كَمن آمن بالله واليوم الآخر وجَاهدَ في سبيل الله لا يَستون عِندَ الله والله لا يهدي القَوم الظالمين﴾. (التوبة: ١٠٩)

فعلى أثر حوار تفاخري بين طلحة بن شيبة والعباس بن عبدالمطلب، قال فيه طلحة: أنا أولى الناس بالبيت لأن المفتاح بيدي.

فقال العباس: أنا أولى، أنا صاحب السقاية والقائم عليها!

وفيما كانا يتفاخران مرَّ الإمام عليه السلام فافتخر عليهما بقوله: «لقد صليت قبل الناس وأنا صاحب الجهاد»، فنزل قول الله تعالى في ذلك كاشفاً عن المستوى العظيم الذي يتبوأه علي عليه السلام بسبب ما ينهض به من عمل متميز: نوعاً، وحجماً واخلاصاً[1]، بعداً وجوهراً.

---

(١) لمعرفة هذه الحقيقة راجع تفسير الطبري عن أنس: ج ١٠ ص٥٩، وأسباب النزول للواحدي: ص١٨٢، والقرطبي في تفسيره: ج٨ ص٩١، والرازي في تفسيره والنسفي والسيوطي وسواهم، نقلاً عن فضائل الخمسة: ج ١ ص٢٧٩.

الأخلاق الاجتماعية

* اشاعة العدل الاجتماعي بين الناس
* تواضع الإمام
* حلم الإمام
* التورع عن البغي
* شواهد من صبر الإمام

بمقدور المتتبع أن يتخذ من وصف ضرار بن ضمرة لأمير المؤمنين عليه السلام منطلقاً للدخول إلى عالمه الرحيب.

فقد دخل ضرار على معاوية ـ أيام استكان الناس وأسلموا لمعاوية القياد ـ فألح على الرجل أن يصف له علياً عليه السلام فتردد ضرار كثيراً، فلما مضى معاوية في اصراره قال ضرار:

أما إذا كان لابدّ: «فكان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته.

كان والله غزير الدمعة، كثير الفكرة، يقلب كفه ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب.

كان والله كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، ويبتدئنا إذا أتيناه، ويأتينا إذا دعوناه.

ونحن والله مع قربه منا، ودنوّهُ إلينا لا نكلمه هيبة له، ولا نبتديه لعظمته، فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم.

يعظّم أهل الدين، ويحب المساكين، ولا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله.

فأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه ليلةً، وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، وقد مثل قائماً في محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم[1]، ويبكي بكاء الحزين، وكأني اسمعه وهو يقول:

«يا دنيا غري غيري أبي تعرضت أم إليَّ تشوَّقت، هيهات، هيهات!! قد أبَنتُك ثلاثاً لا رجعة لي فيك، فعمرك قصير وعيشك حقير وخطرك كبير. آهٍ من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق»[2].

وهذا الوصف للإمام عليه السلام على وجازته يكشف بعمق عن الاطار العام لشخصية الإمام عليه السلام في شتى ملامحها: في الحقل الروحي والاجتماعي، في علاقته بربه، وعلاقته مع نفسه، وكيفية تعامله مع الناس من حوله.

وحيث قد عقدنا هذا الفصل للحديث عن الأخلاق الاجتماعية التي التزم بها عليه السلام في حياته العملية، فان حديث ضرار يضع في أيدينا رأس الخيط الذي يوصلنا إلى طبيعة العلاقات الاجتماعية التي سلكها أميرالمؤمنين في حياته «كان والله كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ويبتدئنا إذا أتيناهُ، ويأتينا إذا دعوناه، ونحن والله مع قربه منّا ودنوه إلينا لا نكلمه هيبة له، ولا نبتديه لعظمته.. يعظّم أهل الدين، ويحب المساكين، ولا يطمع

---

(١) السليم: الذي لدغته الأفعى، فيعاني من ألم لدغتها.

(٢) تذكرة الخواص: ص١٢٧ـ١٢٨، والإمام علي بن أبي طالب ـ محمد رضا: ص ١٢.
تشوفتِ: تزينت.

القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله..».

ويبدو أن هذا اللون من علاقة أميرالمؤمنين مع قومه انما كان في أيام حكمه، مما يطرح بين أيدينا تصوراً ناضجاً عن عظمة أميرالمؤمنين عليه السلام وبلوغه القمة في مدارج الكمال والفضيلة، فمع أن الإمام عليه السلام كان يحتل موقع القيادة في دنيا الناس، وبيده أزِمَّة حياتهم الفكرية والاجتماعية، نراه كواحد من عامة الناس، وكأنَّ موقعه ليس في أعلى مركز قيادي فهو يلغي الحواجز والألقاب، ويعامل الأمة كما لو كان واحداً من عامتها بقلبٍ حانٍ، ونفسٍ متواضعة، وحب صادق عميق... وهي روح لم يألفها التاريخ الإنساني منذ الآماد الموغلة في القدم حتى اليوم في قيادة غير قيادة رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيه علي عليه السلام.

وقد وفق الإمام عليه السلام توفيقاً عظيماً في قيادة الواعين لأهمية قيادته وضرورتها في دنيا المسلمين على الأقل.

فقد كانت قيادته مبنية على الحب والاجلال معاً وبقدر ما كان يبذل من دفء وده للأمة، كان أتباعه يمنحونه الكثير من الود والتعظيم..

الأمر الذي يذكرنا بسياسة رسول الله صلى الله عليه وآله ويطرحها واقعاً حياً في دنيا الناس[1]، فالتجربة واحدة في هذا المضمار وسواه، وان تغير الموقع التاريخي.. ورحم الله صعصعة ابن صوحان حيث يقول في وصفه للإمام عليه السلام «كان فينا كأحدنا لينُ جانب، وشدةُ تواضع، وسهولة قياد، وكنّا

---

(١) راجع الفصل الثالث من سيرة المصطفى (ص) للمؤلف.

نهابُه، مهابةَ الأسير المربوط للسياف الواقف على رأسه»[1]، وتتجلى عظمة الإمام عليه السلام في أخلاقه الاجتماعية من خلال المبادئ الآتية:

أولاً ـ اشاعة العدل الاجتماعي بين الناس:

جاءت الخلافة للإمام عليه السلام في ظروف بالغة الخطورة والتعقيد، فذوو النفوذ من الناس قد أَلِفوا الاستئثار واستراحوا إليه، وليس يسيراً أبداً ان يذعنوا لأية محاولة اصلاحية تضر بمصالحهم الذاتية.

ثم ان المطامع قد تنبهت لدى الكثير من الرجال، بعد أن أصبحت الخلافة ـ منذ رحيل النبي صلى الله عليه وآله ـ مغنماً لا مسؤولية لحماية الشريعة والأمة، ولقد كان الإمام عليه السلام مدركاً لحقيقة الموقف بدقائقه وخفاياه بشكل جعله يعتذر عن قبول الخلافة حين أجمعت الأمة على بيعته بعد مقتل الخليفة عثمان قائلاً: «دعوني والتمسوا غيري فانّا مستبقلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول، وان الآفاق قد أغامت والمحجة تنكرت»[2] ولكن جماهير المدينة المنورة، وجماهير الثوار من العراق ومصر أصروا على استخلافه عليهم، فنزل الإمام عند رغبتهم، ولكن وفقاً لشروطه الخاصة هو «واعلموا أني أن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغِ إلى قول القائل وعبتِ العاتب»[3].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١ ص ٢٥.

(٢) نهج البلاغة: ص١٣٦، تبويب صبحي الصالح.

المحجة: الطريق.

تنكرت: تغيرت علائمها وأصبحت مجهولة.

(٣) نفس المصدر السابق.

ولقد كانت أولى مهام الإمام عليه السلام ان يجسد العدالة الاجتماعية في دنيا الناس ويمنح المنهج الإسلامي فرصة في البناء والتغيير على شتى الأصعدة، فدشن عليه السلام خططه الاصلاحية، بالغاء السياسة المالية والاجتماعية والادراية التي كان معمولاً بها في عهد من سبقوه في الخلافة ليوفر الجو المناسب لتطبيق المخطط الإسلامي في العدالة الاجتماعية:

أ ـ دعا إلى استرجاع الأموال التي تصرف بها بنو أمية من بيت المال.

ب ـ واستغنى عن كثير من الولاة الذين أساؤوا التصرف، وخالفوا أمر الله تعالى، وتخطوا منهجه الأقوم الذي ارتضاه لعباده..

ج ـ ثم بادر إلى تبني سياسة المساواة في توزيع المال والحقوق، منهياً بذلك دور الطبقية والتميز والأثَرَة:

«المال مال الله، يقسم بينكم بالسوية لا فضل فيه لأحد على أحد»[1].

«ألا لا يقولنَّ رجال منكم غداً قد غمرتهم الدنيا فامتلكوا العقار، وفجروا الأنهار، وركبوا الخيل، واتخذوا الوصائف المرققة، إذا منعتهم ما كانوا يخوضون فيه، وأصرتهم إلى حقوقهم التي يعلمون، حرمنا ابن أبي طالب حقوقَنا!»[2].

وتبنى الإمام سياسة العدل الشامل:

ـ في معاملة افراد الأمة.

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) نفس المصدر السابق.

ـ وفي منهج الحقوق.

ـ وفي توزيع المسؤوليات.

وكان منهج الإمام عليه السلام في العدل لا يناظره إلّا منهج رسول الله صلى الله عليه وآله ان لم نقل إنه منهج الرسول صلى الله عليه وآله بالذات.

فهلم نصغِ إلى منهاجه المتبنىٰ في سياسة الأمة بالعدل من خلال حديثه عليه السلام التالي: «..والله لئن أبيت على حسك السعدان مسهداً، وأجرُّ في الأغلال مصفداً، أحب الي من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشيء من الحطام.. والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة اسلبها جلب شعيرة ما فعلت، وأن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها، ما لعلي، ونعيم يفنى ولذة لا تبقى، نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين»[1].

«الذليل عندي عزيز حتى آخذَ الحقَ له»[2].

«وأيم الله لأنصفنَّ المظلوم من ظالمه، ولأقودنَّ الظالم بخزامته حتى أورده منهل الحق وان كان كارها...»[3].

ولم تكن هذه المبادئ التي يتحدث عنها الإمام عليه السلام ذاته، أمنياتٍ وأفكاراً طرحها في دنيا المبادئ والأفكار، وانما جسدها واقعاً حياً قبل أن يطرحها فكراً..

---

(١) نهج البلاغة، تبويب د. صبحي الصلاح: رقم النص ٢٢٤.

حسك: شوك.

والسعدان: نبت شائك ترعاه الأبل.

(٢) روائع من نهج البلاغة: ص١٢٣.

(٣) نهج البلاغة: رقم النص ١٣٦.

وهي خصيصة من خصائص علي عليه السلام فالقول عنده يعقب العمل أو يجري من طبيعته.

ومن أجل ذلك ملأ الإمام عليه السلام دنيا المسلمين قسطاً وعدلاً وحقق انقلاباً في واقع المسلمين على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وفقاً لمقتضيات العدل الإلهي فأعاد بذلك أيام رسول الله صلى الله عليه وآله في صفائها واشراقها وعدلها الشامل..

فحسبك أن أميرالمؤمنين عليه السلام كان يرتدي القميص المرقوع[1] ويبالغ في رقع مدرعته كلما تمزق جانب منها حتى يبلغ الأمر بالإمام عليه السلام أن يستحي من راقعها[2].

وكان يخرج إلى السوق ليبيع سيفه كي يشتري بثمنه إزاراً[3] وهو هو في علو شأنه وعظمة مركزه الذي يحتل في دنيا المسلمين حيث تجبى إليه الأموال من أقاليم الدولة الإسلامية جميعها، وثروات الدولة تحت تصرفه..

وكان يأكل خبز الشعير بنخالته وكان غالب أدامه اللبن أو الملح والماء..

ولم يكن للإمام عليه السلام غير قميص واحد لا يجد غيره عند غسله[4].

ومع شدة زهد الإمام عليه السلام في الدنيا، فقد كان حريصاً على توفير

---

(١) تذكرة الخواص: ص ١٢٥.

(٢) تذكرة الخواص: ص ١٢٥.

(٣) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٢٠٠.

(٤) المناقب للمازندراني: ج ٢ ص ٩٧، عن احياء العلوم للغزالي.

الرفاه الاقتصادي للأمة التي اضطلع بقيادتها، فكان يقسم الذهب والفضة بين الناس، ويطعمهم اللحم والخبز[1] ويعمل كل ما في وسعه لرفع غائلة الفقر عنهم..

ـ وكان بيت المال لا يكاد ترد إليه الأموال حتى يبادر الإمام عليه السلام إلى توزيعها على الناس، لاعطاء كل ذي حق حقه.

ـ وكان منهاجه في توزيع المال التزام أقصى درجات العدالة..

فها هو يخاطب الزبير وطلحة حينما كبر عليهما منهاج المساواة في العطاء «..فوالله ما أنا وأجيري هذا إلّا بمنزلة واحد»[2].

وها هو سهل بن حنيف يخاطبه: يا أميرالمؤمنين قد أعتقتُ هذا الغلام، فأعطاه ثلاثة دنانير مثل ما أعطى سهل بن حنيف[3].

ويأتيه عاصم بن ميثم ـ وكان الإمام عليه السلام يقسم أموالاً ـ فقال:

ـ يا أميرالمؤمنين اني شيخ مثقل.

فقال الإمام عليه السلام:

والله ما هي بكدِّ يدي ولا بتراثي عن والدي، ولكنها أمانة أوعيتُها[4].

وجاءه عبدالله بن زمعة ـ وهو من شيعته ـ يطلب منه مالاً.

فقال له الإمام عليه السلام:

---

(١) من حديث للإمام الصادق (ع) البحار: ج ٤٠، ص ٣٣٠.

(٢) مناقب ابن شهرآشوب: ج ١ ص ٣٧٨.

(٣) مناقب ابن شهرآشوب: ج ١ ص ٣٧٨.

(٤) نفس المصدر: ص ٣٧٧.

ـ ان هذا المال ليس لي ولا لك، وانما هو فيء للمسلمين وجلب أسيافهم، فإن شركتهم في حربهم كان لك مثل حظهم، وإلا فجناة أيديهم لا تكون لغير أفواههم[1].

ويدخل عليه عمرو بن العاص ليلة وهو في بيت المال يتولى بعض شؤون المسلمين، فأطفأ الإمام عليه السلام السراج وجلس في ضوء القمر[2]، فالسراج ملك الأمة، فلا يصح أن يستضيء به ابن العاص، وهو في زيارة خاصة للإمام عليه السلام!

حرصٌ فريدٌ على أموال الأمة، وسهر دائم على مصلحتها وعمل دائب من أجل اسعادها وهدايتها واصلاح شأنها.

على أن تعاهد أمر الأمة من لدن علي عليه السلام ليس محصوراً في اطار المال وتوزيعه وانما يمتد لكي يشعر الإنسان بكرامته ويعيد وعيه بحقه في الحياة الحرة الكريمة، ويعلِّمه أن يتمرد على الظلم والكبت وسلب الارادة:

ـ «لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا»

ـ «أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وامامة المسلمين البخيل، فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيظلهم بجهله ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول، فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم، فيذهب بالحقوق، ويقف بها دون المقاطع،

---

(١) البحار: ج ٤١ ص ١١٥، ونهج البلاغة رقم النص ٢٣٢.

(٢) المناقب: ص ٣٧٧.

ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة»[1].

ـ «فلا تكلموني بما تكلم به الجبابرة، ولا تتحفظوا مني بما يُتحَفظ به عند أهل البادرة، ولا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنوا بي استثقالاً في حق قيل لي، فانه من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه كان العمل بهما أثقل عليه! فلا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل»[2].

وتمتد ظلال العدالة في عهد أميرالمؤمنين عليه السلام فيرعى أسواقهم من ناحية المكاييل والمعروض من السلع وطبيعة المعاملات فيها، فيخرج كل يوم يتفقد أسواق المسلمين بنفسه فيرشد الضال، ويهدي المقصر إلى طريق الحق، ويأمر بكل معروف، وينهى عن المنكر[3].

ولشدة حرص الإمام عليه السلام على تطبيق العدالة الإسلامية بأروع صورها في دنيا الناس، وعلى شتى الأصعدة أنه وجد درعه عند رجل نصراني، فوقف معه أمام القاضي ليقاضيه في الأمر.

فقال الإمام عليه السلام: انها درعي، ولم أبعْ، ولم أهبْ، فسأل القاضي الرجل النصراني: ما تقول فيما يقول أميرالمؤمنين؟

قال الرجل: ما الدرع إلا درعي وما أميرالمؤمنين عندي بكاذب.

فالتفت القاضي للإمام عليه السلام طالباً بينة تشهد أن له الدرع.

فضحك الإمام عليه السلام معلناً أنه لا يملك بينة من ذلك النوع. فقضى القاضي بأن الدرع للنصراني، فأخذها ومضى، والإمام ينظر إليه.

---

(١) نهج البلاغة، رقم النص: ١٣١.

(٢) نهج البلاغة، رقم النص: ٢١٦.

(٣) راجع البحار: ج ٤١ ص ٤، للاطلاع على منهاجه في مراقبة حالة السوق.

إلا أن الرجل عاد وهو يقول: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام أنبياء، أميرالمؤمنين يديني إلى قاضٍ يقضي عليه..

ـ الدرع ـ والله ـ درعك يا أميرالمؤمنين، وقد كنت كاذباً فيما ادعيت[1].

وحصيلة الأمر أن يعلن الرجل اسلامه ويخلص في الوقوف تحت راية الإمام عليه السلام مؤمناً مجاهداً ذائداً عن رسالة الهدى..

وبقدر ما كان الإمام عليه السلام حريصاً على تجسيد روح العدالة التي صدع بها رسول الله صلى الله عليه وآله لاخراج الإنسان من ظلام الظلم والقهر والكبت، كان حريصاً كذلك على الزام ولاته وقضاته وقادة جيوشه، وجباة الأموال بالتزام العدل في معاملة الناس، وتحري الحق في الحكم والقضاء واعطاء الحقوق، وفي جمع المال وحتى في حالات الحرب وسواها..

وصاياه للولاة:

وهذه بعض وصاياه في هذا المضمار:

«سعِ الناس بوجهك ومجلسك وحكمك، وإياك والغضب فانه طَيرَة من الشيطان، واعلم أن ما قربك من الله يباعدك من النار، وما باعدك من الله يقربك من النار»[2].

«أنصف الله، وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك، ومن لك

---

(١) علي وحقوق الإنسان، جورج جرداق: ط بيروت ١٩٧٠ ص٧٨.

(٢) وصيته لعبدالله بن عباس حين ولاه البصرة: رقم النص ٧٦. نهج البلاغة.

فيه هوىً من رعيتك، فانك ألاّ تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده»[1].

ومن توجيهاته عليه السلام لجباة الأموال:

«..انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له، ولا تروعنَّ مسلماً، ولا تجتازنَّ عليه كارهاً، ولا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله، فاذا قدمت على الحي، فأنزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم، ثم أمضِ بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم، فتسلم عليهم، ولا تخدع بالتحية لهم.

ثم تقول:

عباد الله، أرسلني إليكم ولي الله، وخليفته لآخذ منكم حق الله في أموالكم، فهل لله في أموالكم من حق، فتؤدوه إلى وليه..»[2].

«إياك أن تضرب مسلماً أو يهودياً أو نصرانياً في درهم خراج، أو تبيع دابة عمل في درهم، فانما أُمرنا أن نأخذ منهم العفو»[3].

ومن تعليماته لجيوشه:

ولقد كان عليه السلام يوصي جنوده في حالات الحرب بألا يبدأوا بقتال

---

(١) نفس المصدر، عهد الإمام (ع) لمالك الأشتر حين ولاه مصر.
طيرة: خفة وطيش.

(٢) نهج البلاغة، رقم النص: ٢٥.
لا تخدع بالتحية: لا تبخل بها عليهم.

(٣) من وصيته لصاحب الخراج على القادسية وسواد الكوفة، انظر بحار الأنوار: ج٤١، ص١٢٨، نقلاً عن الكافي.
العفو: الفاضل عن النفقة.

العدو، حتى يبدأهم بالحرب، ولا يقتلوا من ولى دبره عن قتالهم، ولا يقتلوا الجريح ومن عجز عن حماية نفسه اثناء الحرب، ولا يؤذوا النساء بشيء حتى وان بدأنَ بسب أو شتم[1].

ونحو ذلك من وصاياه عليه السلام.

أرأيت عدلاً رفيعاً كهذا العدل؟

بل هل حدثك التاريخ الإنساني عن رجل يحب الخير حتى لخصومه الذين ناصبوه العداء؟

انه علي عليه السلام صاحب القلب الكبير، الذي شمل الناس بحب غامر، فبسط لهم العدل في حياتهم، وأشعرهم بحقيقة الكرامة الإنسانية ووفر لهم غطاء من الأمن والاستقرار في جو الشعور بالمساواة والحياة الحرة الكريمة.

ثانياً ـ تواضع الإمام:

خلق التواضع في معاملة الناس، يقدر ما يكون عبادة إسلامية يندب الشرع الإلهي إليها، كذلك يعبر عن احدى صيغ التعامل الفاضل بين أبناء الأمة، فهو من وسائل توحيد الكلمة وجمع الشمل، واشاعة المودة والغاء التفاوت الطبقي.

ولقد كان الإمام علي عليه السلام مثلاً أعلى في تواضعه كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله من قبل.

---

(١) راجع نهج البلاغة: رقم النص ١٤ وغيره.

وسيرته العطرة تجسد المزيد من الشواهد على ذلك الخلق الإسلامي الرفيع:

فعن الإمام الصادق عليه السلام يقول: «كان أميرالمؤمنين يحطب ويستسقي ويكنس، وكانت فاطمة تطحن وتعجن وتخبز»[1].

وكان الإمام عليه السلام يشتري حاجته وحاجة اسرته الكريمة من السوق بنفسه، ويحملها بيده، وهو أميرالمؤمنين، وزعيم المسلمين ويحظى باحتلال أرفع مركز في حياة المسلمين، ولقد كان الناس يسرعون إليه لحمل أشيائه حين يرون ذلك منه، ولكنه يأبى عليهم ويقول: رب العيال أحق بحمله[2].

وكان عليه السلام يسير في الاسواق وحده، لا يصحبه حشم ولا خدم، ولا جند، فيرشد الضال، ويعين الضعيف، ويمر بالبقالين والتجار ويأمرهم بالتواضع وحسن المعاملة ويتلو عليهم قوله تعالى: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾[3].

ومن عظيم تواضعه عليه السلام أنه خرج يوماً على أصحابه وهو راكب، فمشوا خلفه، فالتفت إليهم فقال:

ـ ألكم حاجة؟ قالوا:

ـ لا يا أميرالمؤمنين، ولكنا نحب أن نمشي معك.

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ج ١ ص ٣٧٢.

(٢) نفس المصدر نقلاً عن فضائل ابن حنبل.

(٣) المناقب: ص ٣٧٢، وبحار الأنوار: ج ٤١ ص ٥٤.

فقال لهم:

ـ «انصرفوا فان مشيَ الماشي مع الراكب مفسدة للراكب ومذلة للماشي»[1].

وقد استقبله زعماء الأنبار وترجلوا وأسندوا بين يديه فقال عليه السلام:

ـ ما هذا الذي صنعتموه؟ قالوا:

ـ خلق منا نعظم به امراءنا.

فقال عليه السلام:

ـ «والله ما ينتفع بهذا امراؤكم، وانكم لتشقون به على أنفسكم، وتشقَونَ به في آخرتكم، وما أخسر المشقة وراءها العقاب، وما أربح الراحة معها الأمان من النار»[2].

ومن تواضعه الجم أكله خبز الشعير واللبن، ولبسه أبسط أنواع اللباس، وترقيعه لثوبه البالين وبساطته في مسكنه[3] ووقوفه بين يدي القاضي مع رجل من عامة الشعب الذي يضطلع الإمام عليه السلام بقيادته[4].

ومن أدبه الكامل تسليمه على النساء[5] من قومه، ومشيه مع المرأة لقضاء شأن من شؤونها حتى وان جلب له الأمر مشقة، فعن الإمام الباقر عليه السلام قال:

---

(١) البحار: ج ٤١ ص ٥٥، عن المحاسن والكافي عن الصادق (ع).

(٢) المناقب: ص ٣٧٢ والبحار: ج ٤١ ص ٥٥.

(٣) للتفاصيل راجع الفصل الثاني من هذه الدراسة وبعضاً من صفحات هذا الفصل: كزهد الإمام(ع) واقرار العدل.

(٤) بحار الأنوار: ج ٤١ ص٥٦، وعلي وحقوق الإنسان، جرداق: ص٨٧.

(٥) الكافي: ج ٥ باب التسليم على النساء حديث رقم ٣.

«رجع الإمام عليه السلام إلى داره في وقت القيظ، فاذا امرأة قائمة تقول:

ـ ان زوجي ظلمني، وأخافني، وتعدى عليّ..

فقال الإمام عليه السلام:

ـ يا أمة الله اصبري حتى يبرد النهار ثم أذهب معك ان شاء الله، فقالت:

ـ يشتد غضبه عليّ.

فطأطأ الإمام عليه السلام رأسه ثم رفعه وهو يقول:

ـ لا والله أو يؤخذ للمظلوم حقه غير متعتع! أين منزلك؟

ووقف الإمام عليه السلام على باب المنزل فقال:

ـ السلام عليكم، فخرج شاب.

فقال له الإمام عليه السلام:

ـ يا عبدالله اتقِ الله، فانك قد أخفتها وأخرجتها!

فقال الفتى:

ـ وما أنت وذاك؟ فقال أميرالمؤمنين:

ـ آمرك بالمعروف، وأنهاك عن المنكر تستقبلني بالمنكر وتنكر المعروف؟

فأقبل الناس يلقون التحية على الإمام عليه السلام:

ـ سلام عليكم يا أميرالمؤمنين.

فأسف الشاب على ما كان منه وهو يقول:

ـ يا أميرالمؤمنين أقلني عثرتي، فوالله لأكونن لها أرضاً تطؤُني.

فالتفت الإمام إلى المرأة قائلاً:

ـ يا أمة الله ادخلي منزلك ولا تلجئي زوجك إلى مثل هذا وشبهه»[1].

وكان الإمام عليه السلام قريباً سهلاً هيناً يلقى أبعد الناس وأقربهم بلا تصنع ولا تكلف، ولم يحط نفسه بالألقاب ولا زخرفة الملك، بل كان يتعامل مع الأمة كفرد منها، يعيش مشاكل الضعفاء، ويحب المساكين، ويتودد للفقراء، ويعظم أهل التقوى من الناس.

ولقد كان من شواهد رفقه بالأمة وتواضعه في المعاملة وسهولته، ومرونته: مقابلته لمن يلقاه بالبشر وطلاقة المحيا والابتسامة الحلوة وبشر الوجه، الغاءً منه للحواجز والرسميات بين القيادة والأمة، وانهاء لدور الزخرفة والألقاب التي يحيط بها الأمراء والقادة أنفسهم عبر تعاملهم مع الناس.

ولاشتهاره بتلك الروح الاجتماعية السمحة مع عامة الناس حاول أعداؤه أن يشوهوا تلك الصورة المشرقة للإمام عليه السلام ويحولوها إلى عيب ينبزونه فيه امعاناً منهم في تشويه واقع سياسته وجميل صفاته الشخصية والاجتماعية.

فعمرو بن العاص يحدّث أهل الشام عن علي عليه السلام فيقول: انه ذو دعابة شديدة[2] محاولاً الانتقاص من شأن الإمام عليه السلام والامعان في تغطية فضائله، والعمل على كل ما من شأنه تضليل الناس هناك لكي

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ج ١ ص ٣٧٤.

(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ج ١ ص ٢٥.

يحال بينهم وبين التطلع لواقع الإمام عليه السلام وحقيقته.

حتى ان الإمام عليه السلام حين بلغه افتراء ابن العاص قال: «عجباً لابن النابغة يزعم لأهل الشام أن فيَّ دعابة واني امرؤ تلعابة»[1].

ولقد كان معاوية بن أبي سفيان يشيع ما يشيعه ابن العاص كذلك في مناسبة وأخرى.

وما يضير أميرالمؤمنين عليه السلام إذا عابه معاوية وابن العاص، فلقد كان عليه السلام يقتفي أثر رسول الله صلى الله عليه وآله في سماحة أخلاقه وطلاقة محياه سواء.

وكان عليه السلام يعمل على الالتصاق بالناس للتعرف على ما يعانون حتى انه كان يمشي في الأسواق ويتابع الحركة التجارية من ناحية الوزن والأسعار ونوعية المعروض من السلع ـ كما المحنا إليه قبل قليل ـ

وكان الإمام عليه السلام حريصاً على متابعة تصرفات الولاة في البلدان، والقادة وجباة الأموال، ويأمرهم بالرفق والتواضع في معاملة الناس.

وما أروع روح التواضع عند علي عليه السلام كما يصفها ضرار ابن ضمرة في حديثه لمعاوية ـ الذي افتتحنا به هذا الفصل ـ «يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب،.. كان والله كأحدنا يجيبنا إذا سألناه، ويبتدئنا إذا أتيناه، ويأتينا إذا دعوناه.. يعظم أهل الدين، ويحب المساكين»[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ج ١ ص ٢٥.
تلعابة: كثير المرح واللعب.
(٢) المناقب: ج ١ ص ٣٨١.

ثالثاً ـ حلم الإمام:

ولقد كان الإمام عليه السلام قمة في حلمه وعفوه عمن يسيء الأدب معه، فهو لا يعرف الغضب إلا حين تنتهك للحق حرمته أو تتعدى حدود الله تعالى، أو يُعتدى على حقوق الأمة أو تضر مصلحتها.

وخلق الإمام عليه السلام في الحلم والصفح عن المسيء ظل هو هو لم يتغير، فعلي عليه السلام في صفحه وحلمه قبل خلافته، كعلي في صفحه وعفوه أيام قيادته المباشرة للأمة، على أن عظمة الإمام عليه السلام تزداد قوة وجلاء حين يظل يصفح ويمعن في عفوه حتى عن أشد خصومه في وقت يمتلك القدرة على العقاب والقصاص والقتل.

فهو في أيام خلافته في مركز يؤهله أن يقتص من خصومه، فهو رئيس الدولة، والمطاع الأول بين أتباعه غير أنه مع هذا وذاك ظل يحمل نفس الروح من العفو والتجاوز كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله سواء بسواء.

وهذه نماذج من عفوه عليه السلام:

ـ أسر مالك الأشتر (رض) مروان بن الحكم يوم الجمل فلما مثل مروان بين يدي الإمام عليه السلام لم يستقبله بسوء قط، وانما عاتبه على موقفه الخياني اللئيم فحسب[1] ثم أطلق سراحه.

ومروان هو، هو في حقده على الإسلام والإمام عليه السلام، وهو هو في دسائسه ومكره، ودوره الخبيث في تأجيج الفتن في وجه الإمام عليه السلام

---

(١) المناقب: ج ١ ص٣٨، ونهج البلاغة: نص ٧٣.

أشهر من أن نذكره، فهو الذي عارض البيعة للإمام عليه السلام وهرب من المدينة المنورة بعد البيعة مباشرة، وهو الذي ساهم في فتنة البصرة، والهب حماسة الناكثين وأغراهم بالتعجيل بها.. إلى غير ذلك من مواقفه الخسيسة.

ـ ولقد عفا الإمام عليه السلام كذلك عن عبدالله بن الزبير[1] بعد اسره يوم الجمل، وعبدالله بن الزبير هو الذي كان يقود الفتنة في حرب الجمل.

ـ وجيء بموسى بن طلحة بن عبيدالله، وكان طرفاً في فتنة الجمل فلما وقف بين يدي الإمام عليه السلام خلى سبيله، ولم يعنفه عن دوره في الفتنة، وانما طلب منه أن يستغفر الله ويتوب إليه ثم قال:

«اذهب حيث شئت، وما وجدت لك في عسكرنا من سلاح أو كراع فخذه، واتقِ الله فيما تستقبله من أمرك وأجلس في بيتك»[2].

ومن عظيم عفوه ما رواه الإمام الباقر عليه السلام قال: «كان علي عليه السلام إذا أخذ أسيراً في حروب الشام أخذ سلاحه ودابته واستحلفه أن لا يعين عليه»[3] ثمّ يشمله بعفوه!

أرأيت موقفاً انسانياً كهذا الموقف؟

لقد كان الإمام عليه السلام مدركاً ان الذين يقاتلونه من أهل الشام انما يقاتلونه وهم عن حقيقته غافلون، فقد أغراهم معاوية بالمال، وسدَّ

---

(١) شرح نهج البلاغة: ج ١ ص ٢٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ٥٠، نقلاً عن مصادره.
الكراع: جمع الخيل.

(٣) المناقب: ج ١ ص ٣٨١، عن ابن بطة والسجستاني.

عليهم منافذ التفكير والوعي على الحقائق بما استخدمه من وعاظ سوء وواضعي حديث ممن باعوا ضمائرهم للانحراف صوب الجاهلية.

وبناءً على هذا الوعي العلوي لحقيقة مقاتليه ممن أغراهم معاوية وغرر بهم، فقد سبق حلم الإمام عليه السلام عدله في معاملتهم فلم يعاقب من أخذ منهم أسيراً، وانما يجرده من أداة الشر، ويضعه أمام الله والضمير كي لا يعود لقتال معسكر الحق الذي يقوده الإمام عليه السلام.

ويذكرنا هذا الموقف الكريم بموقف معاوية وعمرو بن العاص اللذين كانا يصران على قتل الأشراف من جيش الإمام عليه السلام، بيد أنهما خشيا الفضيحة إذا أقدما على ذلك بعد أن خلى الإمام عليه السلام عن أسراهم ابتداءً فعدل معاوية وصاحبه عن موقفهما لا لطيب خلق منهما، وانما خشية نقمة الرأي العام الإسلامي[1] عليهم.

ولِمَ نذهبُ بعيداً وتلك معركة صفين تحمل أحداثها الكثير الكثير من مواقف الصفح العلوي... فحين سبق جيش معاوية إلى ماء الفرات أصر على منع الماء عن جيش علي عليه السلام.. فأوفد الإمام عليه السلام لمعاوية وفداً كي يغير موقفه. ولكنه مضى في اصراره وموقفه اللاأخلاقي...

فاضطر الإمام عليه السلام لتحريك قوة من جيشه لفك الحصار. وكانت النتيجة أن سيطر جيش الإمام عليه السلام على الماء.. ولكنَّ علياً حمله حمله الرفيع وكرم نفسه على بذل الماء لخصمه قائلاً لجنوده:

«خذوا من الماء حاجتكم وارجعوا إلى عسكركم. وخلوا عنهم

---

(١) الإمام علي بن أبي طالب ـ محمد رضا: ص٢٢٣.

فان الله عز وجل قد نصركم عليهم بظلمهم وبغيهم»[1].

ولقد كان مقدراً للإمام عليه السلام أن يذيقهم الهزيمة الشاملة لو أنه منعهم الماء، وحال بينهم وبينه، ولكنها الأخلاق الإلهية التي يتمسك بها ويجسدها حية في دنيا الناس تأبى عليه ذلك اللون من المواقف.. حتى يقع التمييز الحاسم بين منهج الهدى والصراط المستقيم في الفكر والعمل الذي يمثله علي عليه السلام وبين سبيل الانحراف والالتواء واللاأخلاق التي يجسدها معاوية بن أبي سفيان..

ولنا أن نعرض شواهد من حلم الإمام عليه السلام وعظيم صفحه في حياته الخاصة كذلك:

ـ «دعا الإمام عليه السلام غلاماً له مراراً فلم يجبه، فخرج فوجده على باب البيت فقال: كسلتُ عن اجابتك، وأمنتُ عقوبتك. فقال عليه السلام: الحمد لله الذي جعلني ممن يأمن خلقه، امضِ فأنت حر لوجه الله»[2].

ـ وقد خاطبه رجل من الخوارج بقوله: «قاتله الله كافراً ما أفقهه!».

فوثب أصحاب الإمام عليه السلام ليقتلوه.. فقال الإمام عليه السلام: رويداً انما هو سبٌ بسبٍ أو عفوٌ عن ذنب[3].

وهكذا شمل الرجل بعفوه، وحال بين القوم وبين معاقبته.

هذا وفي سيرة الإمام عليه السلام الكثير من مثل هذه المواقف التي تعبر

---

(١) نفس المصدر: ص ١٧٣.

(٢) المناقب: ج ١ ص ٣٧٩.

(٣) نفس المصدر: ص ٢٨٠، وبحار الأنوار: ج ٤١ ص ٤٩.

عن خلق إلهي كريم أُطّرت به شخصية علي عليه السلام.

على أننا لو أغضضنا الطرف عن كافة مواقف الحلم التي اصطبغت بها حياة علي عليه السلام بالنسبة إلى المسيئين له أو أعدائه لكان في موقف الإمام عليه السلام من قاتله ابن ملجم المرادي أعظم شاهد على تمتع الإمام عليه السلام بنمط من الأخلاق السامية لم يتمتع بها سوى الأنبياء والمقربين من البشر، فهل أبنأك التاريخ عن إنسان عامل عدوه بنفس الروح التي عامل بها علي عليه السلام قاتله، لقد شدد الإمام عليه السلام على أهل بيته أن يطعموا قاتله ويسقوه ويحسنوا إليه فعن الإمام الباقر عليه السلام وهو بصدد ذكر احدى وصايا الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام في آخر حياته يقول:

إن علي بن أبي طالب عليه السلام.. قال للحسن والحسين عليهما السلام: «احبسوا هذا الأسير ـ يعني ابن ملجم المرادي ـ وأطعموه واسقوه، وأحسنوا أساره فان عشتُ فأنا أولى بما صنعَ فيَّ، ان شئت استقدتُ وإن شئت صالحتُ، وان متُّ فذلك إليكم، فان بدا لكم ان تقتلوه فلا تمثلوا به»[1].

رابعاً ـ التورع عن البغي:

والتورع عن البغي اصل من أصول نفسية الإمام عليه السلام وخلق من أخلاقه الكريمة، وهو مظهر من مظاهر التقوى التي يمتاز بها، فهو يتحاشى البغي حتى على اشد الناس خصومة له وللحق الذي هو عليه، وحتى إذا بغى عليه يبقى مصراً على التزام خطه في النأي عما له صلة بأي لون من الوان البغي..

---

(١) بحار الأنوار: ج ٤١ ص٢٠٦ باب ١٢٧.

ومن أجل ذلك كان الإمام عليه السلام داعية السلم الأكبر، رغم كثرة الشغب والفتن التي أثارها بعض الناس في طريق مسيرته الاصلاحية:

ـ بذل كل ما في وسعه أن يجنب الأمة المسلمة سفك الدماء وتمزق الصف، حين ألح على الزبير وطلحة أن يعدلوا عن موقفهما، سواء من خلال المراسلة، أو الوفود أو اللقاءات الشخصية المباشرة مع الزبير وطلحة[1].

ـ ولقد بلغ الأمر بالإمام عليه السلام حين التقى الجيشان في البصرة أن يدعو الزبير فيخرج الإمام عليه السلام بلا سلاح، ويعانقه طويلاً! وربما بكى علي عليه السلام في ذلك الموقف، ثم عاتب الزبير على خروجه لقتاله، وذكره بعلائق المودة القديمة بينهما كما ذكره بقول رسول الله صلى الله عليه وآله فيهما: «أنشدك الله يا زبير أما تذكر، قال لك رسول الله صلى الله عليه وآله يا زبير أتحب علياً، فقلتَ وما يمنعني من حبه، وهو ابن خالي؟».

فقال صلى الله عليه وآله: أما أنك ستخرج عليه وأنت له ظالم.

فقال الزبير: اللهم بلى، قد كان ذلك[2].

وحين أفلت الزمام واصر الناكثون على اشعال نار الحرب بقي الإمام عليه السلام عند موقفه الرافض للبغي والعدوان فلنصغِ إليه وهو يخاطب جنوده: «أيها الناس أنشدكم الله أن لا تقتلوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تستحلوا سبياً ولا تأخذوا سلاحاً، ولا متاعاً»[3].

---

(١) تذكرة الخواص: ص٧٦.

(٢) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ص٦١، وفي تذكرة الخواص رواية مشابهة وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٢ ص١٧٦ مثلها.

(٣) الفصول المهمة: ص٦٢، وتذكرة الخواص أيضاً.

وحتى بعد انتهاء المعركة بقي الإمام عليه السلام عند موقفه النائي عن العدوان فأعلن العفو العام عن جميع المشتركين في حربه: القيادات والقواعد على حد سواء[1].

ـ وذاك الخلق العلوي المتميز تجلى في حوادث صفين من بدايتها إلى نهايتها: يقطع البغاة عنه طريق الوصول إلى الماء وهو في حيويته لجيش مقاتل كبير فلا يبادر لاستعمال العنف، بل يرسل الوفود، ويبذل المحاولات لتغيير الموقف بالتي هي أحسن.. لكي لا تراق للمسلمين دماء.. ولكن البغي الأموي الحاقد الذي يجسده قولهم «ولا قطرة حتى تموت ظمأ»[2] حمله على اصدار أوامره لقواته بالتحرك لكسر الحصار، وهكذا كان.. وحين امتلك الماء أباحه لجيش عدوه منذ الساعة الأولى من سيطرة قواته عليه.

ـ ومع أصحاب النهروان بذل الإمام عليه السلام كل مسعىً لأجل ابعاد الناس عن القتال، ولكن اصرار البغاة على قتال الإمام عليه السلام حال دون بلوغهم الصراط المستقيم فعاثوا في الأرض فساداً وقتلوا نفوساً بريئة، واثاروا البلبلة في البلاد مما اضطر علياً عليه السلام إلى قتالهم، ولكن بعد محاولات عديدة أيضاً لجمع الصف، ودعوات مستمرة لاقرار السلم والقاء السيف[3].

وفي وصايا الإمام عليه السلام لجيوشه وجباة المال والولاة مؤشرات

---

(١) راجع القسم الثاني من هذه الدراسة.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ١٤٥، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١ ص ٢٣.

(٣) راجع القسم الثاني من هذا الكتاب.

أخرى على التزام أميرالمؤمنين عليه السلام لمنهاج اللابغي واللاعدوان على أحد كائناً من كان مما ذكرنا منه طرفاً في الصفحات الماضية من هذا البحث.

ـ وما أعظم علياً أميرالمؤمنين عليه السلام وهو ينص في عهده لمالك الأشتر على وجوب التزام الرفق بالناس، وعدم التعامل بأي لون من ألوان البغي والتعالي على الناس، وغمط حقوقهم المفروضة في شرع الله العظيم «..وأشعر قلبك الرحمة للرعية، واللطف بهم، ولا تكونَنَّ عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فانهم صنفان: أما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق.. فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه.

أنصف الله، وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك، ومن لك هوىً فيه من رعيتك، فانك ان لا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان خصمه دون عبادة، ومن خاصمه الله دحض حجته، وكان لله حرباً حتى ينزع، ويتوب»[1].

ولم يكن منهاج علي عليه السلام هذا خاصاً بأهل مصر، وانما هو منهاجه الشامل لكل البلاد التي رفرفت راية دولته الكريمة عليها.

ـ ولقد كان الإمام عليه السلام يعهد إلى ولاته في الأمصار مثل الذي عهده إلى مالك(رض) في وجوب اشاعة العدل، والرفق بالناس، وعدم البغي عليهم بحال من الأحوال أو معاملتهم بأي لون من ألوان الظلم..

ولقد رأينا بعضاً من وصاياه للولاة فيما مضى من حديث.

---

(١) عهد الإمام (ع) إلى مالك الأشتر حين ولاه مصر ـ نهج البلاغة، رقم النص ٥٣ ص٤٢٦.

خامساً ـ شواهد من صَبر الإمام:

وقوة الارادة والروح العالية في مواجهة مصاعب الحياة ركن أساس في شخصية علي عليه السلام وقد لا نغالي إذا اعتبرناها قاعدة للكثير من مواقف الإمام عليه السلام في حياته العملية، مما ذكرناه أو مما لم نذكره، فشدة تعلقه بالله وكثرة عبادته، وتورعه عن البغي وزهده في الحياة الدنيا، وصفحه عمن يسيء إليه وغيرها مؤشرات ضخمة على تسلح الإمام عليه السلام بصبر لا يعرف الهزيمة ولا النكوص عن القصد بشكل جعل الإمام عليه السلام وكأنه الصبر صار إنساناً.

ومع أن تلك المواقف والممارسات تمنح الدليل تلو الدليل على حجم الصبر الذي يتمتع به الإمام عليه السلام فانه من المناسب أن نذكر إلى جانب ذلك مواقف وأحداثاً جرت في حياة علي عليه السلام وقد أثر الصبر، ورباطة الجأش التي امتاز الإمام عليه السلام في تجسيدها في دنيا الواقع..

ـ فحين اجتمعت قريش في دار الندوة على قتل المصطفى صلى الله عليه وآله من خلال عملية جماعية يتولاها من كل قبيلة شاب قوي ليذهب دم الرسول صلى الله عليه وآله هدراً بزعمهم دون أن تستطيع بنو هاشم ـ عشيرة النبي ـ أن تطالب بدمه..

حين أجمع رؤوس الشرك على تدبير ذلك الجرم، أنبأ الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله بأمرهم:

﴿وَاذ يَمكُر بِكَ الّذين كَفَروا لِيُثبتُوك أو يَقتُلُوك أو يخرجوكَ وَيَمكُرون وَيَمكُر الله والله خَيرُ الماكِرين﴾. (الأنفال: ٣٠)

وأمره تعالى بوجوب الهجرة إلى دار الإسلام «يثرب» فخرج صلى الله عليه وآله

مهاجراً بعد أن ترك علياً عليه السلام في فراشه ملتحفاً ببردته فقضى الإمام عليه السلام ليلته في فراش رسول الله صلى الله عليه وآله دون أن يكترث بما حوله من مكر مبيت. فلقد كان محتملاً أن ينقض أولئك الأوغاد على الإمام عليه السلام بسيوفهم دون رحمة، مدفوعين بالحقد الجاهلي الأسود البليد، دونما أقل اكتراث، ظناً منهم أنه الرسول صلى الله عليه وآله، والإمام عليه السلام كان يتوقع ذلك منهم، ولكن ارادة علي عليه السلام ورباطة جأشه المعروفة المستمدة من الثقة المطلقة بالله والايمان الكامل بقدره وقضائه تعالى وقوة صبر الإمام عليه السلام على مواجهة المصاعب والأحداث قد حملته على أن يسخر بما يبيتون، حتى إذا طلع الفجر هجم القوم على حجرة الرسول صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام فيها وهم يظنون أنه رسول الله صلى الله عليه وآله.. فواجههم الإمام عليه السلام بصلابة ارادته المعهودة:

ما شأنكم؟ قالوا: أين محمد؟ قال: أجعلتموني عليه رقيباً؟ ألستم قلتم نخرجه من بلادنا، فقد خرج عنكم!!

هكذا يخاطب الإمام عليه السلام المتآمرين بمنتهى الصبر والاباء والصرامة ساخراً بأولئك الأوباش.

انه موقف شجاع تتصاغر أمامه ارادة الأبطال من الرجال!

وبتلك الارادة بقي الإمام عليه السلام في مكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وآله يواجه مسؤولياته في تنفيذ وصايا الرسول صلى الله عليه وآله واداء كافة المهمات المناطة به.

ـ وفي يوم هجرته خرج الإمام عليه السلام جهاراً يقود قافلة المهاجرات من أهل البيت: فاطمة الزهراء، وفاطمة بنت أسد وسواهما، فجرت محاولة من المشركين للحيلولة دون هجرته، ولكن ارادة علي عليه السلام وقوة

تحمله للعقبات أفشلت المحاولة، فلم يعبأ بالفرسان الثمانية الذين أرسلوا لاعتراض سبيله، فواجههم بسيفه، وأهوى به على قائدهم بضربة قاضية، تحول الرجل بعدها إلى جثة هامدة يخور بدمه في تلك الفلاة من الأرض، ففر الباقون مخلفين قائدهم في الميدان[1]..

ـ وفي دار الهجرة واجه الإمام عليه السلام مسؤولياته العظيمة كجندي للرسالة في الرعيل الأول، فأبدى عليه السلام من قوة الارادة ومضاء العزيمة والقدرة على مواجهة المصاعب ما يعد مفخرة يعتز بها إنسان الإسلام بامتداد وجوده التأريخي، فالإمام عليه السلام عبر المعارك الهجومية والدفاعية ـ التي خاضها رسول الله صلى الله عليه وآله من أجل نشر الرسالة الإلهية أو حماية وجودها العملي في حياة الناس ـ كان قطب رحاها الخائض المقدام لغمراتها الذي لا تأخذه في الله لومة لائم من أجل اخماد طغيان الشرك والمشركين وكافة أعداء الرسالة المتربصين، فما من حرب تسعَّر، وما من معركة تدور رحاها إلا دعي علي عليه السلام لاخماد فتنتها وتنكيس رايات الجاهلية فيها: في بدر، وأحد، والأحزاب، وحنين، وخيبر..و...

وفي كثير من المواقف يسود الهلع في معسكر المسلمين، ويستبد الوهن والنكوص عن مواجهة العدو، فيعيد سيف علي عليه السلام الثقة للنفوس ويجدد في معسكر الإيمان روح القدرة على المواجهة وصد العدوان..

الأمر الذي يكشف عما يتمتع به الإمام عليه السلام من نفس كبيرة تعلو

---

(١) الإمام علي رجل الإسلام المخلّد ـ عبدالمجيد لطفي: ص٥٣، وأعيان الشيعة: ج٣ ق١ ص١٥٦ ـ ١٥٧.

على كل وهن، وتسخر بكل ضعف، وترتفع فوق كل ذلة وهوان.. انها قوة الارادة... ومضاء العزيمة وشدة الصبر على المكاره مقرونة باليقين العميق بالله تعالى، والاستمداد منه والتوكل عليه دون سواه.

وقد تولى الإمام عليه السلام الخلافة في ظروف صعبة دقيقة على مضض، وبعد محاولات عديدة من الرفض لها من قبله[1]، وما أن عقدت له البيعة حتى نكث قوم وقسط آخرون، ومرق غيرهم، كل ذلك من أجل أن يحال بين الإمام عليه السلام وبين استئناف المسيرة الإسلامية التي بدأها رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولقد تحمل أميرالمؤمنين عليه السلام ما تحمل من الآلام والمشقات في سبيل اخماد الفتن السوداء التي اثارها أصحاب المنافع الشخصية وأصحاب المصلحة الذاتية المستفيدين من سياسة الانحراف، وما وضعوه من عقبات في طريق مسيرته الاصلاحية، فقابل كل ذلك بالصبر الجميل، وبالتسليم لقضاء الله تعالى، حتى رحل إلى ربه الأعلى شهيداً مثقلاً بالمتاعب والآلام.

ـ وإذا تركنا تلك الأمور جانباً والقينا نظرة على جوانب أخرى من حياة الإمام عليه السلام لنحدد مواقع الصبر والارادة الصلبة لما صح أن تفوتنا مواقف الصبر التي وقفها أميرالمؤمنين عليه السلام حين يفارق أحبته ورفاق الدرب، وأولهم رسول الله صلى الله عليه وآله الذي فاضت نفسه الشريفة في حجر الإمام عليه السلام[2] وواراه الثرى بنفسه، وعاش مأساة فراقه بكل أبعادها،

---

(١) يراجع الفصل الثاني من هذا الكتاب.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ج٢ ص٣٠٠، ومناقب الخوارزمي عن عائشة.

وها هو يخاطب رسول الله ﷺ وهو يلي غسله وتجهيزه بكلمات حزينة تدمي القلب وتزرع الأسى: «بأبي أنت وأمي يا رسول الله! لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة والأنباء وأخبار السماء. خصصت حتى صرت مسلياً عمن سواك؟ وعممت حتى صار الناس فيك سواء. ولو لا أنك أمرتَ بالصبر، ونهيتَ عن الجزع، لأنفدنا عليك ماء الشؤون، ولكان الداء مماطلاً، والكمد محالفاً، وقلاً لك، ولكنه ما لا يملك رده، ولا يستطاع دفعه! بأبي أنت وأمي أذكرنا عند ربك، واجعلنا من بالك»[1].

وإذا أعدنا إلى الأذهان ما يحظى به رسول الله ﷺ من حب وتعظيم في نفس أميرالمؤمنين عليه السلام لأدركنا حجم الاسى الذي صبّ على الإمام عليه السلام بفقده ﷺ، فعلي عليه السلام قد حظي بتربية الرسول ﷺ ورعايته واعداده ومصاحبته منذ الصبا حتى فارق رسول الله الدنيا.

ولقد كانت تلك التربية وتلك الأخوَّة بينهما مليئة بضروب الود والحنان والوفاء والاخلاص مما ليس له نظير[2].

على أن الإمام عليه السلام التزم جانب الصبر راضياً بقضاء الله المحتوم في رسول الله ﷺ.

ـ وفي خضم الأحداث المريرة التي عاشها أميرالمؤمنين عليه السلام في هذه

---

(١) نهج البلاغة: من كلام له(ع) رقم ٢٣٥.

أنفذنا: أفنينا.

ماء الشؤون: منابع الدمع.

الداء مماطلاً: مماطلاً بالشفاء.

الكمد محالفاً: الحزن ملازماً.

قلاً لك: محالفة الحزن ومماطلة الشفاء قليلان لك.

(٢) راجع القسم الأول من هذا الكتاب.

الفترة، ألمت بالزهراء سيدة نساء العالمين العلة التي توفيت على أثرها فلحقت بالراحل العظيم أبيها حيث كان الإمام عليه السلام طوال فترة المرض الذي عانت منه فاطمة عليها السلام يعيش ما تعاني بملء كيانه، فهي وديعة رسول الله صلى الله عليه وآله ومدرسة الإمامة التي خرّجت قادة الإمة الهداة عليهم السلام وهي الصابرة المحتسبة، التي صبَّ عليها ظلم الأعداء بشكل لا نظير في تاريخ النبوات[1]، وهي بعد ذلك زوجه الوفية التي عاشت معه آماله وآلامه طوال حياتها معه.

لقد رأى الإمام عليه السلام زهراء الإسلام، بعد رسول الله صلى الله عليه وآله: وهي تعيش مرارة الأسى، ثم وهي تستسلم لفراش المرض فيشحب لونها، وتتردى أوضاعها الصحية يوماً بعد يوم، ثم يراها وهي تفارق الدنيا، فيباشر تغسيلها وتجهيزها ودفنها عليها السلام ، ثم يقف على شفير قبرها مودعاً بعبارات تذيب القلوب الحديدية: ـ

«السلام عليك يا رسول الله عني، وعن ابنتك النازلة في جوارك، والسريعة اللّحاق بك! قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبري، ورقَّ عنها تجلدي، إلا أن في التأسي لي بعظيم فرقتك، وفادح مصيبتك، موضع تعزٍ، فلقد وسَّدتُك في ملحودة قبرك، وفاضت بين نحري وصدري نفسك فإنا لله وإنا إليه راجعون، فلقد استرجعت الوديعة، وأخذت الرهينة! أما حزني فسرمد، وأما ليلي فمسهَّد إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم، وستنبئك ابنتك بتظافر أمتك على هظمها فأحِفها السؤال، واستخبرها

---

(١) اقرأ محنة الصديقة الزهراء(ع) وحجم الظلم الذي صبَّ عليها بعد رسول اللّه(ص)، وأسباب وفاتها، في كتاب: الصديقة الزهراء بين المحنة والمقاومة: للمؤلف.

الحال، هذا ولم يطل العهد، ولم يخلُ منك الذكر، والسلام عليكما سلام مودع، لا قالٍ، ولا سئم، فان انصرف، فلا عن ملالة، وان أقم فلا عن سوء ظنٍ بما وعد الله الصابرين»[1].

فرغم حجم المأساة فإنَّ الإمام عليه السلام استسلم لقضاء الله تعالى واستعان على الأسى بجميل الصبر.

وكما صبر الإمام عليه السلام لفقد رسول الله صلى الله عليه وآله والصديقة الزهراء عليها السلام، تجمل بالصبر كذلك لفقد اخوة له في الله، انقطعوا إليه في الوفاء وبذلوا أرواحهم وكل ما يملكون في سبيل رسالة الله تعالى، وقد تصدوا لهدم الباطل، وواجهوا الانحراف، فاستشهدوا في ساحات الجهاد كعمار بن ياسر ومالك بن التيّهان، وذي الشهادتين خزيمة بن ثابت الانصاري ومالك الأشتر، ومحمد بن أبي بكر وسواهم.

وها هو الإمام عليه السلام يذكرهم قبل نيله الشهادة بأيام في خطبة له جاء فيها:

---

(١) نهج البلاغة رقم النص ٢٠١.

التأسي: الاعتبار.

الفادح المثقل.

التعزي: التصبر.

ملحودة القبر: الجهة المشقوقة من القبر.

مسهد: اشتد به الأرق.

هضم: ظلم.

احفاء السؤال: الاستقصاء فيه.

القالي: المبغض.

السئم: الضجر.

«..أين اخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق؟ أين عمار، وأين ابن التيهان، واين ذو الشهادتين وأين نظراؤهم من اخوانهم الذين تعاقدوا على المنية، وأبرد برؤوسهم إلى الفجرة.

ثم أطال البكاء وقال:

أوهٍ على اخواني الذين تلوا القرآن فأحكموه، وتدبروا الفرض فأقاموه، أحيوا السنة، وأماتوا البدعة، دعوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتبعوه..»[1].

ومن شواهد صبر الإمام عليه السلام كذلك رفضه للدنيا ولذاتها وتحمله لأذى الجوع، والتقشف وزهده بالمال حتى يبلغ به الحال أحياناً أن يشد حجر المجاعة[2]، على بطنه، ولقد رأيت في حديثنا عن زهده وعدالته[3] ما يغنيك عن تعداد شواهد أخرى من قوة تحمله وارادته في مواجهة المشقات وعقبات الحياة.

وهكذا عاش الإمام عليه السلام حياة مليئة بالكدح والآلام، زاخرة بالرزايا، حافلة بالمحن، غير أنه واجهها جميعاً بقوة صبره، وعظيم ارادته التي لا تقهر.

---

(١) نهج البلاغة أواخر خطبة رقم: ١٨٢.

أبرد برؤوسهم: أرسلت رؤوسهم بالبريد إلى الطغاة للتشفي منهم.

أوه: كلمة توجع.

(٢) شرح النهج: ج ١ ص ٢٢.

(٣) في الفصل الثاني والثالث من هذا الكتاب.

في ميدان المعرفة

* صور من علم الإمام
* مصنفات الإمام
* طرف من مواعظ الإمام
* قبس من حكَم الإمام

ان محاولة للحديث عن دنيا المعرفة عند أميرالمؤمنين عليه السلام مهما أعطيت من التوفيق يستحيل عليها أن تحدد الفكر العلوي العظيم، وتحيط بأبعاد المعرفة التي طرحها الإمام عليه السلام في ساحة الفكر الإنساني، وحسبك أن كل مدرسة فكرية ظهرت في دنيا المسلمين، كل منها تدعي انتماءها فكرياً للإمام عليه السلام حتى وان كانت مخالفة للواقع والحق، وكأن ادعاءها الاستمداد من علي عليه السلام يعطيها صفة الشرعية وحق الحياة، فالأشاعرة نسبوا أنفسهم له، والمعتزلة ادعوا الانتماء إليه، وزعمت مدرسة الرأي في الفقه انتماءها إليه، وذهب المتصوفة إلى أن إمامهم أميرالمؤمنين فيما ذهبوا، وسوى هؤلاء كثير[1].

هذا فضلاً عن حملة مبادئه من الذين التزموا مذهب أهل البيت عليهم السلام: الثقل الثاني بعد القرآن الكريم الذي ألزمت الشريعة بالتمسك بهما وسلوك دربهما على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله: «اني مخلف فيكم

(١) شرح نهج البلاغة: ج ١ ص ١٧، وما بعدها، ط ١، ١٩٥٩ ط دار احياء الكتب العربية.

الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً وانهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»[1].

فادعاء جميع المدارس الفكرية والفقهية انتماءها للإمام عليه السلام وانتهالها من بحر علمه مؤشر كبير على عظمة الإمام عليه السلام وعلو شأنه في دنيا الفكر الإسلامي.

الأمر الذي لم يكن لأحد من المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله طوال التاريخ الإسلامي أبداً.

فعلي عليه السلام قد تنازعته كل الحركات الفكرية والفقهية التي ولدت في تاريخ المسلمين، بل قال بالانتساب إليه أصحاب النشاطات الفكرية والثقافية والعلمية من نحويين وأهل القراءات وعلماء التفسير وأهل الحديث والفقه وسواهم، على أن الانتساب لعلي عليه السلام في الحقل المعرفي أو ادعاء الانتساب إليه لم يأتِ عفواً أبداً، وانما هو شاهد قوي على أن علياً عليه السلام لم يترك حقلاً من حقول المعرفة الصحيحة إلا ووضع أسسه وحدد معالمه وترك الباب مفتوحاً لرواد المعرفة أن ينتهلوا منه.

ولم يكن العطاء الفكري العظيم الذي أسداه الإمام عليه السلام للإنسان إلا حصيلة طبيعية للاعداد الخاص الذي توفر للإمام عليه السلام من لدن رسول الله صلى الله عليه وآله منذ طفولة الإمام عليه السلام حتى آخر ساعة من حياة الرسول صلى الله عليه وآله اضافة إلى انفتاح روحه وقلبه على الملأ الأعلى تسديداً من

---

(١) روى هذا الحديث باختلاف يسير في اللفظ: مسلم في الصحيح، والحاكم في مستدرك الصحيحين وأحمد بن حنبل في المسند، والمتقي الهندي في كنز العمال، وغيرهم وقد أحصى مصادره السيد حامد حسين في عقبات الأنوار: المجلد الأول، والمجلد الثاني.

اللّه تعالى، له، والهاماً[1]..

الأمر الذي تسالم المؤرخون على حقيقة وقوعه.

ولقد أشار الإمام عليه السلام ذاته إلى ذلك الاعداد الذي وفره له رسول الله صلى الله عليه وآله وكشف عن أهميته وابعاده في حياة الإمام عليه السلام بقوله:

«..وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره، وأنا ولد، يضمني إلى صدره، ويكنفني في فراشه: ويمسني جسده، ويشمني عَرَفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل.. ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه، ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة، وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، واشم ريح النبوة»[2].

ولاستمرارية ذلك الاعداد الخاص لعلي عليه السلام يشير الصحابي الجليل أبو سعيد الخدري(رض) بقوله: «كانت لعلي من رسول الله صلى الله عليه وآله دخلة لم تكن لأحد من الناس»[3].

---

(١) راجع اصول الكافي ١: كتاب الحجة ص ١٦٨ ـ ص ٢٧٧، وعلم اليقين: الفيض الكاشاني ١: ص٣٦٦ ـ ٣٧٥، وغيرها من المصادر.. راجع وثيقة رقم (٨) في الملحق، وسترى في الوثيقة المذكورة ان الأئمة من أهل البيت (ع) علاوة على وراثتهم العلم من رسول اللّه (ص)، فأنهم محدّثون، مسددون من اللّه عزّ وجلّ، ولا نبي بعد محمّد بن عبداللّه (ص)، وهذا النمط من الثقافة والفهم يوجد مثله عند اخواننا من أهل السنة حيث أوردوا روايات تفترض أن بعض الخلفاء محدّثون / راجع معالم المدرستين ٢: ٣٢٨ مثلاً.

(٢) نهج البلاغة الخطبة القاصعة. رقم ١٩٢.

(٣) انساب الأشراف: ج ٢ ص ٩٨ ـ البلاذري.

وعن ابن عباس(رض) عن علي عليه السلام قال: «كان لي من النبي صلى الله عليه وآله مدخلان: مدخل بالليل ومدخل بالنهار»[1].

ولقد كان ذلك الاعداد الرسولي منصباً على جميع جوانب شخصية الإمام عليه السلام من أجل تأهيله فكرياً ونفسياً لاحتلال موقع المرجعية الفكرية والسياسية للأمة الإسلامية بعد غياب رسول الله صلى الله عليه وآله عن مسرح الحياة..

وحيث أن حديثنا هذا يهدف إلى دراسة العطاء الفكري الثر الذي طرحه الإمام عليه السلام في الساحة الإنسانية فلابدّ من أن نشير إلى ان رسول اللّه صلى الله عليه وآله حين أكمل بناء الجانب الفكري من شخصية الإمام عليه السلام وأهلّه لخلافته في هذا المضمار، أخذ صلى الله عليه وآله يبلغ الأمة بحقيقة ما وصل إليه الإمام عليه السلام من مستوى متميّز عظيم في ميدان المعرفة:

قال صلى الله عليه وآله:

ـ «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأتِه من بابه»[2].

ـ «علي باب علمي ومبين لأمتي ما أرسلت به»[3].

وعن ابن مسعود قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وآله فسئل عن علم

---

(١) خصائص الإمام علي بن أبي طالب ـ للنسائي ص٤٩.

(٢) أخرجه الترمذي في صحيحه وأحمد بن حنبل والحاكم في المستدرك والحافظ أبو محمد السمرقندي في بحر الاسانيد وابن جرير في تهذيب الآثار والاربلي في كشف الغمة وللتفاصيل يراجع: فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي للحافظ أحمد بن محمد الصديق الغماري ط ٢، ١٩٦٦.

(٣) أبو نعيم في حلية الأولياء والديلمي في فردوس الأخبار وغيرهما نقلاً عن مقام أميرالمؤمنين ط الأعلمي: ص٧.

علي عليه السلام؟

فقال:

ـ «قسمت الحكمة عشرة أجزاء، فأعطي علي تسعة أجزاء والناس جزءاً واحداً، وهو أعلم بالعشر الباقي»[1].

وهناك أحاديث شريفة بهذا الشأن لا تكاد تحصى كثرة، وهي تهدف جميعاً إلى بيان المكانة التي يحتلها الإمام عليه السلام في الجانب المعرفي، وتدعو الأمة صراحة إلى وجوب أخذ معارف التشريع الإلهي عن طريقه[2]، فمنه تستمد الهدى، وهو السراط المستقيم الموصل إلى الله تعالى بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولقد أدرك الكثير من معاصري الإمام عليه السلام ما يحظى به الإمام عليه السلام من علو شاهق في مجالات المعرفة بشتى حقولها وجوانبها، وما يتبوؤه من مقام رفيع في ركب الإسلام الخالد:

فها هو ابن عباس(رض) يقول:

ـ أعطي علي بن أبي طالب تسعة أعشار العلم، وأنه لأعلمهم بالعشر الباقي[3].

وعطاء بن أبي رباح يقول: حين سئل هل تعلم أحداً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أعلم من علي؟!

---

(١) أخرجه الخوارزمي، وابن المغازلي، الشافعي في المناقب: ج ٢ ص ٣٠.

(٢) راجع مناقب آل أبي طالب: ج ١ فصل في المسابقة بالعلم، والبحار: ج ٤١ باب ٩٣، وفضائل الخمسة من الصحاح الستة وغيرها.

(٣) بحار الأنوار: ج ٤٠، باب ٩٣ عن النقاش في تفسيره، ومناقب آل أبي طالب: ج ١ فصل المسابقة في العلم.

ـ لا والله ما أعلمه.

وعمر بن الخطاب يقول:

ـ العلم ستة أسداس، لعلي من ذلك خمسة أسداس وللناس سدس، ولقد شاركَنا في السدس حتى لهو أعلم به منّا[1].

ولَكَم كان الخلفاء الذين سبقوه تاريخياً يرجعون إليه في مسائل القضاء والحكم والادارة، حتى أن عمر ابن الخطاب كان يردد «لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن» أو يقول: «أعوذ بالله من معضلة لا علي لها»[2].

وعائشة تقول:

ـ علي أعلم الناس بالسنة[3].

وغير هؤلاء كثير..

على أن أميرالمؤمنين عليه السلام قد أفصح مراراً وفي مناسبات شتى عما يحمل من علم شامل غزير.

فتراه يخاطب أصحابه بأن صدره يحمل علماً عظيماً تلقاه من رسول الله صلى الله عليه وآله ولو وجد له حملة أمناء يتصدون لحمله وتبليغه لأودع بعض علمه لديهم:

ـ «ان في صدري هذا لعلماً جماً، علَّمنيه رسول الله صلى الله عليه وآله ولو أجد له حفظة يرعونه حق رعايته ويروونه عني كما يسمعونه مني، اذاً

---

(١) راجع فصل في عهد الخلفاء في الفصل الأول من دراستنا عن أميرالمؤمنين (ع).

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) البحار: ج ٤٠ باب ٩٣، عن كشف الغمة.

لأودعتهم بعضه..»[1].

ثم يكشف في مناسبة أخرى عن حجم ذلك العلم الذي يحمل ويبين أبعاده ومساحته:

«فعن ابن نباته قال:

لما بويع أميرالمؤمنين عليه السلام بالخلافة خرج إلى المسجد معتماً بعمامة رسول الله صلى الله عليه وآله لابساً بردته فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ، وأنذر، ثم جلس متمكناً، وشبك بين اصابعه، ووضعها أسفل سرته ثم قال:

ـ يا معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني فأن عندي علم الأولين والآخرين، أما والله لو ثنيت لي الوسادة لحكمتُ بين أهل التوراة بتوارتهم، وبين أهل الانجيل بأنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، حتى ينهي كل كتاب من هذه الكتب ويقول: يا رب ان علياً قضى بقضائك، والله اني لأعلم بالقرآن وتأويله من كل مدعٍ علمه.

ثم قال:

سلوني قبل أن تفقدوني، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتموني عن آية آية لأخبرتكم بوقت نزولها، وفيمَ نزلت، وأنبأتكم بناسخها ومنسوخها، وخاصها من عامها، ومحكمها من متشابهها، ومكيّها من مدنيّها، والله ما من فئة تضل أو تهدي إلاّ وأنا أعرف قائدها وسائقها وناعقها[2].

---

(١) المرجع السابق: باب ٩٣، نقلاً عن الخصال.

(٢) البحار: ج ٤٠ باب ٩٣، ويشبهه في الارشاد للشيخ المفيد: ص ١٩١.

«سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نـزلتْ أم بـنهار أم في سهـلٍ أم في جبلَ»[1].

ولو قدر أن علياً عليه السلام لم يتسنَّ له أن يساهم بما ساهم به من علم جم ـ الأمر الذي سنتناول خـطوطه العـريضة في هـذا الفـصل ـ في المجالات الفكرية فأن نداءاته الملحة في مناسبة وأخرى: سلوني قبل أن تفقدوني: آية جلية على قدراته الفائقة المتميزة في حقول المعرفة بشتى ضروبها وامتدادتها.

ولو قدر كذلك أن الرسول صلى الله عليه وآله لم يكشف عما لعلي عليه السلام من سابقة في العلم وعلو شاهق في المعرفة، لكان اصرار عـلي عليه السلام عـلى دعـوة الناس بتلقي العلم منه شاهداً قوياً لايرد على ما له عليه السلام من علم غزير، فأن ثقته العالية بنفسه في مضمار العلم هي التي تدفعه لتكرار ذلك النداء الفريد، الذي ما حدثنا التاريخ أن رجلاً قدم عليه قبل علي عليه السلام خوف الفضيحة والنكوص عن الاجابة!

ولقد تنبه الكثير من أصحاب العقول إلى ما يـنطوي عـليه ذلك النداء العلوي: «سلونـي»، من أهمية بالغـة، فـقد قـال سـعيـد ابـن المسيب:

ما كان أحد من الناس يقول سلوني غير علي بن أبي طالب»[2].

---

(١) أعيان الشيعة: ج٣ ق١ ص٦٣، عن الاستيعاب ومثلها في الأصابة والاتقان وحلية الأولياء وفي صحيح مسلم: ج٦.

(٢) نفس المصادر عن غرر الحكم للآمدي.

وعن ابن شبرمة يقول: «ليس لأحد من الناس أن يقول على المنبر سلوني إلّا علي بن أبي طالب»[1].

فالنداء المذكور بكثرة الحاحه وحرارته يحمل بين ثناياه ماحواه الإمام عليه السلام من علم شمولي يمد الإنسان بالغنى والخير والهدى والسداد.

(١) نفس المصدر عن نهج البلاغة.

من أبعاد المعرفة وآفاقها!

بمقدورنا بعد ايراد تلك التوطئة المتعلقة بالحقل المعرفي عند أمير المؤمنين أن نقول إنَّ تصوراً قد تكامل لدينا حول عمق المعرفة وشمولها عند الإمام عليه السلام فهو وريث رسول اللّه صلى الله عليه وآله والمبين للأمة ما بعث به، ومرجعها في كل تساؤلاتها الفكرية الملحة كل ذلك حصيلة لاعداد مسبق من لدن رسول اللّه صلى الله عليه وآله أشرنا لبعض مصاديقه فيما مضى من حديث، وتسديد إلهي خاص.

بقي أن نشير في هذا الفصل إلى ابعاد المعرفة التي أسداها الإمام عليه السلام للإنسان: المسلم منه وغير المسلم.

ففكر علي عليه السلام وان كان رسالياً هادفاً إلى خدمة الرسالة الالهية وحملتها وعاملاً على دفع عجلة مسيرة الإسلامة التاريخية إلى الإمام، فانه يبقى منهلاً عذباً لتصيب منه الإنسانية بشتى نحلها واتجاهاتها الفكرية، وهو كفيل بهدايتها إلى الحق وإلى صراط مستقيم.

وقبل ان نعرض الخطوط العامة للجانب المعرفي عند الإمام عليه السلام جدير بنا أن نشير إلى أنه عليه السلام بالرغم مما طرحه في دنيا الفكر الإنساني

من أبواب المعرفة المتعددة فاننا نظل عند قناعتنا من أن الإمام عليه السلام لم تسعفه الظروف الاجتماعية والسياسية على حد سواء أن يبوح للإنسان بكل ما عنده من معارف، وعلوم!!

فاذا أهملنا أثر الظروف السياسية ـ التي ألمت بالإمام عليه السلام ومنعته من اداء مهماته على الشكل المرجو من أجل مصلحة الرسالة والإنسان، ـ فان الظروف الاجتماعية لاتقل خطراً عن تلك الظروف، فالمجتمع الذي عايشه الإمام عليه السلام لم يكن في مستواه من ناحية الوعي قادراً على ادراك الإمام وأهميته ودوره الرسالي الخطير في حياة الناس، ولعل أبلغ شاهد على ذلك ما كان يواجهه الإمام عليه السلام من تساؤلات فجة واعتراضات تافهة حين يدعو قومه للأفادة مما يحمل من علم جم تلقاه من رسول اللّه صلى الله عليه وآله، عن اللّه عز وجل.

ونذكر بهذا الصدد بعض تلك المواقف التي تقطر سخفاً وبلادة: ـ فقد خاطب الناس مرة بقوله: سلوني قبل ان تفقدوني فواللّه لا تسألوني عن فئة تضل مائة أو تهدي مائة إلّا نبأتكم بناعقها، وسائقها، ولو شئت لأخبرت كل واحد منكم بمخرجه ومدخله وجميع شأنه:

فقام اليه سنان بن أنس النخعي قائلاً:

أخبرني بما في رأسي ولحيتي من طاقة شعر[1]!!

ـ وبينما كان الإمام عليه السلام يوماً يحدث قومه عن بعض حوادث

---

(١) شرح النهج ج ٢ ص ٢٨٦ ـ ونفس الرواية في البحار ج ٤٠ باب ٩٣ ص ١٩٢ ولكنه يروي أن الرجل كان تميم بن أسامة التميمي.

المستقبل كبر على أعشى باهله ـ عامر بن الحارث ـ ما تحدث به الإمام عليه السلام فقال له:

يا أمير المؤمنين ما أشبه هذا الحديث بحديث خرافة[1].

هذه بعض تلك المواقف التي اتخذها البعض من الناس الذين عاصروا الإمام عليه السلام فأضاعوا أثمن فرصة مرت بالأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

وبالرغم من ذلك كله فاننا ينبغي ألّا نغفل ما كان ينطوي المجتمع عليه من طلاب المعرفة من اجل الوصول إلى الهدى والخير.

وكانت تلك الفئة واعية لحقيقة الإمام عليه السلام مؤمنة بقدرته الفائقة على طرح شتى أنواع الفكر الإسلامي في العقائد والتشريع وفي مختلف أبواب المعرفة الضرورية لمسيرة الإنسانية.

وقد قابل أمير المؤمنين عليه السلام أولي الالباب بنفس الثقة التي أولَوها له، فخصهم بالكثير من ألوان الاعداد والتوجيه والتثقيف ليواصل المسيرة التي بدأها رسول الله صلى الله عليه وآله والتي يقودها خط الامامة عبر التاريخ الإسلامي ابتداء بعلي عليه السلام وانتهاء بأبي القاسم الإمام المهدي من آل محمد صلى الله عليه وآله

وقد بلغ بالإمام عليه السلام ان يكشف الكثير من أسرار المعرفه وحقائقها لأولئك المتقين الأفذاذ من الرجال، وقد تعاهد أمير المؤمنين عليه السلام أمر اعداد الحملة الحقيقيين للرسالة الالهية ممن بدأ الرسول صلى الله عليه وآله عملية

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٨٩.

اعدادهم أوغيرهم[1] من التابعين..

على أن الذي توفر للإمام عليه السلام طرحه من آراء ومبادىء وحكم ومفاهيم في ساحة الفكر الإنساني كفيل بعضه دون جميعه لأبراز عظمة الإمام عليه السلام وقدراته العلمية الفائقة المتميزه .

وها نحن أولاء، نقدم صوراً من المعرفة عند الإمام عليه السلام.

(١) للتعرف على التفاصيل راجع شرح نهج البلاغة: لآبن أبي الحديد ٢:٢٨٦ وما بعدها.

نماذج من الفكر العقائدي

للإمام عليه السلام باع طويل في طرح الصيغ المحددة للعقائد الإسلامية من خلال ما طرحه من خطب، ورسائل، ومواعظ، ومناقشات، والباحث فيما خلّفه الأمام عليه السلام من ثروة فكرية عظيمة يتجلى لهُ بعمق أن أمير المؤمنين عليه السلام قد اعطى للعقيدة الأسلامية، وركائزها الاساسية على وجه الخصوص الكثير من الاهتمام والعناية، وأغلق الباب بوجه أي شذوذ وانحراف وعدول عن مضامينها الحقيقية بأسلوب واضح وجلي لا يمكن صرفه أو تأويله لأي معنىً آخر غير ما أراده الإمام عليه السلام .

فاللّه تعالى وأسماؤه الحسنى وصفات ذاته وصفات أفعاله، والرسالة والنبوة والوحي، والملائكة والإمامة والقضاء والقدر، والبعث والنشور وفلسفة الدنيا والجنة والحساب وسواها من أسس العقيدة الإسلامية قد بلورها الإمام عليه السلام في صيغ محددة نابضة بقوة الحجة والبرهان والوضوح.

ولو قدر للأمة المسلمة بجميع فرقها أن تنهل من المنهل العذب الرقراق الذي فجره علي عليه السلام في دنيا الفكر الإسلامي، لاجتمعت

الكلمة وتوحد الصف والهدف، وما شهدت دنيا المسلمين أي لون من ألوان الشطحات والانحرافات المضلة التي جنح اليها الكثير من اتباع المدارس الفكرية عند المسلمين.

وبقدر ما تسمح به محاولتنا لدراسة الخطوط العامة لما خلفه لنا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من ثروة فكرية سنعرض نماذج من الفكر العقائدي الذي زين الإمام عليه السلام بها صفحات الفكر الإنساني بشكل عام.

وحدانية اللّه عزوجل

«الحمد اللّه الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصى نعماءه العادون، ولا يؤدي حقه المجتهدون، الذي لا يدركه بعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن، الذي ليس لصفته حد محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود، فطر الخلائق بقدرته ونشر الرياح برحمته، ووتد بالصخور مَيَدان أرضه[1].

أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الاخلاص له، وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة: فمن وصف اللّه سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه، فقد ثنّاه، ومن ثنّاه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار اليه، ومن أشار اليه فقد حدَّه، ومن حدَّه فقد عدَّه، ومن قال «فيم» فقد ضمنه، ومن قال «علام» فقد أخلى منه.

---

(١) فطر الخلائق: ابتدعها على غير مثال سابق، وتد: ثبت، الميدَان: التحرك بالتمايل.

كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم.

مع كل شيء لابمقارنة، وغير كل شيء لا بمزايلة، فاعل لا بمعنى الحركات والآلة، بصير اذ لا منظور اليه من خلقه متوحد اذ لا سكن يستأنس به، ولا يستوحش لفقده، أنشأ الخلق انشاءً، وابتدأه ابتداءً، بلا روية أجالها، ولا تجربة استفادها، ولا حركة أحدثها، ولا همامة نفس اضطرب فيها، أحال الأشياء لأوقاتها، ولأم بين مختلفاتها، وغرز غرائزها، وألزمها أشباحها، عالماً بها قبل ابتدائها، محيطاً بحدودها وانتهائها، عارفاً بقرائنها واحنائها...»[1].

«الأول لا شيء قبله، والآخر لا غاية له، ولا تقع الأوهام له على صفة، ولا تقعد القلوب منه على كيفية، ولا تناله التجزئة والتبعيض، ولا تحيط به الابصار والقلوب..»[2].

«لم يولد سبحانه فيكون في العز مشاركاً، ولم يلد فيكون موروثاً هالكاً، ولم يتقدمه وقت ولا زمان، ولم يتعاوره زيادة ولا نقصان، بل ظهر للعقول بما أرانا من علامات التدبير المتقن، والقضاء المبرم»[3].

«الحمد للّه الكائن قبل أن يكون كرسي أو عرش أو سماء أو أرض أو جان أو إنس، لا يدرك بوهم ولا يقدر بفهم ولا يشغله سائل، ولا ينقصه

---

(١) نهج البلاغة رقم الخطبة ١. لاعن حدث: لاعن ايجاد موجد، المزايلة: المفارقة والاختلاف، الروية: التفكير، أجال: ردد أو أدار، همامة: اهتمام بالامر وانشغال بال، لأم: قرن، غرز الغرائز: أودع فيها الطباع، قرائن: جمع قرونة وهي النفس، الاحناء: الجوانب، لا تعقد القلوب منه على كيفية: أي ليست له كيفية فتحكم بها.

(٢) نفس المصادر رقم ٥٨.

(٣) نهج البلاغة رقم ١٨٢. يتعاوره: تطرأ عليه الزيادة والنقصان.

نائل، ولا ينظر بعين، ولا يُجَدُ بأين، ولا يوصف بالأزواج ولا يخلق بعلاج، ولا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس»[1].

هكذا حدد أمير المؤمنين عليه السلام مفهوم وحدانية اللّه سبحانه وتعالى، وهكذا عرف علي عليه السلام اللّه رب العالمين، ووصفه كما أراد اللّه سبحانه أن يوصف به، فقد نزهه عن التشبيه والتجسيم، والمكان والتجزئة والتبعيض وكل نقص، وأخرجه بوصفه عن كل صفة من صفات مخلوقاته، كما شاء اللّه سبحانه وتعالى أن يوصف، وكما علّم أولياءه أن ينعتوه.

(١) نفس المصدر والخطبة. وهم: تفكير وتوهم، النائل: العطاء، أين: اشارة للمكان.

الرسالة والنبوة

وكما حدد الإمام أبعاد التوحيد وحقيقته، أعطى عليه السلام التحديد الموضوعي الشامل للنبوة والرسالة مبيناً فلسفتها وأهدافها، وموضحاً أن اللطف الإلهي بالعباد اقتضى ارسال الأنبياء عليهم السلام إلى الناس ليأخذوا بأيديهم إلى حيث الهدى والرشاد وسبيل الحق، بعد أن تنكروا لعهد اللّه اليهم، وخرجوا عن مقتضى الفطرة التي فطرهم اللّه عليها، قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«واصطفى سبحانه من ولده ـ من ولد آدم ـ أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم، لمّا بدّلَ أكثر خلقه عهد اللّه اليهم، فجهلوا حقه، واتخذوا الانداد معه، واجتالتهم الشياطين عن معرفته، واقتطعتهم عن عبادته، فبعث فيهم رسله، وواتر اليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسي نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا له دفائن العقول، ويروهم الآيات المقدرة: من سقف فوقهم مرفوع، ومهادٍ تحتهم موضوع، ومعايش تحييهم، وآجال تفنيهم، وأوصاب تهرمهم، وأحداث تتابع عليهم، ولم يخلِ اللّه سبحانه خلقه من نبي مرسل، أو كتاب منزل، أو حجة لازمة[1] أو محجة قائمة. رسل لا تقصر بهم قلة عددهم، ولا

---

(١) الميثاق: العهد، الانداد: الامثال وهم المعبودون من دون اللّه، اجتالتهم: ابعدتهم عن هدفهم،

كثرة المكذبين لهم: من سابق سمي له من بعده، أو غابر عرفه من قبله: على ذلك نسلت القرون، ومضت الدهور، وسلفت الآباء وخلفت الابناء.

إلى أن بعث اللّه سبحانه محمداً رسول اللّه ﷺ لإنجاز عدته، واتمام نبوته، مأخوذاً على النبيين، ميثاقه، مشهورة سماته، كريماً ميلاده، وأهل الارض يومئذ ملل متفرقة، وأهواء منتشرة، وطرائق متشتتة، بين مشبّه للّه بخلقه، أو ملحدٍ في آسمه، أو مشير إلى غيره، فهداهم به من الضلالة، وانقذهم بمكانهِ من الجهالة..»[1].

«بعث اللّه رسله بماخصهم به من وحيه، وجعلهم حجة له على خلقه، لئلا تجب الحجة لهم بترك الاعذار اليهم، فدعاهم بلسان الصدق إلى سبيل الحق..»[2].

«فبعث اللّه محمداً ﷺ بالحق ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته، ومن طاعة الشيطان إلى طاعته، وبقرآن قد بينه وأحكمه، ليعلم العباد ربهم اذ جهلوه، وليقروا به بعد اذ جحدوه وليثبتوه بعد اذ انكروه، فتجلىٰ لهم سبحانه في كتابه من غير أن يكونوا رأوه بما أراهم من قدرته، وخوفهم من سطوته وكيف محق من محق بالمثلاث، واحتصد من احتصد بالنقمات..»[3].

واتر: جعل بين كل نبي وآخر فترة، ليستأدوهم: ليطلبوا الاداء منهم، وصب: تعب.

(١) نهج البلاغة رقم النص ١ «باب الخطب». نسلت القرون: تتابعت... المحجة: الطريق الواضحة المستقيمة، انجاز عدته: وعده اللّه تعالى بارسال محمد (ص)، السمات: العلامات التي بشربها النبيون السابقون لرسول اللّه محمد (ص).

(٢) نفس المصدر رقم ١٤٤.

(٣) نفس المصدر رقم ١٤٧، تجلى: ظهر بآيات لابرؤيته المباشرة، المثلات: العقوبات.

خط الإمامة في دنيا الإسلام

ويجلي الإمام عليه السلام حقيقة خط الإمامة وضرورته في دنيا المسلمين ويحدد مرامي الأئمة عليهم السلام ويرشد الأمة المسلمة اليهم باعتبارهم الامتداد الحقيقي للرسالة، والحملة الحقيقيين لدين اللّه تعالى وهديه للعالمين بعد رسوله صلى الله عليه وآله، بهم يقام الحق وتحمى الشريعة ويصان الدين، وتحفظ كلمة اللّه تعالى.. وتبلغ الأمة الهدى والخير، وبسواهم يكون الضلال والانحراف والضياع، يقول عليه السلام:

ـ «..لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله من هذه الأمة أحد ولا يسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً: هم أساس الدين، وعماد اليقين، اليهم يفيء الغالي، وبهم يلحق التالي، ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة، الآن اذ رجع الحق إلى أهله، ونقل إلى منتقله»[1].

«ان الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاة في غيرهم»[2].

وبعد هذا التحديد الدقيق للأمامة وللأئمة، يحذّر عليه السلام من مغبة

---

(١) خطبة رقم ٢ من نهج البلاغة. الغالي: المغالي الذي يتجاوز الحد في الافراط.

(٢) نفس المصدر رقم ١٤٤.

نكران الأئمة والتنكر لهم «.. وانما الأئمة قوام اللّه على خلقه وعرفاؤه على عباده، ولا يدخل الجنة إلّا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلّا من أنكرهم وأنكروه..»[1].

ويحذر من مغبة نكرانهم في مسيرة الحياة الإسلامية حيث يوضح بكل جلاء أن الحق لا يُنال بسواهم وأن الهدى لا وجود له الابمتابعتهم «فأين تذهبون، وأنى تؤفكون، والأعلام قائمة، والآيات واضحة، والمنار منصوبة، فأين يتاه بكم، وكيف تعمهون، وبينكم عترة نبيكم، وهم أزمّة الحق، وأعلام الدين، وألسنة الصدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن وردوهم ورود الهيم العطاش..»[2].

ثمَّ يشير الإمام عليه السلام إلى أن خط الإمامة مصاحب لمسيرة الأمة، مواكب لأجيالها، وأرض اللّه تعالى، لا تخلو من حجة من آل محمد صلى الله عليه وآله، يحمل الهدى للناس، ويدلهم عليه:

«ألا أن مثل آل محمد صلى الله عليه وآله كمثل نجوم السماء: اذا خوى نجم طلع نجم، فكأنكم قد تكاملت من اللّه فيكم الصنائع وأراكم ماكنتم تأملون»[3].

ونكتفي بهذه النماذج من الفكر العقائدي القويم الذي بثَّه الإمام عليه السلام في ساحة الفكر الإسلامي، ومن شاء الاستزادة فدونه نهج البلاغة فانه ينبوع لا ينضب يمد المتتبع بشتى ضروب المعرفة في مضمار العقيدة وسواها.

---

(١) نفس المصدر رقم ١٥٢.

(٢) نهج البلاغة رقم النص ٨٧. توفكون: تصرفون عن الحق، الاعلام: الدلائل على الحق، المنار: جمع منارة، يتاه بكم: الحيرة والضلال، تعمهون: تتحيرون، العترة: النسل. ردوهم ورود الهيم العطاش: هلموا إلى بحار علومهم مسرعين كاسراع الابل العطشى إلى الماء.

(٣) نفس المصدر رقم ١٠٠. خوى نجم: غاب.

صور من الفكر السياسي ـ الاجتماعي

بالرغم من قصر المدة التي قضاها أمير المؤمنين عليه السلام في قيادة الأمة اجتماعياً وسياسياً فان الفكر السياسي الذي عرضه الإمام عليه السلام كفيل بتغطية حاجات الإنسان عبر امتداده التاريخي على هذه الارض، فقد جاءت خطب الإمام عليه السلام ورسائله وأوامره وارشاداته زاخرة بهذا اللون من الفكر، مجسداً أروع أطروحة وأنضجها لادارة شؤون الحياة الإنسانية.

ففي الحقل الاقتصادي طرح الإمام عليه السلام نظاماً متكاملاً لعلاج المشكلة الاقتصادية، وظاهرة الانحراف عن خط العدالة الإسلامية في التوزيع، وحدد برامج واضحة لتجاوز الأخطاء المتراكمة في مسألة توزيع المال بين الناس من خلال منهاج التسوية في العطاء.

ولم يلتمس الإمام عليه السلام المواقف الوعظية في علاج المشكلة الاقتصادية، وإقرار العدالة في المجتمع فحسب وانما سلك إلى جانب مخاطبة الضمائر والاستفادة من رصيد الايمان باللّه فيها، سلك سبيل استخدام الضوابط القانونية في تحقيق التوازن والعيش الرغيد، وانهاء

دور الظلم في المجتمع.

ومن أجل ذلك استرد الاموال التي تدفقت على جيوب فئة من الناس من غير حق، وسلك سبيل مراقبة طرق جباية الاموال، وكيفية توزيعها على قطاعات الأمة، كما شدد على مراقبة ولاته في الأمصار، واستحدث نظام المراقبة والتفتيش ليحيط علماً بتصرفاتهم وممارساتهم ومن هنا تجد الكثير من النصوص التي يوجه فيها الإمام عليه السلام والياً أو جابياً للمال باتجاه الطريقة المثلى في عمله المناط به، كما نجد نصوصاً يوبخ فيها الإمام عليه السلام ذلك الوالي أو يستدعيه للحساب أو يعزله عن منصبه لخيانة الأمانة التي أنيطت به[1].

وكما وضح الإمام عليه السلام مناهجه القويمة المجسدة لشرع الله تعالى في المال، والاقتصاد كذلك فعل في المجتمع، فبالرغم من كثرة النصوص التي حفظها لنا نهج البلاغة وكتب السيرة الأخرى التي يحدد عليه السلام فيها مسؤولية الولاة والعمال على البلدان، وما ينبغي أن يلتزموا به في حياتهم العملية، يطرح الإمام عليه السلام المواصفات الواجب توفرها في شخصية الحاكم المسلم سواء أكان حاكماً عاماً للأمة أو حاكماً محلياً، ونكتفي هنا بذكر بعض من هديه بهذا الصدد:

«..وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم، والأحكام، وامامة المسلمين: البخيل فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيظلهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون

---

(١) راجع الفصل الثاني من هذا الكتاب.

المقاطع، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة»[1].

«من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالاجلال من معلم الناس ومؤدبهم»[2].

«لا يقيم أمر الله سبحانه إلا من لا يصانع ولا يضارع، ولا يتبع المطامع».

وإذا شئنا الرجوع إلى أوسع نص لتحديد مواصفات الحاكم المسلم، ففي عهد الإمام عليه السلام وتوصياته إلى مالك الأشتر حين ولاه مصر غنىً عن طرح أي دليل آخر، حيث اشتمل العهد المذكور على كل مستلزمات القيادة الصالحة، وما ينبغي أن تنهض به من مسؤوليات في حياة الأمة على الصعيد الاجتماعي، والسياسي والاقتصادي، وسوى ذلك من شؤون.

كما حدد العهد بعمق واعٍ كل ما يتطلبه المجتمع وما ينبغي للحاكم المسلم النهوض به عبر مسؤولياته القيادية كي يستجيب لطموحات الأمة التي يدير دفة حياتها[3].

---

(١) نهج البلاغة رقم ١٢٩.

النهمة: المبالغة في الحرص وشدة الشهوة.

الحائف: الظالم.

المقاطع: حدود الله.

الدول: المال.

والمراد بالحائف بالدول: الظالم في توزيع المال حيث يفضل قوما على قوم في العطاء.

(٢) نفس المصدر: رقم ٧٢، في باب المختار من كلامه (ع).

(٣) يراجع عهد الإمام (ع) إلى مالك الأشتر واليه على مصر في نهج البلاغة: رقم ٥٣ في باب

ومن المناسب أن نشير هنا إلى أن عهد الإمام عليه السلام إلى الأشتر قد انطوى على أفكار اجتماعية غاية في الأهمية، فقد تناول الإمام عليه السلام تركيبة المجتمع، والقوى المؤثرة، والقطاعات الضرورية فيه تناول خبير ملم بها، فقد درس الإمام عليه السلام أهمية القطاع الزراعي وأثر التجار والقضاة والولاة والجنود في مسيرة المجتمع وبناء الحضارة، وحدد كيفية التعامل مع تلك القوى الهامة في المجتمع، وحدد مسؤوليات السلطة العليا تجاه كل واحدة من تلك القوى الفاعلة في الحياة العامة، كما ذكر القطاعات الضعيفة من أهل اليتم والشيخوخة وسواهم مما يعتبر وجودهم طبيعياً في المجتمعات، فدرس حالهم وحدد العلاج لما يعانون[1].

هذا وقد سبق الإمام عليه السلام علم الاجتماع في دراسته للمجتمع وتحديد المؤثرات فيه بزمن طويل، مما يستحق أن يحمل بجدارة لقب مؤسس علم الاجتماع والواضع للبناته الأولى، مع اختلاف في الرؤية والمنهج ـ طبعاً ـ

الكتب.

(١) يراجع عهد الإمام (ع) إلى مالك الأشتر واليه على مصر في نهج البلاغة رقم ٥٣ في باب الكتب، وثيقة رقم (٧) في الملحق.

مصنفات الإمام عليه السلام وأعماله العلمية

وأمير المؤمنين عليه السلام أول من صنف في دنيا المسلمين، حيث يحصي المؤرخون لسيرة الإمام عليه السلام عدداً من مؤلفات الإمام وأعماله العلمية، وتأتي في طليعتها:

١ـ جمع القرآن الكريم مرتباً حسب النزول

وبيّن في ذات الوقت عامه، ومطلقه، ومقيده ومحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه، وعزائمه ورخصه، سننه، وآدابه[١] كما أشار الإمام عليه السلام إلى أسباب النزول لآيات الكتاب العزيز، حتى لقد قال ابن سيرين: لو أصبت ذلك الكتاب لكان فيه العلم[٢].

وكان جمع الإمام عليه السلام للقرآن الكريم على النمط المذكور انما هو للتفسير أقرب منه للجمع الخالص، فقد أودع في عمله ذلك علماً كثيراً، الأمة بامتدادها التاريخي في مسيس الحاجة إلى مثله، وهذا العمل المبارك الذي باشره الأمام علي عليه السلام، كان إكمالاً لمهمة رسول الله صلى الله عليه وآله،

---

(١) المراجعات السيد عبد الحسين شرف الدين مراجعة (١١٠) ص ٣٢٤.

(٢) نفس المصدر السابق.

حيث كان يتلقى القرآن الكريم من عند اللّه تعالى، ثم يتلوه على أصحابه، ويبين مداليله، ثم يأمر بتدوينه مشروحاً، وهكذا كان مصحف النبي صلى الله عليه وآله، الذي أمر بتدوينه، مفسراً من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله ذاته، كذلك كانت مصاحف بعض الصحابة الذين اهتموا بتدوين القرآن الكريم في عهد النبي صلى الله عليه وآله كابن عباس، وابن مسعود، وابي بن كعب، وغيرهم، وهكذا كان المصحف الذي حظي باهتمام أمير المؤمنين عليه السلام، وجمعه، يحمل وحياً بلفظه ومعناه وهو النص القرآني، ووحياً بمعناه، وهو شرح القرآن الكريم ومعانيه[1].

على أن أمير المؤمنين عليه السلام قد تفرغ لهذا العمل الرسالي الكبير، بعد حادثة السقيفة وما تمخض عنها من استخلاف أبي بكر، فعكف عليه السلام على انجاز هذه المهمة التاريخية في تدوين القرآن في مصحف واحد، ولقد روى عنه بهذا الصدد قوله:

ـ «لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله أقسمت أن لا اضع ردائي على ظهري حتى أجمع ما بين اللوحين، فما وضعت ردائي حتى جمعت القرآن»[2].

وبمقدور المرء أن يقدر قيمة ذلك العمل إذا وضع نصب عينيه ما يحظى به القرآن الكريم من قيمة عظيمة في دنيا المسلمين من الوجهة الفكرية والتشريعية والحضارية.

هذا ومن الجدير بالذكر ان أمير المؤمنين عليه السلام، قد عرض هذا المصحف على حكومة الخلافة بعد عملية جمعه، وفق منهج رسول

---

(١) القرآن فى روايات المدرستين، العلامة السيد مرتضى العسكري، المجلد الثالث.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ج ١ «في المسابقة بالعلم: ج ٢ ص ٤١».

اللهﷺ وتوجيهاته، الاّ ان الخلافة لم تتبنَّ المصحف المذكور، ووفرت للمسلمين مصحفاً مجرداً عن شرح النبيﷺ، وتفسيره، وقد اتمت هذه المهمة في عهد الخليفة عثمان بن عفان، الذي تبنى - رسمياً - عملية احراق سائر المصاحف التي كانت لدى الصحابة، وهي تحمل تفسيراً سمعوه، ووعوه عن رسول اللهﷺ، وهكذا جُمع المسلمون على مصحف رسمي واحد، وزع على الأمصار، وهو الذي يقرأه المسلمون اليوم[1]

٢ـ الصحيفة:

وهي كتاب في الديات «وهي الأموال المفروضة في الجناية على النفس أو الطرف أو الجرح أو نحو ذلك وتثبت الدية في موارد الخطأ المحض أو التشبيه بالعمد أو فيما لا يكون القصاص فيه أو لا يمكن»[2].

٣ـ الجامعة:

وهي كتاب في صحائف من الجلود، أملاه رسول اللهﷺ على أميرالمؤمنين عليه السلام وقد تضمن كل ما يحتاج إليه الناس من حلال وحرام، وقد جاء الكتاب مفصلاً لما جاء في كتاب الله من أحكام وأوامر ونواه.

وقد ورث الأئمة من أهل البيت عليهم السلام هذا الكتاب كابراً عن كابر، وكانوا يطلقون عليه تارة اسم الجامعة، وتارة الصحيفة، وأخرى كتاب علي، ورابعة الصحيفة العتيقة.

---

(١) راجع هذه المسألة بوضوح فى كتاب القرآن فى روايات المدرستين. للعلامة السيد مرتضى العسكري.

(٢) مباني تكملة المنهاج: ج ٢، كتاب الديات، السيد أبو القاسم الخوئي(رض).

ووردت عن الصادقين عليهما السلام عدة روايات تؤكد أهمية كتاب الجامعة، وكونه أحد مراجعهم في أخذ التشريع الإلهي، وأنهم لا يحتاجون إلى الناس لوجود ذلك الكتاب، فعن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: «ان عندنا ما لا نحتاج معه إلى الناس، وان الناس ليحتاجون إلينا، وأن عندنا كتاباً أملاه رسول الله صلى الله عليه وآله وخطه علي عليه السلام صحيفة فيها كل حلال وحرام»[1].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام أيضاً يصف فيه الجامعة «تلك صحيفة طولها سبعون ذراعاً في عرض الأديم مثل فخذ الفالج، فيها كل ما يحتاج الناس إليه، وليس من قضية إلا وهي فيها حتى أرش الخدش»[2].

٤ـ صحيفة الفرائض:

ويبدو أن هذه الصحيفة قد دون فيها الإمام عليه السلام قضاءه في المواريث أو غيرها من أبواب القضاء، ومن المرجح أن تكون هذه الصحيفة بعضاً من الجامعة[3].

٥ـ كتاب الجفر:

«وهو لغة جلد الماعز أو البعير أو الثور»:

وقد أطلق اسم الجفر على أحد أبواب العلم الذي دونه الإمام

---

(١) أصول الكافي: ج ١ باب ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة(عليها السلام).

(٢) الأديم: الجلد.

الفالج: الجمل العظيم ذو السنامين.

والارش: دية الجراحات.

(٣) عقيدة الشيعة في الإمام الصادق: السيد حسن يوسف مكي العاملي: ص ٦٥.

أميرالمؤمنين عليه السلام من املاء رسول الله صلى الله عليه وآله على جلد، ويبدو أن كتاب الجفر غير الجامعة من ناحية الفكر الذي يتضمنه، فالجفر كما تفيد روايات الأئمة من أهل البيت عليهم السلام ينطوي على حوادث المستقبل، وصحف الأنبياء السابقين والكتب المنزلة قبل القرآن الكريم[1].

٦ـ مصحف فاطمة:

يقول السيد شرف الدين (رض) في المراجعات مايلي: «بعد فراغ أمير المؤمنين عليه السلام من جمع القرآن الكريم، ألف لسيدة نساء العالمين كتاباً كان يعرف عند أبنائها الطاهرين، بمصحف فاطمة، يتضمن أمثالاً، وحكماً، ومواعظ وعبراً، وأخباراً، ونوادر، توجب لها العزاء عن سيد الأنبياء أبيها صلى اللّه عليه وآله وسلم»[2].

وتشير الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام بشأن مصحف الصديقة الزهراء عليها السلام المذكور إلى حقيقة ذلك الكتاب بما يلي[3]: عن حماد بن عثمان قال: سمعت أبا عبداللّه عليه السلام يقول: تظهر الزنادقة في سنة ثمان وعشرين، ومائة، وذلك أني نظرت في مصحف فاطمة عليها السلام، قال: قلت: وما مصحف فاطمة؟ قال: إنّ اللّه تعالى لمّا قبض نبيّه صلى الله عليه وآله، دخل على فاطمة عليها السلام، من وفاته من الحزن، ما لا يعلمه إلّا اللّه عز وجل، فأرسل اللّه اليها ملكاً يسلّي غمّها، ويحدّثها، فشكت ذلك إلى أمير

---

(١) يراجع اصول الكافي: ج١ باب ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة(عليها السلام) وعقيدة الشيعة في الإمام الصادق: ص٦٦.

(٢) المراجعات: المراجعة رقم ١١٠ ص ٤١١ ط بيروت ١٩٨٢م.

(٣) أصول الكافي: ١: ٢٤٠، ج٢.

المؤمنين عليه السلام، فقال: «اذا أحسست بذلك، وسمعتِ الصوت قولي لي، فأعلمته بذلك، فجعل أمير المؤمنين عليه السلام يكتب، كلَّ ما سمع، حتى أثبت من ذلك مصحفاً، قال: ثم قال: أما إنّه ليس فيه شيء من الحلال، والحرام، ولكن فيه علم ما يكون».

هذا وتفيد روايات أخر عن أهل البيت عليهم السلام: ان مصحف فاطمة عليها السلام كان يشتمل على الأحداث التي تمر بها الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وما تراه الأجيال من منعطفات في مسيرتها عبر التاريخ، كما أفاده مطلع هذا الحديث الذي تلوناه، وهو يذكر الزنادقة وخروجهم اعتماداً على ما رأى في مصحف فاطمة عليها السلام، وأكثر الروايات التي تتعرض لذكر هذه الصحيفة تشير لهذا المضمون..

وهكذا فإن مصحف فاطمة عليها السلام، ليس فيه من آياتِ القرآن شيئاً، وانما هو صحائف حملت جانباً من علوم أهل البيت عليهم السلام وأسرارهم، وتوارثه أبناؤها الصادقون بعد أبيهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام..

على أن تاريخ الرسالات السماوية قد شهد هذا النمط من الأحداث، فالملائكة كانت تحدث مريم بنت عمران عليها السلام، كما يشهد القرآن الكريم بذلك: ﴿**اذ قالت الملائكة يامريم ان اللّه اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين**﴾. (آل عمران / ٤٢)

وللإمام علي عليه السلام تصانيف أخرى ذكرها المؤرخون ككتاب زكاة النعم، وكتاب في أبواب الفقه، وكتاب في علوم القرآن وغيرها[1].

---

(١) أعيان الشيعة: ج ٣ ق ٢ باب: «مؤلفات أمير المؤمنين (ع)».

المصنفات في تراث الإمام عليه السلام الفكري:

وبالرغم من أن الإمام عليه السلام قد دون عدداً من المؤلفات العظيمة فأنه يبدو أن مؤلفاته قد انصبت على ما قضت به الضرورة من حفظ الرسالة الإلهية وتوضيح معالمها للأجيال من خلال شرح القرآن الكريم، وتبيان مقاصده، أو تحديد بعض أبواب الفقه الإسلامي، أمّا آراؤه وأفكاره الأخرى التي تحتل مركز الريادة في الفكر الإسلامي، والتي جاءت انعكاساً لرسالة اللّه على صفحة ذهنه وعقله، فكانت خطباً ومناقشات وحكماً ومواعظ وتوجيهات ونحوها من أدوات التعبير عن ماهية الرسالة، واهدافها، وخططها، فان الإمام عليه السلام لم يتصدَّ لجمعها في تصانيف محددة، ومن المؤكد أن يكون جزءً كبيراً منها قد اندرس بيد أن بعضاً من تراثه العظيم قد حظي بالتدوين بعد زمن طويل من وفاة الإمام عليه السلام ومن المرجح أن يمثل ذلك البعض نسبة جد قليلة من عطائه الفكري العظيم عبر عمره الشريف.

فقد جمع العلماء بعض ما خلفه الإمام عليه السلام من مبادئ ومفاهيم ومعارف في مؤلفات عديدة نذكر منها:

١ ـ نهج البلاغة، جمعه الشريف أبو الحسن الرضي ابن الحسين الموسوي، المتوفى سنة ٤٠٤هـ ويشتمل الكتاب على ما اختاره الشريف من خطب الإمام عليه السلام وكتبه ورسائله وحكمه ومواعظه، وقد اهتم بالكتاب المذكور جل العلماء والمفكرين ورجال الأدب قراءة واستيعاباً وشرحاً، حتى بلغت شروحه خمسين شرحاً أو يزيد ومن أشهر الشراح للنهج: أبو الحسن البيهقي، والإمام فخر الدين الرازي، والقطب الراوندي، ومحمد ميثم البحراني، وعزالدين بن أبي الحديد المدائني، وغيرهم.

ولقد انطوى (نهج البلاغة) على روائع في الفكر بشتى شعبه ومناحيه:

في العقائد والأخلاق ونظام الحكم وطبيعة المجتمع وعلاقة الإنسان بالله تعالى ونحو ذلك من أبواب.

وهو إلى جانب ذلك جاء آية في الأدب الإنساني الرفيع الذي عز نظيره في أدب اللغة العربية دقة وعمقاً وتصويراً وجزالة، وبلاغة.

٢ ـ مسنده الذي جمعه ابو عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي المتوفى سنة ٣٠٣ هـ وأسماه (مسند علي)، وقد ضمنه بعض ما أثر عن الإمام عليه السلام من أحاديث وروايات عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

٣ ـ غرر الحكم ودرر الكلم، جمعه عبدالواحد بن محمد الآمدي، وهو يشتمل على طائفة من حكم الإمام عليه السلام القصيرة ويقارب في حجمه نهج البلاغة.

٤ ـ مطلوب كل طالب من كلام علي بن أبي طالب: جمعه ابو

اسحاق الوطواط الأنصاري ويحتوي على طائفة من حكم الإمام عليه السلام.

٥ ـ مائة كلمة جمعها الجاحظ.

٦ ـ نثر اللآلىء جمع أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي صاحب مجمع البيان في تفسير القرآن.

٧ ـ ما اشتمل عليه كتاب صفين لنصر بن مزاحم من خطب الإمام عليه السلام وكتبه، وتوجيهاته.

٨ ـ جنة الأسماء: شرحه الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ

٩ ـ ما أثر عنه من الأدعية والمناجاة قد طبع بعضه باسم الصحيفة العلوية. جمعها الشيخ عبدالله بن صالح السماهيجي (رض).

١٠ ـ قلائد الحكم وفرائد الكلم جمع القاضي أبي يوسف الاسفراييني، وغير ذلك من التصانيف[1].

---

(١) راجع أعيان الشيعة: ق ٢ ج ٣ ص ٢٧٤ ط ٣ ـ بيروت، للسيد محسن الأمين.

أنباء المستقبل

والمقصود بها هنا ما تحدث به الإمام عليه السلام عن أمور مستقبلية وشيكة الوقوع بعد عصره، منها ما يختص بأفراد معينين، ومنها ما يتعلق بمسيرة الأمة المسلمة كمجموع.

وبطبيعة الحال ان ما طرحه الإمام عليه السلام من هذا القبيل كان قد تلقاه من رسول الله صلى الله عليه وآله مباشرة، أو وعاه بنفسه بما منحه اللّه تعالى من خصائص روحية هائلة تمنحه القدرة على استقراء المستقبل والاستشراف على حوادثه وقواه المؤثرة، والجوانب الايجابية فيه والسلبية، كاحدى أدوات من يتبوأ منصب وصي الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله بتعيين من الله عز وجل.

ولقد رأينا في بداية هذا الفصل كيف ان الإمام عليه السلام يعلن على المنبر مراراً عن قدرته على كشف الكثير من أحداث المستقبل: «..لا تسألوني عن شئ فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تهدي مائة وتضل مائة إلا نبأتكم بناعقها وقائدها، وسائقها ومناخ ركابها ومحط رحالها، ومن يقتل

من أهلها قتلاً ويموت موتاً..»[1].

وإذا تتبعنا الفكر المستقبلي الذي حفظته لنا سيرة أميرالمؤمنين عليه السلام وجدناه ـ بالرغم من قلته بالقياس إلى غيره من أبواب فكر الإمام عليه السلام وعطائه الثقافي المرتبط بالله تعالى ـ آية على عظمة الإمام عليه السلام وسمو كيانه الروحي الذي أهَّله لمعرفة الكثير من أسرار المستقبل بما فيها من متغيرات في دنيا الأفراد والجماعات.

وهذه جملة مما حفظ لنا المؤرخون في هذا المضمار:

١ ـ عن سويد بن غفلة أن علياً عليه السلام خطب ذات يوم، فقام رجل من تحت منبره، فقال:

ـ يا أميرالمؤمنين، اني مررت بوادي القرى، فوجدت خالد بن عرفطة قد مات، فاستغفر الله له، فقال عليه السلام:

ـ والله ما مات، ولا يموت حتى يقود جيش ضلالة صاحب لوائه حبيب بن حمار.

فقام رجل آخر من تحت المنبر فقال:

ـ يا أميرالمؤمنين أنا حبيب بن حمار وأني لك شيعة ومحب، فقال: أنت حبيب بن حمار؟ قال: نعم فقال له ثانية: والله انك لحبيب بن حمار؟ فقال: أي والله!

فقال عليه السلام: أما والله انك لحاملها ولتحملنها، ولتدخلنَّ بها من هذا الباب، «واشار إلى باب الفيل بمسجد الكوفة»، قال ثابت الشمالي ـ الذي

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٢٨٦، والبحار: ج ٤٠ ص ١٣٠ عن النهج.

روى الحديث عن سويد بن غفلة.

ـ فوالله ما متُّ حتى رأيت ابن زياد، وقد بعث عمر بن سعد إلى (حرب) الحسين بن علي عليه السلام وجعل خالد بن عرفطة على مقدمته، وحبيب بن حمار صاحب رايته فدخل بها من باب الفيل[1].

٢ ـ عن اسماعيل بن رجاء قال:

قام أعشى باهلة ـ وهو غلام يومئذ حدث ـ إلى علي عليه السلام وهو يخطب ويذكر الملاحم، فقال:

يا أميرالمؤمنين، ما أشبه هذا الحديث بحديث خرافة!

فقال علي عليه السلام: ان كنتَ آثماً فيما قلت يا غلام، فرماك الله بغلام ثقيف، ثم سكت، فقام رجال، فقالوا:

ـ ومن غلام ثقيف يا أميرالمؤمنين؟ قال:

ـ غلام يملك بلدتكم هذه لا يترك لله حرمة إلا انتهكها، يضرب عنق هذا الغلام بسيفه، فقالوا:

ـ كم يملك يا أميرالمؤمنين؟ قال:

ـ عشرين ان بلغها، قالوا:

ـ فيقتل قتلاً أم يموت موتاً؟ قال:

ـ بل يموت حتف أنفه بداء البطن، يثقب سريره لكثرة ما يخرج من جوفه.

قال اسماعيل بن رجاء ـ راوي الحديث ـ فوالله لقد رأيت بعيني

---

(١) شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة: ج ٢ ص ٢٨٧.

أعشى باهلة، أحضر في جملة الأسرى الذين أسروا من جيش عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث بين يدي الحجاج (بن يوسف الثقفي) فقرعه، ووبخه واستنشده شعره الذي يحرض فيه عبدالرحمن على الحرب، ثم ضرب عنقه في ذلك المجلس[1].

٣ ـ عن شمير بن سدير الأزدي قال:

قال علي عليه السلام لعمرو بن الحمق الخزاعي.

«يا عمرو انك لمقتول بعدي وأن رأسك لمنقول وهو أول رأس ينقل في الإسلام، والويل لقاتلك!

أما انك لا تنزل بقوم إلا أسلموك برمتك.

قال الأزدي ـ راوي الحديث ـ فوالله ما مضت الأيام حتى تنقل عمرو بن الحمق الخزاعي في خلافة معاوية في بعض أحياء العرب خائفاً مذعوراً، حتى نزل في قومه من بني خزاعة، فأسلموه، فقتل، وحمل رأسه من العراق إلى معاوية بالشام، وهو أول رأس حمل في الإسلام من بلد إلى بلد[2].

٤ ـ اخبار الإمام عليه السلام عن الضربة التي يضرب في رأسه فتخضب منها لحيته بسيف ابن ملجم المرادي.

٥ ـ اخباره بامتلاك معاوية لأمر المسلمين بعده.

٦ ـ اخباره عن قتل الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء.

---

(١) نفس المصدر: ص٢٨٩.

أعشى باهلة: عامر بن الحارث.

(٢) نفس المصدر: ص٢٩٠.

٧ ـ اخباره عن الحجاج بن يوسف الثقفي وما يكون من فعله.

٨ ـ اخباره عن حركة عبدالله بن الزبير وفشله وقتله.

٩ ـ وعن هلاك البصرة بالغرق مرة وبسيطرة الزنج عليها أخرى.

١٠ ـ واخباره عن مقتل محمد بن عبدالله بن الحسن صاحب النفس الزكية وأخيه ابراهيم بعد ثورتهم على العباسيين في عهد أبي جعفر المنصور.

١١ ـ وعن قيام الدولة العلوية في المغرب، ودولة بني بويه في العراق.

١٢ ـ اخباره عبدالله بن العباس عن انتقال الحكم إلى أولاده وقيام الحكم العباسي.

١٣ ـ وعن خروج الإمام المهدي عجل الله فرجه وقيام دولة الإسلام العالمية المباركة[١].

ومن نافلة القول أن نشير إلى أن نهج البلاغة ينطوي على الكثير من النصوص التي تناول الإمام عليه السلام فيها الحديث عن أمور مستقبلية، وقعت بعد عصره، وأخرى نعيش طرفاً منها[٢].

هذا ومن الجدير ذكره ان التراث الإسلامي، والمكتبة الإسلامية،

---

(١) دراسات في نهج البلاغة ـ محمد مهدي شمس الدين: ط ٢ ١٩٧٢ ص١٨٦، وما بعدها، وللاستزادة يراجع فصل المغيبات من نفس الكتاب، وج٢ ص٢٨٦ وما بعدها من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ط ١ ١٩٥٩. والارشاد للشيخ المفيد.

(٢) مثل خطب الملاحم رقم ١٠١، ١٢٨، ١٣٨، ١٥٠، ١٥٨، ١٨٧، والخطب التي تتحدث عن آخر الزمان مثل ١٠٨، ١٠٣، ١٦٦.

الملاحم: الوقائع العظيمة.

تضم أسفاراً هامة تحمل اخباراً وروايات، تتحدث عن المغيبات، وأنباء المستقبل، أخبر رسول اللّه ﷺ والأئمة الهداة عليهم السلام الخواص من أصحابهم عن وقوعها، من أمثال كتاب: اثبات الهداة بالنصوص والمعجزات للعالم المحدث الحر العاملي تـ ١١٠٤ هـ وتندرج تلك المعلومات الهامة تحت عناوين الكرامات، والمعجزات، ويتحدث الحر العاملي (رض) عن قيمتها العلمية، ودرجة وثاقتها، فيؤكد ان روايات الكرامات المذكورة، وأحاديثها تتمتع بنفس درجة الوثاقة التي تتمتع بها روايات الفرائض والأحكام، وبعضها أكثر منها وثاقة من ناحية السند وسلسلة الرواة[1].

(١) اثبات الهداة بالنصوص، والمعجزات: الحر العاملي.. مقدمة الكتاب للمؤلف.

طرف من مواعظ الإمام

وللإمام باع طويل في عرض المواعظ البليغة التي تحمل الحجج البالغة، فتهز السامع والقارئ، وتترك أثراً عظيماً في النفس.

والموعظة عند علي عليه السلام تحمل مفاهيم وعطاء ثراً، تحدد للمسلم طريقه إلى الله واساليب تفاعله مع رسالة الله تعالى ومع الناس من حوله.

وفضلاً عما حمله نهج البلاغة من مواعظ لأمير المؤمنين عليه السلام فان كتب الوعظ والارشاد والتوجيه الإسلامي لا يكاد يخلو منها كتاب من ذكر بعض من مواعظ الإمام عليه السلام.

ونذكر هنا طرفاً من مواعظه التي ضمنها نهج البلاغة:

«ايها الناس لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلة أهله، فان الناس قد اجتمعوا على مائدة شبعها قصير، وجوعها طويل.

ايها الناس: انما يجمع الناس الرضى والسخط، وانما عقر ناقة ثمود رجل واحد، فعمهم اللّه بالعذاب لما عموه بالرضى، فقال سبحانه: ﴿فعقروها، فاصبحوا نادمين﴾ فما كان إلّا ان خارت أرضهم بالخسفة خوار السكة

المحماة في الارض الخوارة.

ايها الناس، من سلك الطريق الواضح ورد الماء، ومن خالف وقع في التيه»[1].

ـ «أيها الناس، انما الدنيا دار مجاز، والآخرة دار قرار، فخذوا من ممركم لمقركم، ولا تهتكوا استاركم عند من يعلم اسراركم، واخرجوا من الدنيا قلوبكم من قبل ان تخرج منها ابدانكم، ففيها اختبرتم، ولغيرها خلقتم. ان المرء اذا هلك قال الناس: ماترك؟ وقالت الملائكة: ما قدم؟ للّه آباؤكم: فقدموا بعضاً يكن لكم قرضاً، ولا تخلفوا كلاً فيكون فرضاً عليكم»[2].

ـ «أوصيكم عباد اللّه بتقوى اللّه، التي هي الزاد وبها المعاد: زاد مبلغ، ومعاد منجح، دعا اليها اسمع داعٍ، ووعاها خير واعٍ، فأسمع داعيها، وفاز واعيها.

عباد اللّه ان تقوى اللّه حمت اولياء اللّه محارمه وألزمت قلوبهم مخافته، حتى اسهرت لياليهم، وأظمأت هو اجرهم فأخذوا الراحة بالنصب، والري بالظمأ، واستقربوا الاجل فبادروا العمل، وكذبوا الأمل، فلاحظوا الاجل..»[3].

---

(١) رقم النص ٢٠١ (باب الخطب). السخط: الغضب، ثمود: قوم نبي اللّه صالح (ع)، خارت: من الخوار صوت الثور، أي حين خسف اللّه ارضهم كان لها صوت كصوت الثور، السكة المحماة: حديدة المحراث، الارض الخوارة: اللينة الهشة.

(٢) نفس المصدر رقم ٢٠٣، مجاز: ممر إلى الآخرة.

(٣) نفس المصدر ص ١١٤، وعاها: فهمها وحفظها، حمت: منعت يعني التقوى منعت الاولياء

قبس من حِكَم الإمام

ونختم هذا الفصل بايراد اضمامة من حكم أمير المؤمنين عليه السلام اتماماً للفائدة:

١ ـ اذا اقبلت الدنيا على أحد اعارته محاسن غيره واذا ادبرت عنه سلبته محاسن نفسه.

٢ ـ اعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان، واعجز منه من ضيّع من ظفر به منهم.

٣ ـ من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه.

٤ ـ ما أضمر أحد شيئاً إلّا وظهر في فلتاتِ لسانه وصفحات وجهه.

٥ ـ فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها.

٦ ـ قيمة كل امرىء ما يحسنه.

من ارتكاب الجرائم، الهواجر: الايام الشديدة الحرو مع شدة حرارتها فقد أظمأ المتقون انفسهم فيها صوماً، النصب: التعب.

٧ ـ قال عليه السلام يصف الغوغاء: «هم الذين اذا اجتمعوا غلبوا واذا تفرقوا لم يُعرفوا».

٨ ـ عجبت لاقوام يحتمون الطعام مخافة الاذى كيف لا يحتمون الذنوب مخافة النار؟

٩ ـ اربع لو ضربتم فيهن اكباد الابل، لكان ذلك يسيراً: لا يرجونَ أحد إلّا ربه، ولا يخافنّ إلّا ذنبه، ولا يستحي ان يقول لا أعلم اذا هو لم يعلم، ولا يستكبر ان يتعلم اذا لم يعلم.

١٠ ـ اتقوا معاصي اللّه في الخلوات، فان الشاهد هو الحاكم.

١١ ـ الثناء بأكثر من الاستحقاق ملق[١] والتقصير عن الاستحقاق عيٌ أو حسد.

١٢ ـ عند تناهي الشدة تكون الفرجة، وعند تضايق حلق البلاء يكون الرخاء.

١٣ ـ من اصلح ما بينه وبين اللّه، اصلح اللّه ما بينه وبين الناس، ومن أصلح أمر آخرته اصلح اللّه له أمر دنياه، ومن كان له من نفسه واعظ كان عليه من اللّه حافظ.

١٤ ـ الفقيه كل الفقيه من لم يقنّط الناس من رحمة اللّه ولم يؤيسهم من روح اللّه[٢] ولم يؤمنهم من مكر اللّه.

١٥ ـ ربَّ عالم قد قتله جهله، وعلمه معه لا ينفعه.

١٦ ـ عِظَمُ الخالق عندك يصغّر المخلوق في عينيك.

---

(١) ملق: التملق، العي: العجز.

(٢) روح اللّه: لطفه ورأفته، مكر اللّه: اخذه للعبد بالعقاب دون شعوره.

١٧ ـ لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه في ثلاث: نكبته، وغيبته، ووفاته.

١٨ ـ الناس ثلاثة: فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح لم يستضيؤوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق.

١٩ ـ الناس أعداء ما جهلوا.

٢٠ ـ من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها[١].

وهكذا نصل إلى نهاية المطاف في حديثنا عن المقومات العامة لشخصية أمير المؤمنين وصنو النبي وأخيه ووصيه علي بن أبي طالب عليه السلام.

وفقنا اللّه تعالى للاخذ بنهجه في الفكر والعمل انه سميع مجيب والحمد اللّه رب العالمين.

والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين.

---

(١) للمزيد راجع باب المختار من حكم الإمام(ع) في نهج البلاغة، وتحف العقول لابن شعبه الحراني وج ١٩ وج ٢٠ من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد وغيرها.

الملاحق

وثيقة رقم (١)

«فصل فيما روي من سبّ معاوية وحزبه لعليّ»[١]

المسألة الثانية: في قوله عليه السلام: «يأمركم بسبّي والبراءة مني»، فنقول: إن معاوية أمر الناس بالعراق والشام وغيرهما بسبّ علي عليه السلام والبراءة منه.

وخطب بذلك على منابر الإسلام، وصار ذلك سنة في أيام بني أمية إلى أن قام عمر ابن عبدالعزيز رضي الله تعالى عنه فأزاله. وذكر شيخُنا أبو عثمان الجاحظ أن معاوية كان يقول في آخر خطبة الجمعة: اللهم إن ابا تراب ألحد في دينك، وصدّ عن سبيلك فالعنه لعناً وبيلاً، وعذبه عذاباً أليما. وكتب بذلك إلى الآفاق، فكانت هذه الكلمات يُشاربها على المنابر؛ إلى خلافة عمر بن عبدالعزيز.

وذكر أبو عثمان أيضاً أن هشام بن عبدالملك لما حجّ خطب

---

(١) ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة: ج ٤ ص٥٦ ـ ٥٧، ط ٢ دار الكتب العربية ١٩٦٥م.

بالموسم، فقام إليه إنسان، فقال: يا أميرالمؤمنين، إن هذا يومٌ كانت الخلفاء تستحب فيه لعن أبي تراب، فقال: أكفف، فما لهذا جئنا.

وذكر المبرّد في «الكامل» أن خالد بن عبدالله القسري لمّا كان أمير العراق في خلافة هشام، كان يلعن علياً عليه السلام على المنبر، فيقول: اللهم العن علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم، صهر رسول الله على ابنته، وابا الحسن والحسين! ثم يقبل على الناس، فيقول هل كنّيتُ!

وروى أبو عثمان أيضاً أن قوماً من بني أمية قالوا لمعاوية: يا أميرالمؤمنين، إنّك قد بلغتَ ما أمّلت، فلو كففت عن لعن هذا الرجلّ فقال: لا والله حتى يربوَ عليه الصغير، ويهرم عليه الكبير، ولا يذكر له ذاكرٌ فضلا!

وثيقة رقم (٢)
مخطط التخريب الثقافي!!

روى أبو الحسن علي بن محمد بن أبي سيف المدائني في كتاب «الأحداث» قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة[١]: «ان برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته»، فقامت الخطباء في كل كورة، وعلى كل منبر، يلعنون علياً ويبرؤون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة، لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام، فاستعمل عليهم زياد بن سمية، وضم إليه البصرة، فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف، لأنه كان منهم أيام علي عليه السلام، فقتلهم تحت كل حجر ومدر، وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل. وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشردهم عن العراق، فلم يبقَ بها معروف منهم، وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق: «ألّا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته

---

(١) عام الجماعة هو عام ٤١هـ الذي تسلم معاوية فيه السلطنة بعد صلحه مع الحسن السبط (ع) وسقوط دولة الخلافة الإسلامية في الكوفة.

شهادة».

وكتب إليهم: «ان أنظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته، والذين يروون فضائله ومناقبه، فأدنوا مجالسهم وقربوهم واكرموهم واكتبوا لي بكل ما يروي كل رجل منهم، واسمه واسم أبيه وعشيرته».

ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات والكساء والحباء والقطائع، ويفيضه في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك في كل مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا، فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملاً من عمال معاوية، فيروي في عثمان أو منقبة إلّا كتب اسمه وقربه وشفعه، فلبثوا بذلك حيناً.

ثم كتب إلى عماله أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية: «فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة الخلفاء الأولين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فانّ هذا أحبُّ إليَّ وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته واشد عليهم من مناقب عثمان وفضله».

فقرئت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجدَّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشدوا بذكر ذلك على المنابر، والقي إلى معلمي الكتاتيب فعلموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع حتى رووه وتعلموه كما يتعلموا القرآن، وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم،

فلبثوا بذلك ما شا الله.

ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: «انظروا من قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل بيته، فامحوه من الديوان، واسقطوا عطاءه ورزقه، وشفع ذلك بنسخة أخرى: من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم، فنكلوا به. واهدموا داره».

فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق، ولاسيما بالكوفة، حتى أنّ الرجل من شيعة علي عليه السلام ليأتيه من يثق به، فيدخل بيته، فيلقي إليه سره، ويخاف من خادمه ومملوكه، ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الأيمان المغلظة، ليتمكن عليه، فظهر حديث كثير موضوع، وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة، وكان أعظم الناس في ذلك بلية القراء المراءون والمستضعفون، الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم، ويقربوا مجالسهم، ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان، فقبلوها ورووها، وهم يظنون أنها حق، ولو علموا أنها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها.

فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن علي عليه السلام، وولي عبدالملك بن مروان، فاشتد على الشيعة، وولى عليهم الحجاج بن يوسف الثقفي، فتقرب إليه أهل النسك. والصلاح والدين ببغض علي وموالاة أعدائه، وموالاة من يدعي من الناس أنهم أيضاً أعداؤه، فأكثروا في الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم وأكثروا من الغض من

علي عليه السلام وعيبه، والطعن فيه، والشنآن له، حتى أن إنساناً وقف للحجاج ـ يقال انه جد الأصمعي عبدالملك بن قريب ـ فصاح به: أيها الأمير ان أهلي عقوني فسموني علياً، واني فقير بائس، وأنا إلى صلة الأمير محتاج، فتضاحك له الحجاج، وقال: للطف ما توسلت به قد وليتك موضع كذا.

وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه ـ وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم ـ في تاريخه ما يناسب هذا الخبر.

وقال: ان أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أمية تقرباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بني هاشم[1].

(١) شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد، ج ١١ ص ٤٤ ـ ٤٦.

وثيقة رقم (٣)
وليد الكعبة!

من مناقب ابن المغازلي، عن محمد بن علي بن محمد بن التبيع، عن أحمد بن محمد بن سلام، عن عمر بن أحمد بن روح الساجي، عن يحيى بن الحسن العلوي، عن محمد بن سعيد المكي الدارمي، عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين عليهم السلام قال: كنت جالساً مع أبي ونحن نزور قبر جدنا عليه السلام وهناك نسوان كثيرة، إذ أقبلت امرأة منهن فقلت لها: من أنت رحمك الله؟ قلت: أنا زيدة بنت العجلان من بني ساعدة، فقلت لها: فهل عندك شيء تحدّثينا به؟ قالت: أي والله حدثتني أمي أم عمارة بنت عبادة بن فضل بن مالك بن العجلان الساعدي أنها كانت ذات يوم في نساء من العرب إذ أقبل أبو طالب كئيباً حزيناً، فقلت: ما شأنك يا ابا طالب؟ فقال: إن فاطمة بنت أسد في شدة المخاض، ثم وضع يده على وجهه فبينا هو كذلك إذ أقبل محمد فقال: ما شأنك يا عم؟ فقال: إن فاطمة بنت اسد تشتكي المخاض فأخذ بيده وجاءا، وقمن معه، فجاء بها إلى الكعبة فأجلسها في الكعبة، ثم قال:

اجلسي على اسم الله، قالت: فطلقت طلقة فولدت غلاماً مسروراً نظيفاً منظفاً، لم أر كحسن وجهه، فسماه أبو طالب علياً، وحمله النبي حتى أداه إلى منزلها.

قال علي بن الحسين عليهما السلام: فوالله ما سمعت بشيء قط إلا وهذا أحسن منه[1].

(١) بحار الأنوار: الشيخ المجلسي: ٣٥: ٣. والحافظ بن المغازلي الشافعي في مناقب علي بن أبي طالب: ص ٥، وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة.

وثيقة رقم (٤)
وليد الكعبة ايضاً!

الدقّاق عن الاسدي، عن النخعي، عن النوفليّ، عن محمد بن سنان، عن المفضّل، عن ثابت بن دينار، عن سعيد بن جبير[١] قال: قال يزيد بن قعنب: كنت جالساً مع العباس بن عبدالمطلب وفريق من عبدالعزى بازاء بيت الله الحرام إذ أقبلت فاطمة بنت أسد أم أميرالمؤمنين عليه السلام وكانت حاملة به لتسعة أشهر، وقد أخذها الطلق، فقالت: ربِّ إنّي مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإنّي مصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل، وإنه بنى البيت العتيق، فبحق الذي بنى هذا البيت وبحق المولود الذي في بطني لما يسّرت عليّ ولادتي. قال يزيد بن قعنب: فرأينا البيت وقد انفتح عن ظهره ودخلت فاطمة فيه وغابت عن أبصارنا، والتزق الحائط، فرمنا أن ينفتح لنا قفل الباب فلم

---

(١) بحار الأنوار: الشيخ محمد باقر المجلسي ٣٥ / ٨ ـ ٩، نقلاً عن العلل: للشيخ الصدوق والمعاني: للصدوق وغيبة النعماني ورواه أبو الفتح الأربلي في كشف الغمة: ج ١ ص ٦٠، ط دار الكتاب ـ بيروت.

ينفتح، فعلمنا أن ذلك أمر من أمر الله عز وجل، ثم خرجت بعد الرابع وبيدها أميرالمؤمنين عليه السلام ثم قالت: إني فضلت على من تقدمني من النساء لأن آسية بنت مزاحم عبدت الله عز وجل سراً في موضع لا يحب أن يعبد الله فيه إلا اضطراراً، وإن مريم بنت عمران هزت النخلة اليابسة بيدها حتى أكلت منها رطباً جنياً، وإني دخلت بيت الله الحرام فأكلت من ثمار الجنة وأوراقها، فلما اردت أن أخرج هتف بي هاتف، يا فاطمة سمّيه علياً فهو عليّ، والله العلي الأعلى يقول: إني شققت اسمه من اسمي وأدبته بأدبي، ووقفته على غامض علمي، وهو الذي يكسر الأصنام في بيتي، وهو الذي يؤذن فوق ظهر بيتي، ويقدسني ويمجدني، فطوبى لمن أحبه وأطاعه، وويل لمن أبغضه وعصاه.

وثيقة رقم (٥)

«أول من صلى مع رسول الله ﷺ»

قال أبو جعفر الطبري في تاريخه[١]: حدثني محمد بن عبيد المحاربي قال حدثنا سعيد بن خُثَيم عن أسد بن عبدة البجلي عن يحيى بن عفيف عن عفيف قال جئت في الجاهلية إلى مكة فنزلت على العباس بن عبدالمطلب قال فلما طلعت الشمس وحَلّقت في السماء وأنا أنظر إلى الكعبة أقبل شاب فرمى ببصره إلى السماء ثم استقبل الكعبة فقام مستقبلها فلم يلبث حتى جاء غلام فقام عن يمينه قال فلم يلبث حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما فركع الشاب فركع الغلام والمرأة فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة فخر الشاب ساجداً فسجدا معه فقلت يا عباس أمر عظيم فقال أمر عظيم أتدري من هذا فقلت لا قال هذا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن أخي أتدري من هذا معه قلت لا قال هذا علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب ابن أخي أتدري من هذه المرأة التي

---

(١) تاريخ الطبري: ٢: ٥٦ ـ ٥٧ ط مؤسسة الأعلمي / بيروت.

خلفهما قلت لا قال هذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخي وهذا حدثني إن ربه رب السماء أمرهم بهذا الذي تراهم عليه وأيم الله ما أعلم على ظهر الأرض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة.

حدثنا أبو كريب قال حدثنا يونس بن بكير قال حدثنا محمد بن اسحاق قال حدثني يحيى بن أبي الاشعث الكندي من أهل الكوفة قال حدثني اسماعيل بن أياس بن عفيف عن أبيه عن جده قال كنت أمرءاً تاجراً فقدمت أيام الحج فأتيت العباس فبينا نحن عنده إذ خرج رجل يصلي فقام تُجاه الكعبة ثم خرجت امرأة فقامت معه تصلي وخرج غلام فقام يصلي معه فقلت يا عباس ما هذا الدين إن هذا الدين ما أدري ما هو قال هذا محمد بن عبدالله يزعم أن الله أرسله به وأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه وهذه امرأته خديجة بنت خويلد آمنت به وهذا الغلام ابن عمه علي بن أبي طالب آمن به قال عفيف فليتني كنت آمنت يومئذ فكنت أكون ثالثاً.

حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل وعلي بن مجاهد قال سلمة حدثني محمد بن اسحاق عن يحيى ابن أبي الاشعث قال أبو جعفر وهو في موضع آخر من كتابي عن يحيى بن الاشعث عن اسماعيل بن أياس بن عفيف الكندي وكان عفيف أخا الأشعث بن قيس الكندي لأمه وكان ابن عمه عن أبيه عن جده عفيف قال كان العباس بن المطلب لي صديقاً وكان يختلف إلى اليمن يشتري العطر فيبيعه ايام الموسم فبينا أنا عند العباس بن عبدالمطلب بمنى فأتاه رجل مجتمع فتوضأ فاسبغ الوضوء ثم قام يصلي فخرجت امرأة فتوضأت وقامت

تصلي ثم خرج غلام قد راهق فتوضأ ثم قام إلى جنبه يصلي فقلت ويحك يا عباس ما هذا قال هذا ابن أخي محمد بن عبدالله بن عبد المطلب يزعم أن الله بعثه رسولاً وهذا ابن أخي علي بن ابي طالب قد تابعه على دينه وهذه امرأته خديجة ابنة خويلد قد تابعته على دينه قال عفيف بعدما أسلم ورسخ الإسلام في قلبه يا ليتني كنت رابعاً.

حدثنا ابن حميد قال حدثنا عيسى بن سوادة ابن الجعد قال حدثنا محمد بن المنكدر وربيعة بن أبي عبدالرحمن وابو حازم المدني والكلبي قالوا علي أول من أسلم قال الكلبي: أسلم وهو ابن تسع سنين.

حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحاق قال كان أول ذَكر آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى معه وصدقه بما جاءه من عند الله علي بن أبي طالب وهو يومئذ ابن عشر سنين وكان مما أنعم الله به على علي بن أبي طالب عليه السلام أنه كان في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام.

وثيقة رقم (٦)

أول هجرة في الإسلام

ثم إن رسول الله ﷺ لما رأى ما يصيب اصحابه من البلاء وانه لا يقدر على ان يحميهم ويمنعهم مما هم فيه، قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإنّ بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه.

فخرج عند ذلك المسلمون إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة في الإسلام. وكان في مقدمة المهاجرين: عثمان بن عفان وزوجته، رقية بنت رسول الله ﷺ، وابو حذيفة وزوجته، والزبير بن العوام، ومصعب بن عمير وعبدالرحمن بن عوف... حتى اجتمع في أرض الحبشة من أصحابه ﷺ بضعة وثمانون رجلاً[1].

فلما رأت قريش ذلك، ارسلت إلى النجاشي عبدالله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص بهدايا مختلفة كثيرة، إليه وإلى حاشيته وبطارقته، رجاء أن يرفض قبول هؤلاء المسلمين في جواره ويسلمهم مرة أخرى

---

(١) هذا هو الصحيح كما ذكره ابن هشام في سيرته: ج١ ص٣٣.، وانظر فتح الباري: ج٧ ص١٣.

إلى أعدائهم.

فلما كلما النجاشي في ذلك ـ وكانا قد كلما من قبله بطارقته وقدما إليهم ما جاءا به من الهدايا ـ رفض النجاشي أن يسلم أحداً من المسلمين اليهما حتى يكلمهم في شأن دينهم الجديد هذا. فجيىء بهم عليه، ورسولا قريش عنده، فقال لهم: ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به في ديني ولا في دين أحد من الملل؟

فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب، فقال: أيها الملك: كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الارحام، ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم ونهانا عن الفواحش.. فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان.. فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، خرجنا إلى بلادك وأخترناك عىٰ من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نُظلم عندك.

فسأله النجاشي أن يتلو عليه شيئاً مما جاءهم به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من عند الله.

فقرأ عليه جعفر صدراً من سورة مريم. فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته، ثم قال لهم: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة. ثم التفت إلى رسولي قريش قائلاً: انطلقا، فلا والله لا

أسلمهم اليكما، ولا يُكادون.

ثم انهما عادا فقالا للنجاشي: أيها الملك انهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون. فأرسل إليهم، في ذلك، فقال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاءنا به نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم: يقول: هو عبدالله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

فضرب النجاشي بيده إلى الأرض فأخذ منها عوداً. ثم قال: والله ما عدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العود.

ثم رد إليهما هداياهما، وزاد استمساكه بالمسلمين الذين استجاروا به، وعاد الرسُل إلى قريش خائبين.

وبعد فترة من الزمن بلغهم إسلام أهل مكة، فرجعوا لما بلغهم ذلك حتى إذا دنوا من مكة بلغهم أن ما قد سمعوه من إسلام أهل مكة باطل، فلم يدخل أحد منهم إلا بجوار، أو مستخفياً وكان جميعهم ثلاثة وثلاثين رجلاً. وكان من بين من دخل بجوار عثمان بن مظعون، دخل بجوار الوليد بن المغيرة، وابو سلمة دخل بجوار أبي طالب[1].

---

(١) فقه السيرة: الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: ص١٢ ـ ١٢٢، ط ٤ ١٩٧٢م، دار الفكر نقلاً عن سيرة ابن هشام وفتح الباري: ج٧ ص.١٣، ومثله في الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزي ج١ ص١٩٦.

وثيقة رقم (٧)

«دستوره لأدارة بلاد مصر»

من كتاب للإمام علي عليه السلام كتبه للأشتر النخعي، لمّا ولاه على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر أميرها محمّد بن أبي بكر، وهو أطول عهد كتبه وأجمعه للمحاسن[١]

بِسمِ اللهِ الرحمٰنِ الرّحيم

هٰذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ ٱللهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ، مَالِكَ بْنَ ٱلْحَارِثِ ٱلْأَشْتَرَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ، حِينَ وَلَّاهُ مِصْرَ: جِبَايَةَ خَرَاجِهَا، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا، وَٱسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا.

أَمَرَهُ بِتَقْوَىٰ ٱللّٰهِ، وَإِيثَارِ طَاعَتِهِ، وَٱتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ: مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ، الَّتِي لَا يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا، وَلَا يَشْقَىٰ إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا، وَأَنْ يَنْصُرَ ٱللّٰهَ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ وَيَدِهِ وَلِسَانِهِ؛ فَإِنَّهُ، جَلَّ ٱسْمُهُ، قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ، وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ.

---

(١) نهج البلاغة نص رقم ٥٣ ص٤٢٦ ـ ٤٤٥.

وَأَمَـــرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَـفْسَـهُ مِـنَ الشَّهَـوَاتِ، وَيَـزَعَهَا[1] عِـنْدَ ٱلْجَمَحَاتِ[2]، فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ، إِلَّا مَا رَحِمَ ٱللَّهُ.

ثُمَّ ٱعْلَمْ يَا مَالِكُ، أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَىٰ بِلَادٍ قَدْ جَـرَتْ عَـلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ، مِنْ عَدْلٍ وَجَوْرٍ، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُـنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ، ٱلْوُلَاةِ قَبْلَكَ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ، وَإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَىٰ الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي ٱللَّهُ لَهُمْ عَلَىٰ أَلْسُـنِ عِـبَادِهِ، فَـلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ ٱلْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَامْلِكْ هَوَاكَ، وَشُحَّ[3] بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ، فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ [الأنفس] ٱلْإِنْصَافُ مِـنْهَا فَـيَا أَحَـبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ. وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَٱلْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً [ضارباً] تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّـا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، أَوْ نَظِيرٌ لَكَ فِي ٱلْخَلْقِ، يَفْرُطُ[4] مِـنْهُمُ الزَّلَـلُ[5]، وَتَـعْرِضُ لَهُـمُ ٱلْعِلَلُ، وَيُؤْتَىٰ عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ فِي ٱلْعَمْدِ وَٱلْخَطَإِ، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَـفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَىٰ أَنْ يُعْطِيَكَ ٱللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ، وَوَالِي ٱلْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَٱللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلَّاكَ! وَقَدِ ٱسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ[6]،

---

١ - يزعها: يكفها.

٢ - الجَمَحات: منازعات النفس إلى شهواتها ومآربها.

٣ - شُحّ بنَفْسِك: ابخل بنفسك عن الوقوع في غير الحل، فليس الحرص على النفس إيفاءها كل ما تحب، بل من الحرص أن تحمل على ما تكره.

٤ - يَفْرُط: يسبق.

٥ - الزلل: الخطأ.

٦ - استكفاك: طلب منك كفاية أمرك والقيام بتدبير مصالحهم.

وَٱبْتَلَاكَ بِهِمْ. وَلَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ ٱللَّهِ[1] فَإِنَّهُ لَا يَدَ لَكَ بِنِقْمَتِهِ[2]، وَلَا غِنَىٰ بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ. وَلَا تَنْدَمَنَّ عَلَىٰ عَفْوٍ، وَلَا تَبْجَحَنَّ[3] بِعُقُوبَةٍ، وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَىٰ بَادِرَةٍ[4] وَجَدْتَ مِنْهَا مَنْدُوحَةً[5]، وَلَا تَقُولَنَّ: إِنِّي مُؤَمَّرٌ[6] آمُرُ فَأُطَاعُ، فَإِنَّ ذٰلِكَ إِدْغَالٌ[7] فِي ٱلْقَلْبِ، وَمَنْهَكَةٌ[8] لِلدِّينِ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ ٱلْغِيَرِ[9]. وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةً[10] أَوْ مَخِيلَةً[11]، فَانْظُرْ إِلَىٰ عِظَمِ مُلْكِ ٱللَّهِ فَوْقَكَ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَىٰ مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّ ذٰلِكَ يُطَامِنُ[12] إِلَيْكَ

---

١ – أراد «بحرب اللّه» مخالفة شريعته بالظلم والجور.

٢ – لا يد لك بنقمته: أي ليس لك يد أن تدفع نقمته، أي لا طاقة لك بها.

٣ – بجح به: كفرح لفظاً ومعنى.

٤ – البادرة: ما يبدر من الحدة عند الغضب في قول أو فعل.

٥ – المندوحة: المتسع، أي المخلص.

٦ – مؤمر ـ كمعظم ـ أي: مسلط.

٧ – الإدغال: إدخال الفساد.

٨ – منهكة: مضعفة، وتقول «نهكه» أي أضعفه.. وتقول: نهكه السلطان من باب فهم أي: بالغ في عقوبته.

٩ – الغِيَر ـ بكسر ففتح ـ: حادثات الدهر بتبدل الدول.

١٠ – الأُبَّهَة ـ بضم الهمزة وتشديد الباء مفتوحة ـ: العظمة والكبرياء.

١١ – المَخِيلة ـ بفتح فكسر ـ: الخيلاء والعجب.

١٢ – يُطامن الشيء: يخفض منه.

مِـنْ طِـمَاحِكَ[1]، وَيَكُـفُّ عَـنْكَ مِـنْ غَـرْبِكَ[2]، وَيَـفِيءُ[3] إِلَـيْكَ بِمَـا عَزَبَ[4] عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ! إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ[5] ٱللّٰهِ فِي عَظَمَتِهِ، وَالتَّشَبُّهَ بِـهِ فِي جَبَرُوتِهِ، فَإِنَّ ٱللّٰهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ، وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ.

أَنْصِفِ ٱللّٰهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوىً[6] مِنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمْ! وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ ٱللّٰهِ كَـانَ ٱللّٰهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَمَنْ خَاصَمَهُ ٱللّٰهُ أَدْحَضَ[7] حُجَّتَهُ، وَكَـانَ لِـلّٰهِ حَرْباً[8] حَتَّىٰ يَنْزِعَ[9] أَوْ يَتُوبَ. وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَىٰ إِلَىٰ تَغْيِيرِ نِـعْمَةِ ٱللّٰـهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةٍ عَـلَىٰ ظُـلْمٍ، فَـإِنَّ ٱللّٰـهَ سَمِـيعُ دَعْـوَةِ ٱلْمُضْطَهَدِينَ [المظلومين]، وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ.

وَلْيَكُنْ أَحَبَّ ٱلْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي ٱلْحَـقِّ، وَأَعَـمُّهَا فِي ٱلْـعَدْلِ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَىٰ الرَّعِيَّةِ، فَإِنَّ سُخْطَ ٱلْعَامَّةِ يُجْحِفُ[10] بِرِضَىٰ ٱلْخَاصَّةِ، وَإِنَّ

---

١ – الطِماح ـ ككتاب ـ: النشوز والجماح.

٢ – الغَرْب ـ بفتح فسكون ـ: الحدة.

٣ – يفيء: يرجع.

٤ – عَزَب: غاب.

٥ – المساماة: المباراة في السمو، أي العلو.

٦ – من لك فيه هوى أي: لك إليه ميل خاص.

٧ – أدحض: أبطل.

٨ – كان حرباً أي: محارباً.

٩ – ينزع ـ كيضرب ـ أي: يقلع عن ظلمه.

١٠ – يجحِف برضى الخاصة: يذهب برضاهم.

سُخْطَ ٱلْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَىٰ ٱلْعَامَّةِ. وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَىٰ ٱلْوَالِي مَؤُونَةً فِي الرَّخَاءِ، وَأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي ٱلْبَلَاءِ، وَأَكْرَهَ لِلْإِنْصَافِ، وَأَسْأَلَ بِالْإِلْحَافِ[1]، وَأَقَلَّ شُكْراً عِنْدَ ٱلْإِعْطَاءِ، وَأَبْطَأَ عُذْراً عِنْدَ ٱلْمَنْعِ، وَأَضْعَفَ صَبْراً عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ ٱلْخَاصَّةِ. وَإِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ، وَجِمَاعُ[2] ٱلْمُسْلِمِينَ، وَٱلْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ، ٱلْعَامَّةُ مِنَ ٱلْأُمَّةِ؛ فَلْيَكُنْ صِغْوُكَ[3] لَهُمْ، وَمَيْلُكَ مَعَهُمْ.

وَلْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ، وَأَشْنَأَهُمْ[4] عِنْدَكَ، أَطْلَبُهُمْ[5] لِمَعَائِبِ النَّاسِ؛ فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوباً، ٱلْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا، فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ، وَٱللَّهُ يَحْكُمُ عَلَىٰ مَا غَابَ عَنْكَ، فَاسْتُرِ ٱلْعَوْرَةَ مَا ٱسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ ٱللَّهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سَتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ. أَطْلِقْ[6] عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ، وَٱقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وِتْرٍ[7]، وَتَغَابَ[8] عَنْ كُلِّ مَا لَا يَضِحُ[9] لَكَ، وَلَا تَعْجَلَنَّ إِلَىٰ تَصْدِيقِ

---

١ – الإلحاف: الالحاح والشدة في السؤال.

٢ – جِماع الشيء ـ بالكسر ـ: جمعه، أي جماعة الاسلام.

٣ – الصِغو ـ بالكسر والفتح ـ: الميل.

٤ – أشنؤهم: أبغضهم.

٥ – الأطلب للمعائب: الأشد طلباً لها.

٦ – أطلق عقدة كل حقد: احلل عقد الأحقاد من قلوب الناس بحسن السيرة معهم.

٧ – الوِتْر ـ بالكسر ـ: العداوة.

٨ – تَغَابَ: تغافَلْ.

٩ – يَضِح: يظهر، والماضي وَضَحَ.

سَاعٍ، فَإِنَّ السَّاعِيَ[1] غَاشٌّ، وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ.

وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلاً يَعْدِلُ بِكَ عَنِ ٱلْفَضْلِ[2]، وَيَعِدُكَ ٱلْفَقْرَ[3]، وَلَا جَبَاناً يُضْعِفُكَ عَنِ ٱلْأُمُورِ، وَلَا حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَهَ[4] بِالْجَوْرِ، فَإِنَّ ٱلْبُخْلَ وَٱلْجُبْنَ وَٱلْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى[5] يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللّٰهِ.

إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلْأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً، وَمَنْ شَرِكَهُمْ فِي ٱلْآثَامِ فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً[6]، فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ ٱلْأَئِمَةِ[7]، وَإِخْوَانُ الظَّلَمَةِ[8]، وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ ٱلْخَلَفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَاذِهِمْ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ[9] وَأَوْزَارِهِمْ[10] وَآثَامِهِمْ، مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِماً عَلَىٰ ظُلْمِهِ، وَلَا آثِماً عَلَىٰ إِثْمِهِ؛ أُولٰئِكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَؤُونَةً، وَأَحْسَنُ لَكَ

---

١ - الساعي: هو النمام بمعائب الناس.

٢ - الفضل ـ هنا ـ: الإحسان بالبذل.

٣ - يَعِدُك الفقر: يخوفك منه لو بذلت.

٤ - الشَّرَه ـ بالتحريك ـ: أشد الحرص.

٥ - غرائز: طبائع متفرقة.

٦ - بِطانة الرجل ـ بالكسر ـ: خاصته، وهو من بِطانة الثوب خلاف ظهارته.

٧ - الأئمة: جمع آثم وهو فاعل الاثم أي الذنب.

٨ - الظَّلَمَة: جمع ظالم.

٩ - الآصار: جمع إصر با لكسر، وهو الذنب والإثم.

١٠ - الأوزار: جمع وِزْر وهو الذنب والإثم أيضاً.

مَعُونَةً، وَأَحْنَىٰ عَلَيْكَ عَطْفاً، وَأَقَلُّ لِغَيْرِكَ إِلْفاً[1]، فَاتَّخِذْ أَولٰئِكَ خَاصَّةً لِخَلَوَاتِكَ وَحَفَلَاتِكَ، ثُمَّ لِيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلَهُمْ بِمُرِّ ٱلْحَقِّ لَكَ، وَأَقَلَّهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ ٱللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ، وَاقِعاً ذٰلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَع. وَٱلْصَقْ بِأَهْلِ ٱلْوَرَعِ وَالصِّدْقِ؛ ثُمَّ رُضْهُمْ[2] عَلَىٰ أَلَّا يُطْرُوكَ وَلَا يَبْجَحُوكَ[3] بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ، فَإِنَّ كَثْرَةَ ٱلْإِطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ[4]، وَتُدْنِي[5] مِنَ ٱلْعِزَّةِ [الغرّة].

وَلَا يَكُونَنَّ ٱلْمُحْسِنُ وَٱلْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ، فَإِنَّ فِي ذٰلِكَ تَزْهِيداً لِأَهْلِ ٱلْإِحْسَانِ فِي ٱلْإِحْسَانِ، وَتَدْرِيباً لِأَهْلِ ٱلْإِسَاءَةِ عَلَىٰ ٱلْإِسَاءَةِ! وَأَلْزِمْ كُلّاً مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ وَٱعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَىٰ إِلَىٰ حُسْنِ ظَنِّ بِرَعِيَّتِكَ، فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، وَتَخْفِيفِهِ ٱلْمَؤُونَاتِ عَلَيْهِمْ، وَتَرْكِ ٱسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ مَا لَيْسَ لَهُ قِبَلَهُمْ[6]. فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذٰلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَباً[7] طَوِيلاً. وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسُنَ بَلَاؤُكَ عِنْدَهُ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ

---

١ – الإلف ـ بالكسر ـ: الألفة والمحبة.

٢ – رُضْهُم أي: عوّدهم على ألا يطروك أي يزيدوا في مدحك.

٣ – لا يَبْجَحُوك أي: يفرحوك بنسبة عمل عظيم اليك ولم تكن فعلته.

٤ – الزَهْو ـ بالفتح ـ: العُجْب.

٥ – تدني أي: تقرّب. والعزة ـ هنا ـ: الكِبْر.

٦ – قِبَلَهُم ـ بكسر ففتح ـ أي: عندهم.

٧ – النَصَب ـ بالتحريك ـ: التعب.

سَاءَ بَلَاؤُكَ عِنْدَهُ[1].

وَلَا تَنْقُضْ سُنَّةً صَالِحَةً عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ، وَٱجْتَمَعَتْ بِهَا ٱلْأُلْفَةُ، وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ. وَلَا تُحْدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السُّنَنِ، فَيَكُونَ ٱلْأَجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا، وَٱلْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا.

وَأَكْثِرْ مُدَارَسَةَ ٱلْعُلَمَاءِ، وَمُنَاقَشَةَ ٱلْحُكَمَاءِ، فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلَادِكَ، وَإِقَامَةِ مَا ٱسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ.

وَٱعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ، وَلَا غِنَىٰ بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ؛ فَمِنْهَا جُنُودُ ٱللّٰهِ، وَمِنْهَا كُتَّابُ ٱلْعَامَّةِ وَٱلْخَاصَّةِ، وَمِنْهَا قُضَاةُ ٱلْعَدْلِ، وَمِنْهَا عُمَّالُ ٱلْإِنْصَافِ وَالرِّفْقِ، وَمِنْهَا أَهْلُ ٱلْجِزْيَةِ وَٱلْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ، وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصِّنَاعَاتِ وَمِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَىٰ مِنْ ذَوِي ٱلْحَاجَةِ وَٱلْمَسْكَنَةِ، وَكُلٌّ قَدْ سَمَّىٰ ٱللّٰهُ لَهُ سَهْمَهُ[2]، وَوَضَعَ عَلَىٰ حَدِّهِ فَرِيضَةً فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ـ صَلَّىٰ ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ عَهْداً مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظاً.

فَالْجُنُودُ، بِإِذْنِ ٱللّٰهِ، حُصُونُ الرَّعِيَّةِ، وَزَيْنُ ٱلْوُلَاةِ، وَعِزُّ الدِّينِ، وَسُبُلُ ٱلْأَمْنِ، وَلَيْسَ تَقُومُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِهِمْ. ثُمَّ لَا قِوَامَ لِلْجُنُودِ إِلَّا بِمَا يُخْرِجُ ٱللّٰهُ لَهُمْ مِنَ ٱلْخَرَاجِ الَّذِي يَقْوَوْنَ بِهِ عَلَىٰ جِهَادِ عَدُوِّهِمْ، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا يُصْلِحُهُمْ، وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ[3]. ثُمَّ لَا قِوَامَ لِهٰذَيْنِ الصِّنْفَيْنِ إِلَّا

---

١ – ساء بلاؤك عنده: البلاء ـ هنا ـ الصنع مطلقاً حسناً أو سيئاً.

٢ – سهمه: نصيبه من الحق.

٣ – يكون من وراء حاجاتهم أي: يكون محيطاً بجميع حاجاتهم دافعاً لها.

بِالصِّنْفِ الثَّالِثِ مِنَ ٱلْقُضَاةِ وَٱلْعُمَّالِ وَٱلْكُتَّابِ، لِمَا يُحْكِمُونَ مِنَ ٱلْمَعَاقِدِ[1]، وَيَجْمَعُونَ مِنْ ٱلْمَنَافِعِ، وَيُؤْتَمَنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ ٱلْأُمُورِ وَعَوَامِّهَا. وَلَا قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعاً إِلَّا بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصِّنَاعَاتِ، فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ[2]، وَيُقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ، وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرَفُّقِ[3] بِأَيْدِيهِمْ مَا لَا يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ. ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَىٰ مِنْ أَهْلِ ٱلْحَاجَةِ وَٱلْمَسْكَنَةِ ٱلَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ[4] وَمَعُونَتُهُمْ. وَفِي ٱللَّهِ لِكُلٍّ سَعَةٌ، وَلِكُلٍّ عَلَىٰ ٱلْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ، وَلَيْسَ يَخْرُجُ ٱلْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ ٱللَّهُ مِنْ ذٰلِكَ إِلَّا بِالِاهْتِمَامِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ، وَتَوْطِينِ نَفْسِهِ عَلَىٰ لُزُومِ ٱلْحَقِّ، وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقُلَ. فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِإِمَامِكَ، وَأَنْقَاهُمْ جَيْباً[5]، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْماً[6] مِمَّنْ يُبْطِيءُ عَنِ ٱلْغَضَبِ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَىٰ ٱلْعُذْرِ، وَيَرْأَفُ بِالضُّعَفَاءِ، وَيَنْبُو عَلَىٰ ٱلْأَقْوِيَاءِ[7]، وَمِمَّنْ لَا يُثِيرُهُ ٱلْعُنْفُ، وَلَا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ.

ثُمَّ ٱلْصَقْ بِذَوِي ٱلْمُرُوءَاتِ وَٱلْأَحْسَابِ، وَأَهْلِ ٱلْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالسَّوَابِقِ ٱلْحَسَنَةِ؛ ثُمَّ أَهْلِ النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ، وَالسَّخَاءِ وَالسَّمَاحَةِ؛ فَإِنَّهُمْ

---

١ – المعاقد: العقود في البيع والشراء وما شابههما مما هو شأن القضاة.

٢ – المرافق أي: المنافع التي يجتمعون لأجلها.

٣ – الترفق أي: التكسب بأيديهم ما لا يبلغه كسب غيرهم من سائر الطبقات.

٤ – رِفْدهم: مساعدتهم وصلتهم.

٥ – جيب القميص: طوقه؛ ويقال «نقي الجيب» أي: طاهر الصدر والقلب.

٦ – الحِلم ـ هنا ـ: العقل.

٧ – ينبو عليه: يتجافى عنهم ويبعد.

جِمَاعٌ[١] مِنَ ٱلْكَرَمِ، وَشُعَبٌ[٢] مِنَ ٱلْعُرْفِ[٣]. ثُمَّ تَفَقَّدْ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُ ٱلْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا، وَلَا يَتَفَاقَمَنَّ[٤] فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ، وَلَا تَحْقِرَنَّ لُطْفاً[٥] تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ وَإِنْ قَلَّ؛ فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَىٰ بَذْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ. وَلَا تَدَعْ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمُ ٱتِّكَالاً عَلَىٰ جَسِيمِهَا، فَإِنَّ لِلْيَسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعاً يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَلِلْجَسِيمِ مَوْقِعاً لَا يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ.

وَلْيَكُنْ آثَرُ[٦] رُؤُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَاسَاهُمْ[٧] فِي مَعُونَتِهِ، وَأَفْضَلَ[٨] عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَتِهِ[٩] بِمَا يَسَعُهُمْ وَيَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ[١٠]

---

١ - جماع من الكرم: مجموع منه.

٢ - شُعَب ـ بضم ففتح ـ: جمع شعبة.

٣ - العُرف: المعروف.

٤ - تفاقم الأمر: عظم، أي لا تعدّ شيئاً قويتهم به غاية في العظم زائداً عما يستحقون، فكل شيء قويتهم به واجب عليك اتيانه، وهم مستحقون لنيله.

٥ - لا تحقرَنّ لطفاً أي: لا تعد شيئاً من تلطفك معهم حقيراً فتتركه لحقارته، بل كل تلطف ـ وان قل ـ فله موقع من قلوبهم.

٦ - آثر أي: أفضل وأعلى منزلة.

٧ - وَاسَاهُمْ: ساعدهم بمعونته لهم.

٨ - أفضل عليهم أي: أفاض.

٩ - الجِدَة ـ بكسر ففتح ـ: الغنى.

١٠ - خلوف أهليهم: جمع خَلْف ـ بفتح وسكون ـ وهو من يبقى في الحي من النساء والعَجَزَة بعد سفر الرجال.

أَهْلِيهِمْ، حَتَّىٰ يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمّاً وَاحِداً فِي جِهَادِ ٱلْعَدُوِّ؛ فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ، وَإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ ٱلْوُلَاةِ ٱسْتِقَامَةُ ٱلْعَدْلِ فِي ٱلْبِلَادِ، وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ. وَإِنَّهُ لَا تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلَّا بِسَلَامَةِ صُدُورِهِمْ، وَلَا تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلَّا بِحِيطَتِهِمْ[1] عَلَىٰ وُلَاةِ ٱلْأُمُورِ، وَقِلَّةِ ٱسْتِثْقَالِ دُوَلِهِمْ، وَتَرْكِ ٱسْتِبْطَاءِ ٱنْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ، فَافْسَحْ فِي آمَالِهِمْ، وَوَاصِلْ فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلَىٰ ذَوُو ٱلْبَلَاءِ[2] مِنْهُمْ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَفْعَالِهِمْ تَهُزُّ الشُّجَاعَ، وَتُحَرِّضُ النَّاكِلَ[3]، إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ.

ثُمَّ ٱعْرِفْ لِكُلِّ ٱمْرِيءٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَىٰ، وَلَا تَضُمَّنَّ بَلَاءَ[4] ٱمْرِيءٍ إِلَىٰ غَيْرِهِ، وَلَا تُقَصِّرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلَائِهِ، وَلَا يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ ٱمْرِيءٍ إِلَىٰ أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ صَغِيراً، وَلَا ضَعَةُ ٱمْرِيءٍ إِلَىٰ أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ عَظِيماً.

وَٱرْدُدْ إِلَىٰ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ[5] مِنَ ٱلْخُطُوبِ، وَيَشْتَبِهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْأُمُورِ؛ فَقَدْ قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي ٱلْأَمْرِ مِنْكُمْ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي

---

١ – حِيطة ـ بكسر الحاء ـ: من مصادر «حاطه» بمعنى حفظه وصانه.

٢ – ذوو البلاء: أهل الأعمال العظيمة.

٣ – يحرض الناكل: يحث المتأخر القاعد.

٤ – بلاء امرىء: صنيعه الذي أبلاه.

٥ – ما يُضْلِعُك من الخطوب: ما يؤودك ويثقلك ويكاد يُميلك من الأمور الجسام.

شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَىٰ ٱللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ فَالرَّدُّ إِلَىٰ ٱللَّهِ: الْأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ[1]، وَالرَّدُّ إِلَىٰ الرَّسُولِ: ٱلْأَخْذُ بِسُنَّتِهِ ٱلْجَامِعَةِ غَيْرِ ٱلْمُفَرِّقَةِ.

ثُمَّ ٱخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ، مِمَّنْ لَا تَضِيقُ بِهِ ٱلْأُمُورُ، وَلَا تُمَحِّكُهُ[2] ٱلْخُصُومُ، وَلَا يَتَمَادَىٰ[3] فِي الزَّلَّةِ[4] وَلَا يَحْصَرُ[5] مِنَ ٱلْفَيْءِ[6] إِلَىٰ ٱلْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ، وَلَا تُشْرِفُ[7] نَفْسُهُ عَلَىٰ طَمَعٍ، وَلَا يَكْتَفِي بِأَدْنَىٰ فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ[8]؛ وَأَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ[9]، وَآخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ، وَأَقَلَّهُمْ تَبَرُّماً[10] بِمُرَاجَعَةِ ٱلْخَصْمِ، وَأَصْبَرَهُمْ عَلَىٰ تَكَشُّفِ ٱلْأُمُورِ، وَأَصْرَمَهُمْ[11] عِنْدَ اتِّضَاحِ ٱلْحُكْمِ، مِمَّنْ لَا يَزْدَهِيهِ

---

١ - مُحْكَم الكتاب: نصه الصريح.

٢ - تمحّكه الخصوم: تجعله ماحقاً لجوجاً. يقال: مَحَك الرجل ـ كمنَعَ ـ إذا لجّ في الخصومة، وأصرّ على رأيه.

٣ - يتمادى: يستمر ويسترسل.

٤ - الزَلّة ـ بالفتح ـ: السقطة في الخطأ.

٥ - لا يَحْصر: لا يعيا في المنطق.

٦ - الفيء: الرجوع إلى الحق.

٧ - لا تشرف نفسه: لا تطلع. والاشراف على الشيء: الاطلاع عليه من فوق.

٨ - أدنى فهم وأقصاه: أقربه وأبعده.

٩ - الشبهات: ما لا يتضح الحكم فيه بالنص؛ وفيها ينبغي الوقوف على القضاء حتى يرد الحادثة إلى أصل صحيح.

١٠ - التبرم: الملل والضجر.

١١ - أصرمهم: أقطعهم للخصومة وأمضاهم.

إِطْرَاءُ[1]، وَلَا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ، وَأُولٰئِكَ قَلِيلٌ. ثُمَّ أَكْثِرْ تَعَاهُدَ [تعهّد[2]] قَضَائِهِ، وَٱفْسَحْ لَهُ فِي ٱلْبَذْلِ[3] مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ، وَتَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَىٰ النَّاسِ. وَأَعْطِهِ مِنَ ٱلْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لَا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ، لِيَأْمَنَ بِذٰلِكَ ٱغْتِيَالَ[اغتياب] الرِّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ. فَٱنْظُرْ فِي ذٰلِكَ نَظَراً بَلِيغاً فَإِنَّ هٰذَا الدِّيْنَ قَدْ كَانَ أَسِيراً فِي أَيْدِي ٱلْأَشْرَارِ، يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَىٰ، وَتُطْلَبُ بِهِ الدُّنْيَا.

ثُمَّ ٱنْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ فَٱسْتَعْمِلْهُمُ ٱخْتِبَاراً [اختياراً][4]، وَلَا تُوَلِّهِمْ مُحَابَاةً[5] وَأَثَرَةً[6]، فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شُعَبِ[7] ٱلْجَوْرِ وَٱلْخِيَانَةِ. وَتَوَخَّ[8] مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ [النّصيحة] وَٱلْحَيَاءِ، مِنْ أَهْلِ ٱلْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَٱلْقَدَمِ[9] فِي ٱلْإِسْلَامِ ٱلْمُتَقَدِّمَةِ، فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقاً، وَأَصَحُّ أَعْرَاضاً [أغراضاً]، وَأَقَلُّ فِي ٱلْمَطَامِعِ إِشْرَاقاً [اسرافاً]، وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ ٱلْأُمُورِ

---

١ – لا يزدهيه إطراء: لا يستخفه زيادة الثناء عليه.

٢ – تعاهده: تتبعه بالاستكشاف والتعرف.

٣ – افسح له في البذل أي: أوسع له في العطاء بما يكفيه.

٤ – اسْتَعْمِلْهُم اختباراً: وَلّهم الأعمال بالامتحان.

٥ – محاباة أي: اختصاصاً وميلاً منك لمعاونتهم.

٦ – أثَرة ـ بالتحريك ـ أي: استبداداً بلا مشورة.

٧ – فإنهما جماع من شُعَب الجور والخيانة أي: يجمعان فروع الجور والخيانة.

٨ – توَخّ أي: اطلب وتحرّ أهل التجربة...

٩ – القَدَم ـ بالتحريك ـ: واحدة الأقدام، أي الخطوة السابقة. وأهلها هم الأولون.

نَظَراً. ثُمَّ أَسْبِغْ[1] عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْزَاقَ، فَإِنَّ ذٰلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَىٰ ٱسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ، وَغِنىً لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ، وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ[2]. ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ، وَٱبْعَثِ ٱلْعُيُونَ[3] مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالوَفَاءِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لِأُمُورِهِمْ حَدْوَةٌ لَهُمْ[4] عَلَىٰ ٱسْتِعْمَالِ ٱلْأَمَانَةِ، وَالرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ. وَتَحَفَّظْ مِنَ ٱلْأَعْوَانِ؛ فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَىٰ خِيَانَةٍ ٱجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ، ٱكْتَفَيْتَ بِذٰلِكَ شَاهِداً، فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ ٱلْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ [يديه]، وَأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ، ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ ٱلْمَذَلَّةِ، وَوَسَمْتَهُ بِالْخِيَانَةِ، وَقَلَّدْتَهُ عَارَ التُّهَمَةِ.

وَتَفَقَّدْ أَمْرَ ٱلْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ، فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ وَصَلَاحِهِمْ صَلَاحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ، وَلَا صَلَاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ، لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَىٰ ٱلْخَرَاجِ وَأَهْلِهِ. وَلْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ ٱلْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي ٱسْتِجْلَابِ ٱلْخَرَاجِ، لِأَنَّ ذٰلِكَ لَا يُدْرَكُ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ؛ وَمَنْ طَلَبَ ٱلْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ ٱلْبِلَادَ، وَأَهْلَكَ ٱلْعِبَادَ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيلاً. فَإِنْ شَكَوْا ثِقَلاً أَوْ عِلَّةً[5]، أَوِ ٱنْقِطَاعَ شِرْبٍ[6] أَوْ

---

١ - أسبغ عليه أمانته: أكمله وأوسع له فيه.

٢ - ثلموا أمانته: نقصوا في أدائها أو خانوا.

٣ - العيون: الرقباء.

٤ - حَدْوَة أي: سَوق لهم وحثّ.

٥ - إذا شكوا ثِقَلاً أو عِلّة: يريد المضروب من مال الخراج أو نزول علة سماوية بزرعهم أضرت بثمراته.

٦ - انقِطاع شِرْبٍ - بالكسر - أي: ماء تسقى في بلاد تسقى بالأنهار.

بَالَّةٍ[1]، أَوْ إِحَالَةَ أَرْضٍ[2] اَغْتَمَرَهَا[3] غَرَقٌ، أَوْ أَجْحَفَ[4] بِهَا عَطَشٌ، خَفَّفْتَ عَنْهُمْ بِما تَرْجُو أَنْ يصْلُحَ بِهِ أَمْرُهُمْ؛ وَلَا يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّفْتَ بِهِ اَلْمُؤُونَةَ عَنْهُمْ، فَإِنَّهُ ذُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلادِكَ، وَتَزْيِينِ وِلَايَتِكَ، مَعَ اَسْتِجْلَابِكَ حُسْنَ ثَنَائِهِمْ، وَتَبَجُّحِكَ[5] بِاسْتِفَاضَةِ[6] اَلْعَدْلِ فِيهِمْ، مُعْتَمِداً فَضْلَ قُوَّتِهِمْ[7]، بِمَا ذَخَرْتَ[8] عِنْدَهُمْ مِنْ إِجْمَامِكَ[9] لَهُمْ، وَالثِّقَةَ مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ وَرِفْقِكَ بِهِمْ، فَرُبَّمَا حَدَثَ مِنَ اَلْأُمُورِ مَا إِذَا عَوَّلْتَ فِيهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدُ اَحْتَمَلُوهُ طَيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ بِهِ؛ فَإِنَّ اَلْعُمْرَانَ مُحْتَمِلٌ مَا حَمَّلْتَهُ، وَإِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ اَلْأَرْضِ مِنْ إِعْوَازِ[10] أَهْلِهَا، وَإِنَّمَا يُعْوِزُ أَهْلَهَا لِإِشْرَافِ أَنْفُسِ اَلْوُلَاةِ عَلَى اَلْجَمْعِ[11]،

---

١ - انقطاع بالّة أي: ما يبل الأرض من ندى ومطر فيما تسقى بالمطر.

٢ - إحالة أرض ـ بكسر همزة إحالة ـ أي: تحويلها البذور إلى فساد بالتعفن.

٣ - اغتمرها أي: عمها من الغرق فغلبت عليها الرطوبة حتى صار البذر فيها غمقاً ـ ككتف ـ أي له رائحة خمة وفساد.

٤ - أجحف العطش أي: أتلفها وذهب بمادة الغذاء من الأرض فلم ينبت.

٥ - التبجح: السرور بما يرى من حسن عمله في العدل.

٦ - استفاضة العدل: انتشاره.

٧ - معتمِداً فضل قوتهم أي: متحداً زيادة قوتهم عماداً لك تستند اليه عند الحاجة.

٨ - ذَخَرت: وفّرت.

٩ - الإجْمام: الترفيه والاراحة.

١٠ - الإعْوَاز: الفقر والحاجة.

١١ - إشراف أنفسهم على الجمع: لتطلع أنفسهم إلى جمع المال، ادخاراً لما بعد زمن

وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بِالْبَقَاءِ، وَقِلَّةِ ٱنْتِفَاعِهِمْ بِالْعِبَرِ.

ثُمَّ ٱنْظُرْ فِي حَالِ كُتَّابِكَ، فَوَلِّ عَلَىٰ أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ، وَٱخْصُصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَائِدَكَ وَأَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لِوُجُوهِ صَالِحِ ٱلْأَخْلَاقِ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ[1] ٱلْكَرَامَةُ، فَيَجْتَرِيءَ بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلَافٍ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلَإٍ[2]، وَلَا تَقْصُرُ بِهِ ٱلْغَفْلَةُ[3] عَنْ إِيرَادِ مُكَاتَبَاتِ عُمَّالِكَ عَلَيْكَ، وَإِصْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَىٰ الصَّوَابِ عَنْكَ، فِيمَا يَأْخُذُ لَكَ وَيُعْطِي مِنْكَ، وَلَا يُضْعِفُ عَقْداً ٱعْتَقَدَهُ لَكَ[4]، وَلَا يَعْجِزُ عَنْ إِطْلَاقِ مَا عُقِدَ عَلَيْكَ[5]، وَلَا يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ فِي ٱلْأُمُورِ، فَإِنَّ ٱلْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلَ. ثُمَّ لَا يَكُنِ ٱخْتِيَارُكَ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ فِرَاسَتِكَ[6] وَٱسْتِنَامَتِكَ[7] وَحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ، فَإِنَّ الرِّجَالَ يَتَعَرَّضُونَ لِفِرَاسَاتِ[8] ٱلْوُلَاةِ

---

* الولاية إذا عزلوا.

١ - لا تُبْطِره أي: لا تطغيه.

٢ - جماعة من الناس تملأ البصر.

٣ - لا تُقصر به الغفلة أي: لا تكون غفلته موجبة لتقصيره في اطلاعك على ما يرد من أعمالك، ولا في إصدار الأجوبة عنه على وجه الصواب.

٤ - عَقْداً اعْتَقَدَه لك أي: معاملة عقدها لمصلحتك.

٥ - لا يعجز عن إطلاق ما عُقِد عليك: إذا وقعت مع أحد في عقد كان ضرره عليك لا يعجز عن حل ذلك العقد.

٦ - الفِراسة ـ بالكسر ـ: قوة الظن وحسن النظر في الأمور.

٧ - الاستنامة: السكون والثقة.

٨ - يتعرفون لفراسات الولاة أي: يتوسلون اليها لتعرفهم.

بِتَصَنُّعِهِمْ[1] وَحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذٰلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَٱلْأَمَانَةِ شَيْءٌ. وَلٰكِنِ ٱخْتَبِرْهُمْ بِمَا وُلُّوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ، فَاعْمِدْ لِأَحْسَنِهِمْ كَانَ فِي ٱلْعَامَّةِ أَثَراً، وَأَعْرَفِهِمْ بِالْأَمَانَةِ وَجْهاً، فَإِنَّ ذٰلِكَ دَلِيلٌ عَلَىٰ نَصِيحَتِكَ لِلّٰهِ وَلِمَنْ وُلِّيتَ أَمْرَهُ. وَٱجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْساً مِنْهُمْ، لَا يَقْهَرُهُ كَبِيرُهَا، وَلَا يَتَشَتَّتُ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا، وَمَهْمَا كَانَ فِي كُتَّابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَغَابَيْتَ[2] عَنْه أُلْزِمْتَهُ.

ثُمَّ ٱسْتَوْصِ بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصِّنَاعَاتِ، وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْراً: ٱلْمُقِيمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُضْطَرِبِ بِمَالِهِ[3]، وَٱلْمُتَرَفِّقِ[4] بِبَدَنِهِ، فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ، وَأَسْبَابُ ٱلْمَرَافِقِ[5]، وَجُلَّابُهَا مِنَ ٱلْمَبَاعِدِ وَٱلْمَطَارِحِ[6]، فِي بَرِّكَ وَبَحْرِكَ، وَسَهْلِكَ وَجَبَلِكَ، وَحَيْثُ لَا يَلْتَئِمُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا[7]، وَلَا يَجْتَرِؤُونَ عَلَيْهَا، فَإِنَّهُمْ سِلْمٌ[8] لَا تُخَافُ بَائِقَتُهُ[9]، وَصُلْحٌ لَا تُخْشَىٰ غَائِلَتُهُ. وَتَفَقَّدْ أُمُورَهُمْ

---

١ - بتصنعهم: بتكلفهم إجادة الصنعة.

٢ - تغابيت: أي تغافلت.

٣ - المضطرب بماله: المتردد به بين البلدان.

٤ - المترفّق: المكتسب.

٥ - المَرَافِق: ما ينتفع به من الأدوات والآنية.

٦ - المطارح: الأماكن البعيدة.

٧ - لا يلتئم الناس لمواضعها أي: لا يمكن التئام الناس واجتماعهم في مواضع تلك المرافق من تلك الأمكنة.

٨ - أنهم سِلْم أي: أن التجار والصناع مسالمون.

٩ - البائقة: الداهية.

بِحَضْرَتِكَ وَفِي حَوَاشِي بِلَادِكَ. وَٱعْلَمْ ـ مَعَ ذٰلِكَ ـ أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضِيقاً[1] فَاحِشاً، وَشُحّاً[2] قَبِيحاً، وَٱحْتِكَاراً[3] لِلْمَنَافِعِ، وَتَحَكُّماً فِي ٱلْبِيَاعَاتِ، وَذٰلِكَ بَابُ مَضَرَّةٍ لِلْعَامَّةِ، وَعَيْبٌ عَلَى ٱلْوُلَاةِ. فَامْنَعْ مِنَ ٱلْاحْتِكَارِ، فَإِنَّ رَسُولَ ٱللّٰهِ ـ صَلَّىٰ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ مَنَعَ مِنْهُ. وَلْيَكُنِ ٱلْبَيْعُ بَيْعاً سَمْحاً: بِمَوَازِينِ عَدْلٍ، وَأَسْعَارٍ لَا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ ٱلْبَائِعِ وَٱلْمُبْتَاعِ[4]. فَمَنْ قَارَفَ[5] حُكْرَةً[6] بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ فَنَكِّلْ بِهِ[7]، وَعَاقِبْهُ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ[8].

ثُمَّ ٱللّٰهَ ٱللّٰهَ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَىٰ مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ، مِنَ ٱلْمَسَاكِينِ وَٱلْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ ٱلْبُؤْسَىٰ[9] وَالزَّمْنَىٰ[10]، فَإِنَّ فِي هٰذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعاً[11]

---

١ – الضيق: عسر المعاملة.

٢ – الشحّ: البخل.

٣ – الاحتكار: حبس المطعوم ونحوه عن الناس لا يسمحون به إلا بأثمان فاحشة.

٤ – المبتاع ـ هنا ـ: المشتري.

٥ – قارف أي: خالط.

٦ – الحُكْرَة ـ بالضم ـ: الاحتكار.

٧ – فَنَكِّل به أي: أوقع به النكال والعذاب، عقوبة له.

٨ – في غير إسراف أي: من غير أن تجاوز حد العدل.

٩ – البؤسى ـ بضم أوله ـ: شدة الفقر.

١٠ – الزَمْنَى ـ بفتح أوله ـ: جمع زمين وهو المصاب بالزَمانة ـ بفتح الزاي ـ أي العاهات، يريد أرباب العاهة المانعة لهم عن الاكتساب.

١١ – القانع: السائل.

وَمُعْتَرّاً[1]، وَٱحْفَظْ لِلّٰهِ مَا ٱسْتَحْفَظَكَ[2] مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ، وَٱجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مَالِكَ، وَقِسْماً مِنْ غَلَّاتِ[3] صَوَافِي[4] ٱلْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بَلَد، فَإِنَّ لِلْأَقْصَىٰ مِنْهُمْ مِثْلَ ٱلَّذِي لِلْأَدْنَىٰ، وَكُلٌّ قَدِ ٱسْتُرْعِيتَ حَقَّهُ؛ فَلَا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطَرُ [نظر][5]، فَإِنَّكَ لَا تُعْذَرُ بِتَضْيِيعِكَ ٱلتَّافِهَ[6] لِإِحْكَامِكَ ٱلْكَثِيرَ ٱلْمُهِمَّ. فَلَا تُشْخِصْ هَمَّكَ[7] عَنْهُمْ، وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ[8]، وَتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ ٱلْعُيُونُ[9]، وَتَحْقِرُهُ الرِّجَالُ؛ فَفَرِّغْ لِأُولٰئِكَ ثِقَتَكَ[10] مِنْ أَهْلِ ٱلْخَشْيَةِ وَالتَّوَاضُعِ، فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ، ثُمَّ ٱعْمَلْ فِيهِمْ بِالْإِعْذَارِ إِلَىٰ ٱللّٰهِ[11] يَوْمَ تَلْقَاهُ، فَإِنَّ هٰؤُلَاءِ مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أَحْوَجُ إِلَىٰ ٱلْإِنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَكُلٌّ فَأَعْذِرْ إِلَىٰ ٱللّٰهِ فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ.

---

١ – المُعْتَرّ ـ بتشديد الراء ـ: المتعرض للعطاء بلا سؤال.

٢ – اسْتَحْفَظَكَ: طلب منك حفظه.

٣ – غَلاّت: ثمرات.

٤ – صوافي الاسلام: جمع صافية، وهي أرض الغنيمة.

٥ – بَطَر: طغيان بالنعمة.

٦ – التافه: الحقير.

٧ – لا تُشْخص همك أي: لا تصرف اهتمامك عن ملاحظة شؤونهم.

٨ – صعّر خدّه: أماله إعجاباً وكبراً.

٩ – تقتحمه العين: تكره أن تنظر اليه احتقاراً وازدراءً.

١٠ – فَرِّغ لأولئك ثقتك أي: اجعل للبحث عنهم أشخاصاً يتفرغون لمعرفة أحوالهم يكونون ممن تثق بهم.

١١ – بالإعذار إلى الله أي: بما يقدم لك عذراً عنده.

وَتَعَهَّدْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَذَوِي الرِّقَّةِ فِي السِّنِّ[1] مِمَّنْ لَا حِيلَةَ لَهُ، وَلَا يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ، وَذٰلِكَ عَلَىٰ ٱلْوُلَاةِ ثَقِيلٌ، وَٱلْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ؛ وَقَدْ يُخَفِّفُهُ ٱللّٰهُ عَلَىٰ أَقْوَامٍ طَلَبُوا ٱلْعَاقِبَةَ فَصَبَّرُوا أَنْفُسَهُمْ، وَوَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ ٱللّٰهِ لَهُمْ.

وَٱجْعَلْ لِذَوِي ٱلْحَاجَاتِ[2] مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلّٰهِ ٱلَّذِي خَلَقَكَ، وَتُقْعِدَ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ[3] مِنْ أَحْرَاسِكَ[4] وَشُرَطِكَ[5]، حَتَّىٰ يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ[6]، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللّٰهِ ـ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ[7]: «لَنْ تُقَدَّسَ[8] أُمَّةٌ لَا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ ٱلْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ». ثُمَّ ٱحْتَمِلِ ٱلْخُرْقَ[9] مِنْهُمْ وَٱلْعِيَّ[10]،

---

١ – ذوو الرقّة في السن: المتقدمون فيه.

٢ – لذوي الحاجات أي: المتظلمين تتفرغ لهم فيه بشخصك للنظر في مظالمهم.

٣ – تُقعِد عنهم جندك: تأمر بأن يقعد عنهم ولا يتعرض لهم جندك.

٤ – الأحراس: جمع حرس ـ بالتحريك ـ وهو من يحرس الحاكم من وصول المكروه.

٥ – الشُرَط ـ بضم ففتح ـ: طائفة من أعوان الحاكم، وهم المعروفون بالضابطة، واحدة شرطة ـ بضم فسكون ـ.

٦ – التعتعة في الكلام: التردد فيه من عجز وعِي، والمراد غير خائف تعبيراً باللازم.

٧ – في غير موطن أي: في مواطن كثيرة.

٨ – التقديس: التطهير، أي لا يطهر اللّه أمة... الخ.

٩ – الخُرق ـ بالضم ـ: العنف ضد الرفق.

١٠ – العِي ـ بالكسر ـ: العجز عن النطق.

وَنَحِّ[1] عَنْهُمُ الضِّيقَ[2] وَالْأَنَفَ[3] يَبْسُطِ اللَّهُ عَلَيْكَ بِذٰلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِهِ[4]، وَيُوجِبُ لَكَ ثَوابَ طَاعَتِهِ. وَأَعْطِ مَا أَعْطَيْتَ هَنِيئاً[5]، وَامْنَعْ فِي إِجْمَالٍ وَاعْذَارٍ[6]!

ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لَا بُدَّ لَكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا مِنْهَا: إِجَابَةُ عُمَّالِكَ بِمَا يَعْيَا[7] عَنْهُ كُتَّابُكَ، وَمِنْهَا إِصْدَارُ حَاجَاتِ النَّاسِ يَوْمَ وُرُودِهَا عَلَيْكَ بِمَا تَحْرَجُ[8] بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِكَ. وَأَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ، فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ. وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ، وَأَجْزَلَ[9] تِلْكَ الْأَقْسَامِ، وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لِلَّهِ إِذَا صَلَحَتْ فِيهَا النِّيَّةُ، وَسَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ.

وَلْيَكُنْ فِي خَاصَّةِ مَا تُخْلِصُ بِهِ لِلَّهِ دِينَكَ: إِقَامَةُ فَرَائِضِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ

---

١ - نَحِّ: فعل أمر من نحّى يَنحي، أي ابعِدْ عنهم.

٢ - الضيق: ضيق الصدر بسوء الخلق.

٣ - الأَنَف ـ محركة ـ: الاستنكاف والاستكبار.

٤ - أكناف الرحمة: أطرافها.

٥ - هنيئاً: سهلاً لا تخشنه باستكثاره والمن به.

٦ - امنع في إجمال وإعذار: وإذا منعت فامنع بلطف وتقديم عذر.

٧ - يعيا: يعجز.

٨ - حَرِجَ يَحْرَجُ ـ من باب تَعِب ـ: ضاق، والأعوان تضيق صدورهم بتعجيل الحاجات، ويحبون المماطلة في قضائها استجلاباً للمنفعة، أو إظهاراً للجبروت.

٩ - أجزلها: أعظمها.

خَاصَّةً، فَأَعْطِ ٱللَّهَ مِن بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ، وَوَفِّ مَا تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلَىٰ ٱللَّهِ مِنْ ذٰلِكَ كَامِلاً غَيْرَ مَثْلُومٍ[1] وَلَا مَنْقُوصٍ، بَالِغاً مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ. وَإِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ لِلنَّاسِ، فَلَا تَكُونَنَّ مُنَفِّراً وَلَا مُضَيِّعاً[2]، فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ ٱلْعِلَّةُ وَلَهُ ٱلْحَاجَةُ. وَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ ٱللَّهِ ـ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ حِينَ وَجَّهَنِي إِلَىٰ ٱلْيَمَنِ كَيْفَ أُصَلِّي بِهِمْ؟ فَقَالَ: «صَلِّ بِهِمْ كَصَلَاةِ أَضْعَفِهِمْ، وَكُنْ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً».

وَأَمَّا بَعْدُ، فَلَا تُطَوِّلَنَّ ٱحْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّ ٱحْتِجَابَ ٱلْوُلَاةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضِّيقِ، وَقِلَّةُ عِلْمٍ بِالْأُمُورِ؛ وَالْإِحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا ٱحْتَجَبُوا دُونَهُ فَيَصْغُرُ عِنْدَهُمُ ٱلْكَبِيرُ، وَيَعْظُمُ الصَّغِيرُ، وَيَقْبُحُ ٱلْحَسَنُ، وَيَحْسُنُ ٱلْقَبِيحُ، وَيُشَابُ ٱلْحَقُّ بِالْبَاطِلِ. وَإِنَّمَا ٱلْوَالِي بَشَرٌ لَا يَعْرِفُ مَا تَوَارَىٰ عَنْهُ النَّاسُ بِهِ مِنَ ٱلْأُمُورِ، وَلَيْسَتْ عَلَىٰ ٱلْحَقِّ سِمَاتٌ[3] تُعْرَفُ بِهَا ضُرُوبُ الصِّدْقِ مِنَ ٱلْكَذِبِ، وَإِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ: إِمَّا ٱمْرُؤٌ سَخَتْ نَفْسُكَ بِالْبَذْلِ[4] فِي ٱلْحَقِّ، فَفِيمَ ٱحْتِجَابُكَ مِنْ وَاجِبِ حَقٍّ تُعْطِيهِ، أَوْ فِعْلٍ كَرِيمٍ تُسْدِيهِ، أَوْ مُبْتَلًىً بِالْمَنْعِ، فَمَا أَسْرَعَ كَفَّ النَّاسِ عَنْ مَسْأَلَتِكَ إِذَا أَيِسُوا[5] مِنْ بَذْلِكَ! مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ إِلَيْكَ مِمَّا لَا مَؤُونَةَ فِيهِ

---

١ – غير مثلوم أي: غير مخدوش بشيء من التقصير ولا مخروق بالرياء.

٢ – لا تكوننّ منفّراً ولا مضيعاً أي: لا تُطِل الصلاة فتكرّه بها الناس ولا تضيع منها شيئاً بالنقص في الأركان بل التوسط خير.

٣ – سمات: جمع سمة ـ بكسر ففتح ـ وهي العلامة.

٤ – البذل: العطاء.

٥ – أيِسُوا: قنطوا ويئسوا.

عَلَيْكَ، مِنْ شَكَاةِ[1] مَظْلِمَةٍ، أَوْ طَلَبِ إِنْصافٍ فِي مُعَامَلَةٍ.

ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وبِطَانَةً، فِيهِمُ اسْتِئْثَارٌ وَتَطَاوُلٌ، وَقِلَّةُ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ، فَاحْسِمْ[2] مَادَّةَ [مؤونة] أُولَئِكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الأَحْوَالِ. وَلَا تُقْطِعَنَّ[3] لِأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ وَحَامَّتِكَ[4] قَطِيعَةً، وَلَا يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اعْتِقَادِ[5] عُقْدَةٍ، تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ، فِي شِرْبٍ[6] أَوْ عَمَلٍ مُشْتَرَكٍ، يَحْمِلُونَ مَؤُنَتَهُ عَلَىٰ غَيْرِهِمْ، فَيَكُونَ مَهْنَأُ[7] ذٰلِكَ لَهُمْ دُونَكَ، وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

وَأَلْزِمِ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، وَكُنْ فِي ذٰلِكَ صَابِراً مُحْتَسِباً، وَاقِعاً ذٰلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وَخَاصَّتِكَ [خواصك] حَيْثُ وَقَعَ، وَابْتَغِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ، فَإِنَّ مَغَبَّةَ[8] ذٰلِكَ مَحْمُودَةٌ.

---

١ – شكاة ـ بالفتح ـ: شكاية.

٢ – فاحسم أي: اقطع مادة شرورهم عن الناس بقطع أسباب تعديهم، وإنما يكون بالأخذ على أيديهم ومنعهم من التصرف في شؤون العامة.

٣ – الاقطاع: المنحة من الأرض. والقطيعة: الممنوح منها.

٤ – الحامّة ـ كالطامّة ـ: الخاصة والقرابة.

٥ – الاعتقاد: الامتلاك، والعقدة ـ بالضم ـ: الضيعة؛ واعتقاد الضيعة: اقتناؤها، وإذا اقتنوا ضيعة فربما أضروا بمن يليها، أي يقرب منها من الناس.

٦ – الشِّرْب ـ بالكسر ـ: هو النصيب في الماء.

٧ – مهنأ ذلك: منفعته الهنيئة.

٨ – المَغَبَّة ـ كمَحَبَّة ـ: العاقبة.

وَإِنْ ظَنَّتِ الرَّعِيَّةُ بِكَ حَيْفاً[1] فَأَصْحِرْ[2] لَهُمْ بِعُذْرِكَ، وَاعْدِلْ [واعزل][3] عَنْكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ، فَإِنَّ فِي ذٰلِكَ رِيَاضَةً[4] مِنْكَ لِنَفْسِكَ، وَرِفْقاً بِرَعِيَّتِكَ، وَإِعْذَاراً[5] تَبْلُغُ بِهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَىٰ اَلْحَقِّ.

وَلَا تَدْفَعَنَّ صُلْحاً دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ وَلِلّٰهِ فِيهِ رِضىً، فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَةً[6] لِجُنُودِكَ، وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ، وَأَمْناً لِبِلَادِكَ، وَلٰكِنِ اَلْحَذَرَ كُلَّ اَلْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ، فَإِنَّ اَلْعَدُوَّ رُبَّمَا قَارَبَ لِيَتَغَفَّلَ[7] فَخُذْ بِالْحَزْمِ، وَاتَّهِمْ فِي ذٰلِكَ حُسْنَ الظَّنِّ. وَإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوِّكَ عُقْدَةً، أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً[8]، فَحُطْ[9] عَهْدَكَ بِالْوَفَاءِ، وَارْعَ ذِمَّتَكَ بِالْأَمَانَةِ، وَاجْعَلْ نَفْسَكَ

---

١ - حَيْفاً أي: ظلماً.

٢ - أَصْحِرْ لهم بعذرك أي: أبرز لهم، وبيّن عذرك فيه. وهو من الاصحار: الظهور، وأصله البروز في الصحراء.

٣ - عَدَلَ الشيءُ عن نفسه: نحّاه عنه.

٤ - رياضةً أي: تعويداً لنفسك على العدل.

٥ - الإعذار: تقديم العذر أو إبداؤه.

٦ - الدَعَة ـ محرّكة ـ: الراحة.

٧ - قارَبَ لتغفّل أي: تقرّب منك بالصلح ليلقي عليك عنه غفلة فيغدرك فيها.

٨ - أصل معنى الذمّة وجدان مودع في جبلة الانسان، ينبهه لرعاية حق ذوي الحقوق عليه، ويدفعه لأداء ما يجب عليه منها، ثم أطلقت على معنى العهد وجعل العهد لباساً لمشابهته له في الرقابة من الضرر.

٩ - حُطْ عهدك: امر من حاطه يحوطه بمعنى حفظه وصانه.

جُنَّةً[1] دُونَ مَا اَعْطَيْتَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ اَللّٰهِ شَيْءٌ النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ اَجْتِمَاعاً، مَعَ تَفَرُّقِ أَهْوَائِهِمْ، وَتَشَتُّتِ آرَائِهِمْ، مِنْ تَعْظِيمِ اَلْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ. وَقَدْ لَزِمَ ذٰلِكَ اَلْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ اَلْمُسْلِمِينَ لِمَا اَسْتَوْبَلُوا[2] مِنْ عَوَاقِبِ اَلْغَدْرِ؛ فَلَا تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ، وَلَا تَخِيسَنَّ [تَحبِسنَّ] بِعَهْدِكَ[3]، وَلَا تَخْتِلَنَّ[4] عَدُوَّكَ، فَإِنَّهُ لَا يَجْتَرِيءُ عَلَىٰ اَللّٰهِ إِلَّا جَاهِلٌ شَقِيٌّ. وَقَدْ جَعَلَ اَللّٰهُ عَهْدَهُ وَذِمَّتَهُ أَمْناً أَفْضَاهُ[5] بَيْنَ اَلْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ، وَحَرِيماً[6] يَسْكُنُونَ إِلَىٰ مَنَعَتِهِ[7]، وَيَسْتَفِيضُونَ إِلَىٰ جِوَارِهِ[8]؛ فَلَا إِدْغَالَ[9] وَلَا مُدَالَسَةَ[10] وَلَا خِدَاعَ فِيهِ، وَلَا تَعْقِدْ عَقْداً تُجَوِّزُ فِيهِ اَلْعِلَلَ[11]، وَلَا تُعَوِّلَنَّ عَلَىٰ لَحْنِ قَوْلٍ[12] بَعْدَ اَلتَّأْكِيدِ وَالتَّوْثِقَةِ. وَلَا يَدْعُوَنَّكَ ضِيقُ أَمْرٍ لَزِمَكَ فِيهِ عَهْدُ اَللّٰهِ، إِلَىٰ

---

١ – الجُنّة ـ بالضم ـ: الوقاية، أي حافظ على ما أعطيت من العهد بروحك.

٢ – «لِمَا اسْتَوْبَلوا من عواقب الغدر» أي: وجدوها وَبيلة، مهلكة.

٣ – خاس بعهده: خانه ونقضه.

٤ – الخَتْل: الخداع.

٥ – «أفضاه» ـ هنا ـ: بمعنى أفشاه.

٦ – الحريم: ما حرم عليك أن تمسه.

٧ – المَنَعَة ـ بالتحريك ـ: ما تمتنع به من القوة.

٨ – يستفيضون أي: يفزعون اليه بسرعة.

٩ – الادغال: الافساد.

١٠ – المدالسة: الخيانة.

١١ – العلل: جمع عِلّة، وهي في النقد والكلام، بمعنى ما يصرفه عن وجهه ويحوله إلى غير المراد، وذلك يطرأ على الكلام عند إبهامه وعدم صراحته.

١٢ – لحنِ القول: ما يقبل التوجيه كالتورية والتعريض.

طَلَبِ ٱنْفِسَاخِهِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ، فَإِنَّ صَبْرَكَ عَلَىٰ ضِيقِ أَمْرٍ تَرْجُو ٱنْفِرَاجَهُ وَفَضْلَ عَاقِبَتِهِ، خَيْرٌ مِنْ غَدْرٍ تَخَافُ تَبِعَتَهُ وَأَنْ تُحِيطَ بِكَ مِنَ ٱللَّهِ فِيهِ طِلْبَةٌ[1]، لَا تَسْتَقِيلُ فِيهَا دُنْيَاكَ وَلَا آخِرَتَكَ.

إِيَّاكَ وَالدِّمَاءَ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْنَىٰ لِنِقْمَةٍ، وَلَا أَعْظَمَ لِتَبِعَةٍ، وَلَا أَحْرَىٰ بِزَوَالِ نِعْمَةٍ، وَٱنْقِطَاعِ مُدَّةٍ، مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا. وَٱللَّهُ سُبْحَانَهُ مُبْتَدِيءٌ بِالْحُكْمِ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ، فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الدِّمَاءِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ؛ فَلَا تُقَوِّيَنَّ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ، فَإِنَّ ذٰلِكَ مِمَّا يُضْعِفُهُ وَيُوهِنُهُ، بَلْ يُزِيلُهُ وَيَنْقُلُهُ. وَلَا عُذْرَ لَكَ عِنْدَ ٱللَّهِ وَلَا عِنْدِي فِي قَتْلِ ٱلْعَمْدِ لِأَنَّ فِيهِ قَوَدَ[2] ٱلْبَدَنِ. وَإِنِ ٱبْتُلِيتَ بِخَطَإٍ وَأَفْرَطَ عَلَيْكَ[3] سَوْطُكَ أَوْ سَيْفُكَ أَوْ يَدُكَ بِالْعُقُوبَةِ؛ فَإِنَّ فِي ٱلْوَكْزَةِ[4] فَمَا فَوْقَهَا مَقْتَلَةً، فَلَا تَطْمَحَنَّ[5] بِكَ نَخْوَةُ سُلْطَانِكَ عَنْ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَىٰ أَوْلِيَاءِ ٱلْمَقْتُولِ حَقَّهُمْ.

وَإِيَّاكَ وَٱلْإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ، وَالثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا وَحُبَّ ٱلْإِطْرَاءِ[6]، فَإِنَّ ذٰلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرَصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ

---

١ - أن تحيط بك من اللّه فيه طِلْبَة أي: تأخذك بجميع أطرافك مطالبة اللّه إياك بحقه في الوفاء الذي غدرت به.

٢ - القَوَد - بالتحريك -: القصاص، وإضافته للبدن لأنه يقع عليه.

٣ - أَفْرَطَ عليك سَوْطك: عَجَلَ بما لم تكن تريده، أردت تأديباً فأعْقَبَ قتلاً.

٤ - الوَكْزَة - بفتح فسكون -: الضربة بجُمع الكف - بضم الجيم - أي قبضته، وهي المعروفة باللكمة.

٥ - تَطْمَحَنَّ بك: ترتفِعَنَّ بك.

٦ - الإطراء: المبالغة في الثناء.

إِحْسَانِ ٱلْمُحْسِنِينَ.

وَإِيَّاكَ وَٱلْمَنَّ عَلَىٰ رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ، أَوِ التَّزَيُّدَ[1] فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ، أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ فَتُتْبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ، فَإِنَّ ٱلْمَنَّ يُبْطِلُ ٱلْإِحْسَانَ، وَالتَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بِنُورِ ٱلْحَقِّ، وَٱلْخُلْفَ يُوجِبُ ٱلْمَقْتَ[2] عِنْدَ ٱللَّهِ وَالنَّاسِ. قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ ٱللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

وَإِيَّاكَ وَٱلْعَجَلَةَ بِالْأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا، أَوِ التَّسَقُّطَ[3] [التَسناقط ـ التثبّط] فِيهَا عِنْدَ إِمْكَانِهَا، أَوِ اللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذَا تَنَكَّرَتْ[4]، أَوِ ٱلْوَهْنَ[5] عَنْهَا إِذَا ٱسْتَوْضَحَتْ. فَضَعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ، وَأَوْقِعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْقِعَهُ.

وَإِيَّاكَ وَٱلْاِسْتِئْثَارَ[6] بِمَا النَّاسُ فِيهِ أُسْوَةٌ[7]، وَالتَّغَابِيَ[8] عَمَّا تُعْنَىٰ بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ، فَإِنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْكَ لِغَيْرِكَ. وَعَمَّا قَلِيلٍ تَنْكَشِفُ عَنْكَ

---

١ – التزيّد ـ كالتقيّد ـ: إظهار الزيادة في الأعمال عن الواقع منها في معرض الافتخار.

٢ – المقت: البغض والسخط.

٣ – التسقط: من قولهم «تسقط في الخبر يتسقط» إذا أخذه قليلاً، يريد به هنا: التهاون.

٤ – اللجاجة: الاصرار على النزاع. وتنكّرت: لم يعرف وجه الصواب فيه.

٥ – الوَهْن: الضعف.

٦ – الاستئثار: تخصيص النفس بزيادة.

٧ – الناس فيه أُسوة: أي متساوون.

٨ – التغابي: التغافل.

أَغْطِيَةُ ٱلْأُمُورِ، وَيُنْتَصَفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ. ٱمْلِكْ حَمِيَّةَ أَنْفِكَ[1]، وَسَوْرَةَ[2] حَدِّكَ[3]، وَسَطْوَةَ يَدِكَ، وَغَرْبَ[4] لِسَانِكَ، وَٱحْتَرِسْ مِنْ كُلِّ ذٰلِكَ بِكَفٍّ ٱلْبَادِرَةِ[5]، وَتَأْخِيرِ السَّطْوَةِ، حَتَّىٰ يَسْكُنَ غَضَبُكَ فَتَمْلِكَ ٱلْاِخْتِيَارَ؛ وَلَنْ تَحْكُمَ ذٰلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّىٰ تُكْثِرَ هُمُومَكَ بِذِكْرِ ٱلْمَعَادِ إِلَىٰ رَبِّكَ.

وَٱلْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَىٰ لِمَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ حُكُومَةٍ عَادِلَةٍ أَوْ سُنَّةٍ فَاضِلَةٍ، أَوْ أَثَرٍ عَنْ نَبِيِّنَا ـ صَلَّىٰ ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ أَوْ فَرِيضَةٍ فِي كِتَابِ ٱللّٰهِ، فَتَقْتَدِيَ بِمَا شَاهَدْتَ مِمَّا عَمِلْنَا بِهِ فِيهَا، وَتَجْتَهِدَ لِنَفْسِكَ فِي ٱتِّبَاعِ مَا عَهِدْتُ إِلَيْكَ فِي‌عَهْدِي هٰذَا، وَٱسْتَوْثَقْتُ بِهِ مِنَ ٱلْحُجَّةِ لِنَفْسِي عَلَيْكَ، لِكَيْلَا تَكُونَ لَكَ عِلَّةٌ عِنْدَ تَسَرُّعِ نَفْسِكَ إِلَىٰ هَوَاهَا. وَأَنَا أَسْأَلُ ٱللّٰهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَىٰ إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ، أَنْ يُوَفِّقَنِي وَإِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَاهُ مِنَ ٱلْإِقَامَةِ عَلَىٰ ٱلْعُذْرِ ٱلْوَاضِحِ إِلَيْهِ وَإِلَىٰ خَلْقِهِ، مَعَ حُسْنِ ٱلثَّنَاءِ فِي ٱلْعِبَادِ، وَجَمِيلِ ٱلْأَثَرِ فِي ٱلْبَلَادِ، وَتَمَامِ ٱلنِّعْمَةِ، وَتَضْعِيفِ ٱلْكَرَامَةِ[6]، وَأَنْ يَخْتِمَ لِي وَلَكَ بِالسَّعَادَةِ وَالشَّهَادَةِ، «إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» [راغبون]. وَالسَّلَامُ عَلَىٰ رَسُولِ ٱللّٰهِ ـ صَلَّىٰ ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً، وَالسَّلَامُ.

---

١ – يقال «فلان حميّ الأنف»: إذا كان أبياً يأنف الضيم.

٢ – السَوْرة ـ بفتح السين وسكون الواو ـ: الحِدة.

٣ – الحَدّة ـ بالفتح ـ: البأس.

٤ – الغَرْب ـ بفتح فسكون ـ: الحدّ تشبيهاً له بحد السيف ونحوه.

٥ – البادرة: ما يبدو من اللسان عند الغضب من سباب ونحوه.

٦ – تضعيف الكرامة: زيادة الكرامة إضعافاً.

وثيقة رقم (٨)
مصادر المعرفة عند الوصي عليه السلام

أصول الكافي ج١ ص ٢٦٣ ح١:

علي بن ابراهيم عن ابيه عن ابن أبي عمير عن ابن اذينه عن عبدالله بن سليمان عن حمران بن اعين عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنَّ جبرئيل عليه السلام أتىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله برمانتين فأكل رسول الله صلى الله عليه وآله إحداهما، وكسر الأخرى بنصفين فأكل نصفاً وأطعم علياً نصفاً ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله يا أخي هل تدري ما هاتان الرمانتان؟ قال: لا قال: أما الأولى، فالنبوّة ليسَ لك فيها نصيب، وأما الأخرى، فالعلم انت شريكي فيه، فقلت اصلحك الله كيف كان يكون شريكه فيه؟ قال: لم يعلِّم اللّهُ محمّداً صلى الله عليه وآله علماً إلّا وأمره أن يعلِّمهُ عليّاً عليه السلام».

وروى مثله في نفس الباب زرارة عن الإمام أبي جعفر محمّد بن علي الباقر عليه السلام، ومثله عن محمد بن مسلم عن الإمام الباقر عليه السلام أيضاً، مع اختلاف في الألفاظ.

أصول الكافي ج١ ص٢٦٤ ح١:

محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد عن محمّد بن اسماعيل عن عمه حمزة بن بزيع عن علي السائي عن أبي الحسن الأول موسى عليه السلام «قال: قال: مبلغ علمناعلى ثلاثة وجوه ماضٍ وغابرٌ وحادثٌ، فأمّا الماضي، فمفسر، وأمّا الغابرُ، فمزبور، وأمّا الحادثُ، فقذفٌ في القلوب ونقرٌ في الاسماع، وهو افضلُ علمِنا ولا نبيَّ بعدَ نبِيّنا».

أصول الكافي ج١ ص٢٦٤ ح٢:

محمّد بن يحيى عن أحمد بن أبي زاهر عن علي بن موسى عن صفوان بن يحيى عن الحارث بن المغيرة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت: «اخبرني عن علم عالمكم قال: وراثةٌ من رسول الله صلى الله عليه وآله ومن علي عليه السلام قال قلت: إنّا نتحدثُ إنّه يقذفُ في قلوبِكم، وينكتُ في آذانكم قال أوَ ذاكَ» ـ يعني هو كذالك ـ

أصول الكافي ج١ ص٢٦٤ ح٣:

علي بن ابراهيم عن أبيه عمن حدثه عن المفضل بن عمر قال قلت لإبي الحسن عليه السلام روينا عن أبي عبدالله عليه السلام انه قال: ان علمنا غابرٌ ومزبورٌ ونكتٌ في القلوبِ، ونقرٌ في الاسماع، فقال: اما الغابرُ فما تقدم من علمِنا، وأمّا المزبورُ فما يأتينا، وأمّا النكتُ في القلوبِ فإلهامٌ و أمّا النقرُ في الاسماعِ فأمرُ الملكِ».

أصول الكافي ج١ ص٢٧١ ح٤:

علي بن ابراهيم عن محمّد بن عيسى عن يونس عن رجل عن محمّد بن مسلم قال: ذكر المحدَّثُ عند أبي عبدالله عليه السلام فقال: «انه يسمعُ الصوتَ ولا يَرىٰ الشخصَ فقلت له: جعلتُ فداكَ كيفَ يعلمُ انه كلامُ الملكِ قال: انه يعطىٰ السكينةِ والوقارَ حتىٰ يعلمَ انّه كلامُ ملكٍ».

أصول الكافي ج١ ص٢٧١ ح٥:

محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد عن الحسن بن سعيد عن حماد بن عيسى عن الحسن بن المختار عن الحارث بن المغيرة عن حمران بن اعين قال قال: ابو جعفر عليه السلام انَّ علياً عليه السلام كانَ محدَّثاً فخرجتُ إلىٰ أصحابي، فقلتُ جئتُكُم بعجيبة فقالوا وما هي؟ فقلتُ: سمعتُ أبا جعفر عليه السلام يقول: كان علي عليه السلام محدّثاً فقالوا: ما صنعتَ شيئاً ألا سألتَهُ من كانَ يحدّثهُ فُرجعتُ إليه فقلت: إنّي حدثتُ أصحابي بما حدثتَني، فقالوا: ما صنعتَ شيئاً ألا سألتَهُ من كان يحدّثهُ فقال: لي يحدِّثهُ ملكٌ قلتُ تقولُ: إنَّهُ نبيٌّ قال: فحرك يدَهُ هكذا أو كصاحبِ سليمان أو كصاحبِ موسىٰ أو كذى القرنين أو ما بلغكم انه قال وفيكم مثلهُ».

أصول الكافي ج١ ص٢٧٣ ح١:

عدّة من اصحابنا عن أحمد بن محمّد عن الحسين بن سعيد عن النضر بن سويد عن يحيي الحلبي عن أبي الصباح الكناني عن أبي بصير

قال سألتُ ابا عبداللّه عليه السلام عن قوله اللّه تبارك وتعالى «وكذلك اوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الأيمان»، قال: «خلقٌ من خلقِ اللّهِ عز وجلّ أعظمُ من جبرئيلَ وميكائيلَ كانَ معَ رسولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله يخبرُهُ ويسدِّدُهُ وهوَ مع الأئمةِ من بعدهِ». وروى بمضمونه في نفس الباب خمسة احاديث أخرى بأسانيد أخرى.

الفهرس

المقدمة ٧

الفصل الأول

وليد البيت العتيق..... ١١
بزوغ الفجر ١٣
في كفالة رسول اللّه (ص) ١٥
حصيلة الأعداد النبوي..... ١٧
في كنف الوحي ١٩
أوَّلُ المؤمنين ٢١
الوصى الوارث ٢٥
مواجهة الجاهليين ٢٧
ابو طالب يتصدى لأعداء الرسالة ٢٨
رسول اللّه (ص) وأبو طالب في الحصار ٢٩
إلى دار الإسلام ٣٣
في فراش رسول اللّه (ص) ٣٥
الانتظار في قبا ٣٧
مهمات ما بعد الهجرة! ٣٩
علي في منظار الإسلام ٤٧

علي في عهد الخلفاء ٥٦
أ ـ في خلافة أبي بكر ٦٠
ب ـ في خلافة عمر بن الخطاب ٦٣
ج ـ في عهد عثمان ٦٦

الفصل الثاني

دعوني والتمسوا غيري! ٦٩
تمهيد ٧١
الإمام خليفة ٧٣
١ ـ الميدان السياسي ٧٥
٢ ـ الميدان الاقتصادي ٧٦
منهاج الاصلاح ٧٨
سياسة رد الفعل ٩٧
موقف معاوية ٩٩
خلفيات المطالبة بدم عثمان ١٠١
موقف الإمام علي (ع) أيام الأزمة ١٠٢
حرب البصرة ١٠٥
الموقف الإنساني ١٠٧
فتنة صفين ١١١
وقعة النهروان ١١٧
في ذمة الله ١٢١

«..ما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل» ١٢٧
توطئة..... ١٢٩
فضائل علي من حديث رسول الله (ص)..... ١٣٢
أمر الأمامة في النصوص:..... ١٣٥
شخصية عليّ (ع) من خلال مقوماتها الواقعية ١٣٩
علاقة الإمام علي باللّه تعالى ١٤٢
شواهد من عبادة أميرالمؤمنين (ع) ١٤٤
المنهج العبادي في خطوطه الأساسية ١٥٢
توكل صادق ويقين راسخ ١٥٣
مصاديق من زهد الإمام (ع)..... ١٥٤
صدقة الإمام (ع)..... ١٥٩
الجهاد في سبيل الله ١٦٢
الأخلاق الاجتماعية ١٦٧
أولاً ـ اشاعة العدل الاجتماعي بين الناس ١٧٢
وصاياه للولاة ١٧٩
ومن توجيهاته (ع) لجباة الأموال..... ١٨٠
ومن تعليماته لجيوشه ١٨٠
ثانياً ـ تواضع الإمام ١٨١
ثالثاً ـ حلم الإمام..... ١٨٧
رابعاً ـ التورع عن البغي..... ١٩١
خامساً ـ شواهد من صَبر الإمام..... ١٩٥